

الصَّعِيدُ فِي عَمْرِدِ شَيْخِ الْعَرَبِ هَمَام

دكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بكلية الدراسات الانسانية
جامعة الأزهر / فرع البنات
القاهرة

0157158



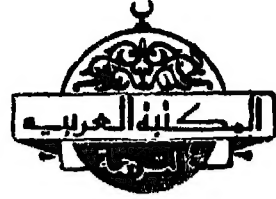
Bibliotheca Alexandrina



الهيئة المصرية العامة للكتاب



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



الصَّعِيدُ فِي عَمَدِ شَيْخِ الْعَرَبِ تَهْنِئَاتُ



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

دكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بكلية الدراسات الانسانية
جامعة الأزهر / فرع البنات
القاهرة



١٩٨٧

الاخراج الفنى

الليبر جوردجى

اهداء

الى روح أستاذي الجليل

الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

أهدى هذا الكتاب

فهو من ثمار غرسه وتوجيهاته

ليلى عبد اللطيف أحمد

المقدمة

يعالج هذا الكتاب سيرة شيخ العرب همام وحكم جرجا (أو الصعيد) في فترة غامضة من تاريخ مصر في القرن الثامن عشر الميلادي / الثاني عشر الهجري في عصر الحكم العثماني المملوكي ، ذلك العصر الذي يحتل مرحلة هامة من مراحل تطور تاريخنا القومي .

وبالرغم من الأهمية التي يحتلها هذا العصر في تاريخنا فإنه لم يحظ من المؤرخين المحدثين بالعناية التي تستحق وأهميته ، فقد تجاهل المؤرخون والباحثون سواء في مصر أو في الدوائر العلمية في الغرب (١) الفترة الطويلة التي قضتها مصر تحت الحكم العثماني قبل عهد محمد علي ، وقد مالوا الى اعتبار هذه الفترة غير جديرة بالدراسة الجدية وقنعت أسرة محمد علي في مصر بتشجيع الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخها الخاص (٢) .

وقد شاع بين المؤرخين والباحثين أن مصر قد اصابها في العصر العثماني اضمحلال سرى في كيائها وتغلغل في شتى نواحي حياتها فأدى هذا الى انصرافهم عن الاهتمام بتناول الحياة فيه وآثروا بالدراسة العصر السابق له وهو العصر الاسلامي حيث كانت الحياة أدنى الى الازدهار ، والعصر التالي له الذي حفل بأحداث الصراع الوطني ضد الاستعمار الأوروبي الحديث (٣) وبذلك زاد هذا العصر ظلما على ظلامه .

(١) لم يبدأ الاهتمام بشكل جدي في الدوائر العلمية في الغرب بتاريخ مصر العثمانية الا في السنوات الأخيرة .

(٢) د . ستانفورد ج . شو .

الوثائق المصرية في العهد العثماني ١٩١٧م/١٩١٤م .

مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الثاني الجزء الأول مايو ١٩٥٦ ص ١٤٧ .

(٣) أحمد البديري : حوادث دمشق اليومية .

تحقيق ونشر : الدكتور أحمد عزت عبد الكريم .

من مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . القاهرة ١٩٥٩ م ص ٦

من المقدمة .

وقد ساعد على هذا الاهمال افتقار هذا العصر الى المؤرخين العمالة الذين حفل بهم العصر السابق له (١) مع صعوبة الوصول الى المصادر الأصلية التى ينبغى أن تكون فى متناول الباحث فى هذا العصر .

فالوثائق الرسمية له والتى يوجد أكثرها وأهمها فى دار المحفوظات بالقلعة مازالت تحتاج الى جهود كبيرة لاعدادها للباحثين بتصنيفها وترجمة المدون منها بخط القرمة . فقد كانت سجلات المالية الصادرة من ديوان الدفترى وديوان الروزنامة تكتب بخط القرمة من أجل توفير السرية لها ، وهذا الخط لا يستطيع أن يقرأه شخص قادر على قراءة الخطوط العربية العادية بلا درس خاص وفك رموزه هو المشكلة الرئيسية التى تواجه الباحث فى تاريخ مصر العثمانية .

وتمتاز الحروف فى خط القرمة (٢) بقصرها واستطالتها وتستعمل فيه رموز لا حصر لها فى اتصال حرفين وثلاثة (٣) .

(١) من المؤرخين العمالة الذين حفل بهم العصر المملوكى من سنة ١٢٥٠م :
١٥١٧م .

المؤرخ	اشهر مؤلفاته
١ - ابن حجر	الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .
٢ - المقريزى	المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
٣ - ابن فضل الله العمري	مسالك الإبصار فى محالك الأوصار
٤ - ابن اياس	بدائع الزهور فى وقائع الدهور
٥ - القلقشنندى	صبح الأعشى فى صناعة الانشا
٦ - السخاوى	التبر المسبوك فى ذيل السلوك
٧ - أبو المحاسن بن تغرى بردى	النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
٨ - ابن خلكان	وفيات الأعيان
٩ - جلال الدين السيوطى	حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة .

د . محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى/التاسع الهجرى .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٤ (طبعة ثانية) .

(٢) عن نماذج لخط القرمة : انظر ملحق رقم ١ ص ١٥٧ .

(٣) تمكنت من فك رموز هذا الخط بمحاولة قراءة نماذج مختلفة من الوثائق المدونة به وساعدني على ذلك :

ان الاصطلاحات الادارية والجميل المستخدمة فى هذه الوثائق محدودة العدد نسبيا ومكررة أكثر من مرة فى سجلات الموضوع نفسه .

ومعظم الوثائق الخاصة بمصر العثمانية مدونة أما بخط القرمة أو باللغة التركية القديمة الوثائق مما يجعل من العسير على الباحثين (١) الاستفادة من هذه الوثائق .

ويجب الإشارة الى أن السجلات الموجودة في القلعة مختصرة جدا في معلوماتها وهي تقدم تفسيراً ضئيلاً لمعاني المصطلحات المالية والإدارية التي تتضمنها ويمكن فهم معانيها في أحوال كثيرة بالاستعانة بأصولها العلمية خصوصاً تفسيرات علماء الحملة الفرنسية التي تركها نابليون في مصر والتي أخرجت مؤلفها الضخم عن مصر كتاب وصف مصر :

Description De L'Egypte

وتتضمن سجلات القلعة طائفة عظيمة من المعلومات الإدارية والمالية غير أنها :

لا تلقي ضوءاً على الفساد التدريجي الذي دب في نظام الحكم في مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر نتيجة لانحلال السلطة العثمانية وازدياد الطغيان وإساءة حكم الأوجاقات .

وذلك لأن هيئات الإدارة كما هو مقيد في السجلات لم تتغير ، فضلاً عن ذلك فهي كلها وثائق كانت تصدرها السلطة المركزية في القاهرة ، فهي على أهميتها لا تقدم صورة كاملة للحياة في مصر في العصر العثماني لأن وثائق الإدارة المحلية لم تجمع بعد أو تتوافر في محفوظات عمومية .

وإذا كانت دار المحفوظات تشتمل على وثائق ذات أهمية كبرى من الناحيتين المالية والإدارية فإن الجزء الباقي من تلك الوثائق الخاصة

= بالإضافة لوجود دليل لاستعمال خط القرمة ومعاني المصطلحات الحسابية التي تتضمنها السجلات في دار المحفوظات .

ومما ساعدني أكثر على قراءة خط القرمة التي عثرت بين وثائق دار الوثائق القومية ببغدادين (قبل نقلها الى القلعة) على مجموعة حجج صادرة من المحاكم الشرعية وخاصة بفرافغ بعض الملزمين عن إلتزامهم لأخوين وهذه الحجج مدونة باللغة العربية ومرفق بكل منها صورة التقسيط الأصلي - بخط القرمة - الذي أخذ به الملزم أرضه . وبمقارنة الأسماء في الحجة الشرعية بما يقابلها في التقسيمات الأصلية وبمقارنة المصطلحات الإدارية في الاثنين أمكن لي حل الكثير من رموز خط القرمة .

(١) لمحمد محمد توفيق : رسالة عن خط القرمة : وهي غير منشورة وكانت بجامعة القاهرة وقد بحثت عنها طويلاً في مكتبة الجامعة ولكني لم أستطع العثور عليها .

بتاريخ مصر العثمانية موجود فى المحكمة الشرعية ووزارة الاوقاف وهو ذو أهمية فى الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية (١) .

وإذا ما تركنا الوثائق واتجهنا الى ما كتبه المعاصرون من أبناء البلاد انفسهم فى تاريخ هذا العصر لوجدناه قدرا ضئيلا فقد بعضه وتسرب البعض الآخر الى الخارج .

والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي الذى ينتمى الى أواخر العصر العثمانى يؤكد هذا فبعد ان عدد كتب التاريخ التى يعرفها ذكر أن (هذه صارت أسماء من غير مسميات فأننا لم نر من ذلك كله الا بعض أجزاء مدمشة بقيت فى بعض خزائن كتب الاوقاف بالمدارس مما تداولته أيدي الصحافيين وباعها القومة والمباشرون ونقلت الى بلاد المغرب والسودان) (٢) .

كذلك أدت كثرة الفتن فى العصر العثمانى والنزاع بين الفرق العثمانية والبيوتات المملوكية الى اتلاف الكثير من المكتبات وفى ذلك يقول الجبرتي :

(ثم ذهبت بقايا البقايا فى الفتن والحروب وأخذ الفرنسيين ما وجدوا الى بلادهم (٣)) .

وقد سجل الرحالة الأجانب (٤) الشئ الكثير عن مصر العثمانية ورغم أهمية ما كتبه هؤلاء الرحالة عن تلك الفترة فانه يجب على الباحث أن يأخذ بحذر شديد فالأوروبيون بسبب الأوضاع العامة فى مصر العثمانية لم يتمكنوا من التغلغل فى الحياة المصرية ودراساتها دراسة

(١) د. ستانفورد ج. شو S. G. Shaw.

الوثائق المصرية فى العهد العثمانى .

مجلة معهد المخطوطات العربية لسنة ١٩٥٦ ص ١٥٥ .

(٢) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . طبعة بولاق

سنة ١٢٩٧هـ ج ١ ص ٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٦ .

(٤) زار مصر العثمانية عشرات من الرحالة من مختلف الأجناس منهم :

James Bruce

(١٧٦٩م) الانجليزى

Vansleb

(١٦٦٢ ، ١٦٧٢) المانى الاصل فرنسى الجنسية

Norden

(١٨٠١م) الدانمركى .

Volney

(١٧٨٢ ، ١٧٨٥) فولنى الفرنسى

Pococke

(١٧٤١ - ١٧٣٧م) الانجليزى

وافية ، وأحيانا كان يشوب كتابات هؤلاء الرحالة الهوى أو النفاق أو غير ذلك مما يشوه المادة التاريخية .

بالرغم من المشاق التي يلاقيها الباحث في تاريخ مصر العثمانية فإن أهمية وجدة وطرافة المعلومات التي يحصل عليها تهون عليه مهمته وتشجعه على المضي في دراسة هذا العصر .

وقد وجه استاذنا الدكتور أحمد عزت عبد الكريم الدعوة لقيام حملة علمية منظمة للكشف عن المصادر الأصلية للتاريخ العربى فى العصر العثمانى وخاصة فى العهد الأول منه .

(أى من أوائل القرن السادس عشر الميلادى حتى القرن التاسع عشر) وهو العهد الذى نال أكبر نصيب من اهمال المؤرخين المحدثين (٢) .

وتلبية لدعوة استاذنا الفاضل وبتوجيه كريم منه أقدم هذا المؤلف المتواضع لجلاء جانب من جوانب حياة المجتمع المصرى فى العصر العثمانى .

وأرجو أن يكون هذا البحث لبنة فى البناء التاريخى الذى دعا استاذنا لإقامته .

يتناول هذا الكتاب حياة شخصية عربية عاشت فى الصعيد فى النصف الأول من القرن الثامن عشر م ونحو عشرين عاما من النصف الثانى منه تلك هى شخصية شيخ العرب همام بن يوسف زعيم قبائل الهوارة التى نزلت الصعيد (٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) واستقرت به وكانت لها به سطوة ونفوذ كبير .

وقد كان الهوارة اقوى قبائل الصعيد بأسا واكثرها استقرارا واقدرها على العمل السياسى .

وقد اشتهر الشيخ همام بأنه اقوى الشخصيات العربية التى سيطرت على الصعيد فى القرن الثامن عشر .

غير أن أهمية الشيخ همام لا ترجع الى سيطرته على الحكم فى الصعيد ، بقدر ما توضح لنا الترجمة لتلك الشخصية الفريدة فى نوعها نظام الحياة فى الصعيد فى تلك الفترة خاصة ، وفى العصر العثمانى عامة ، والقوى التى تنازعت السلطة فيه ، وعلاقاتها بالهيئة الحاكمة فى

(١) البديرى : حوادث دمشق اليومية . تحقيق : الدكتور أحمد عزت عبد الكريم
المقدمة ص ٦ .

القاهرة وكيف كان لنظام الالتزام أثر كبير في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر العثمانية عامة أو في الصعيد خاصة .

وقد أشار بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في تلك الفترة الى شخصية الشيخ همام والى ما كان يتمتع به من ثراء وسلطة واسعة في الصعيد .

وقد قدم لنا الجبرتي ترجمة مستفيضة (١) للشيخ همام في كتابه عجائب الآثار أشار فيها الى ما كان من كرم هذا الشيخ وعنايته الزائدة بأكرام الضيوف وصلة المحتاجين واکرام العلماء والى ما كان عنده من ادارة واسعة منظمة تحوى جيشا من الموظفين ، وقدم الجبرتي أيضا وصفا للصراع بين الشيخ همام وعلى بك الكبير وعلاقات همام والهواره مع الأمراء المماليك ونهاية همام واسرته وكيف ادار على بك الصعيد بعد القضاء على همام .

وبالرغم من أهمية تلك الشخصية فقد اکتنف الغموض حقيقتها (٢) ولم تحظ من الباحثين في تاريخ العصر العثماني بالعناية التي تستحقها وقد شاقني كثيرا أن أبحث حياة الشيخ همام لجلاء الغموض الذي اکتنف حياته ، وحقيقة دوره في حياة الصعيد في تلك الفترة الغامضة من تاريخنا القومي .

كان الشيخ همام زعيما لقبائل الهواره التي وفدت الى مصر من المغرب والتي استقرت أولا في منطقة البحيرة ثم قام زعيمها بدر بن سلام بثورة كبيرة على عهد الأمير برقوق (٣) في (٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) حيث

(١) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ .

(٢) U. A. R. GIBB and Harold Bowen, Islamic society and the west a study of the impact of western civilization on Moslem culture in the Near East.

London Oxford U.R. 2 edition 1962 Vol, 1, p, 228.

(٣) السلطان برقوق (٧٨٤هـ - ٨٠١هـ / ١٣٨٢م - ١٣٩٨م)

هو مؤسس الدولة المملوكية الثانية أو دولة المماليك الجراكسة وضع نهاية بيت قلاوون وقد امتاز بعقلية فذة وشخصية قوية ، وقد قدم الجراكسة وأكثر من استجلابهم ، وشحن حرب اباداة على العناصر التركية وقد قام بمحاولات ناجحة في سبيل ازالة سلطان المماليك الأتراك واحلال الجراكسة محلهم في مصر والشام وقد نجح في ذلك وأعلن نفسه سلطانا بالقاهرة ودمشق سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م .

د. حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية .

دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٦٧م .

كان برقوق اتابكا (١) وقد امتنع بدر بن سلام عن اداء التزاماته واهمها جباية الخراج ووجد الفرصة مواتية لاعادة النفوذ العربى الى مصر فهاجم دمنهور فى خمسة آلاف رجل نهبوا اسواقها ، وبيوتها وخربوا قراها وضياعها ، وظل برقوق عاجزا عن قمع الثورة لانشغاله فى مقاومة المماليك الترك (٢) .

ولكنه ما ان انتهى من ذلك حتى وجه حملة ضخمة الى بدر بن سلام قضت على ثورته وهرب بدر بن سلام الى برقة واخرج برقوق باقى عربان الهسواراة الى الصعيد (سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) (٣) واقطعهم منطقة جرجا اتقاء لشرهم ودفعوا لهم الى الهدوء والاستقرار ، وقد كانت تلك المنطقة وقتئذ منطقة خربة فقام الهوارة بتعميرها واستقروا بها واشتغلوا بزراعة قصب السكر فأثروا من وراء ذلك ثراء طائلا لأنه محصول نقدى هام .

وقد استقرء الهوارة فى الصعيد ، وبفضل ما تمتعوا به من ثراء سيطروا على حياة الصعيد ، وواصلوا سياسة التمرد ضد الحكومة

(١) الاتابك :

هو القائد العام للجيش المملوكى ، وكان لقب اتابك يطلق عند السلاجقة على المؤدب او المربى أو الوصى ثم أصبح من القاب التشريف التى تخلع على كبار الأمراء حتى غدا فى عصر المماليك لا يطلق الا على قائد العسكر ومن الواضح أن صاحب هذه الوظيفة تمتع بنفوذ كبير ولكلمة عالية فى الدولة بوصفه رأس الجيش وصاحب القوة الضاربة بين كبار الأمراء .

ولا أدل على نفوذ الاتابكية وقتهم من أن كثيرا منهم وصلوا الى عرش السلطنة اما عن طريق الاغتصاب ، أو بفضل قوتهم .
أما اذا ولى الحكم سلطان قاصر فانه كان يصبح العوبة فى يد اتابك الجيش يتحكم فيه كيفما شاء .

د . سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المالىكى فى مصر والشام .
دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٥ طبعة أولى ص ٣٥٤ .

(٢) المماليك الترك :

هم ممالك الدولة المملوكية الأولى وهم من الخوارزمية والتركمان والتتار وقد بدأت دولهم ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م وانتهت ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م بقبسامة دولة المماليك الثانية أو دولة المماليك الجراكسة .

د . حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية ص ١٢ .

(٣) محمد مرتضى الزبيدى : شرح القاموس المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس القاهرة ١٣٠٦هـ . ج ٣ ص ٦٣٤ .
وسليماني عبد الرحمن : مقال : لقب أمير الصعيد صحيفة البلاغ ١٩٣٤/١/١٥ ص ٥٧ .

الملوكية واثارة ثائرتها ضدهم بتمردهم احيانا ، وامتناعهم عن تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم فى احيان أخرى وأيضا مهاجمة الاقطاعات الملوكية .

وقد واصل المماليك بالتالى ارسال الحملات العسكرية لتأديب الهوارة والقضاء على تمردهم وسأفصل الحديث عن ذلك فى الفصل الأول الخاص بالهوارة فى الصعيد .

وقد كانت ثورات الهوارة فى العصر الملوكى بقصد التطلع للاستيلاء على الحكم كشأن كل القبائل العربية فى مصر حينئذ فما أكثر ما ثارت القبائل العربية فى العصر الملوكى من بدايته الى نهايته متطلعة الى الاستيلاء على الحكم معتبره نفسها أحق به من الحاكمين .

وقد بدأت ثورات العرب مع بداية العصر الملوكى فى مصر فقد عملوا منذ البداية على تعويق قيام الدولة الملوكية الأولى وهدمها فى مهدها على عهد عز لدين أيبك ٦٦٨/٦٥٥ هـ / ١٢٥٠م/١٢٥٧م فقام عرب الصعيد بثورة كبيرة ضد المماليك سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣م .

وكانت تلك الثورة أهم الثورات العربية فى مصر فقد اشترك فيها عرب الصعيد والوجه البحرى وكانت بقيادة الشريف حصن الدين ثعلب بناحية دهروط صربان (١) وقد نادى العرب فى هذه الثورة بأنهم أصحاب البلاد (٢) وامتنعوا عن دفع الخراج وأعلنوا أنهم أحق بالملك من المماليك وطلبوا المساعدة من الملك الناصر الأيوبى صاحب دمشق للقضاء على دولة المماليك بمصر .

(١) دهروط صربان :

تسمى تلك الناحية دروت صربام ، دروط صربان ، ذروة صربام ، ودروط الشريف لأن صاحب هذه القرية هو الشريف ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن يعقوب بن أبى جميل ابن جعفر وهو رئيس الجماعرة ومن ذريته الأمير حصن الدين ثعلب صاحب الثورة المشهورة ، ودهروط هى ديروط الحالية إحدى مراكز محافظة أسيوط .

على مبارك :

الخط الجديد التوفيقية لمصر القاهرة ومدتها وبلادها القديمة والشهيرة . المطبعة الامبرية بولاق سنة ١٣٠٥هـ الطبعة الأولى ج ١١ ص ٤ .

(٢) أحمد بن على المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك .

صححه ووضع حواشيه . محمد مصطفى زيادة . مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٤م ج ١ ص ٣٨٦ .

وقد انتهت تلك الثورة بالفشل لمواجهة المماليك لها بأقصى وسائل القمع والشدة وقبض على زعيم الثورة الشريف حصن الدين وسجن بالاسكندرية . .

وزاد المماليك القود (١) والقطيعة (٢) المفروضة على العرب .

ورغم ما لقيه العرب من أنواع التنكيل والتعذيب في الثورة السابقة فانهم لم ينقطعوا عن الثورة واعتبار أنفسهم أرفع مكانة من المماليك وأولى منهم بالحكم والولاية .

وكانت أهم الثورات العربية من هذا القبيل . . ثورة عرب الصعيد (٣) (سنة ٧٠١ هـ - ١٣٠١ م) في مدينتي منفوط واسيوط تلك الثورة التي رصل العرب فيها الى حد فرض ضريبة على أبواب الحرف واحتقار الحكام وتعطيلهم عن جمع الأموال واتخاذ رئيسين لهم سموهما بأسماء مملوكية (بيبرس ، سلار) .

وقد ادرك المماليك خطورة تلك الثورة فقاموا باخمادها بكل سرعة وبكل شدة وعنف :

فهزم العرب وجردوا من أموالهم وأملاكهم ومع ذلك تكررت ثورات القبائل العربية في الصعيد وكان آخر تلك الثورات ثورة ابن الاحدب (٤) شيخ قبيلة عرك بالصعيد سنة ٧٥٤ هـ - ١٣٥٣ م بهدف السيطرة على منطقة الصعيد .

وواجه المماليك أيضا هذه الثورة كسابقاتها بأقصى وسائل القمع والتعذيب ومصادرة الاموال وقتل الرجال .

ولم يقتصر تطلع العرب الى الاستيلاء على الحكم على عرب الصعيد وحدهم بل كان الأمر كذلك بالنسبة للعرب في جميع انحاء مصر .

(١) القود :

هو ما تبعت به قبائل العرب الى الملوك من الخيل والابل والحيوانات العريضة .
على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١١ ص ٤ .

(٢) القطيعة :

ما يفرضه السلطان على ولاية أو ناحية من المال سنويا أو ما يقرره في أحوال غير عادية كالغرامة الحربية .

على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١١ ص ٤ .

(٣) القرينى : الملوك ج ١ ص ٩١٥ .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور .

المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٣١١ هـ طبعة أولى ج ١ ص ٢٠٠ .

ويحفل تاريخ ابن اياس بذكر الكثير من حركات التمرد التي كان يقوم بها عربان البحيرة والشرقية ضد السلطات المملوكية . وقد سجل ابن اياس عن تمرد عربان البحيرة الشيء الكثير وكانت أهم حركات تمرد أولئك العربان ما وقع في أعوام : -

٦٩٩هـ ، ١٢٩٩م ، ٧٨١هـ - ١٣٧٩م ، ٧٨٢هـ - ١٣٨٠م ، ٧٨٣هـ
١٣٨١م ، ٨٠٤هـ - ١٤٠١م ، ٨٧٢هـ - ١٤٦٧م ، ٨٧٥هـ - ١٤٧٠م ،
٨٩٢هـ - ١٤٨٦م .

وقد أذاق عربان الشرقية (١) المماليك شر العذاب بتمردهم الدائم عليهم ، وتربصهم المستمر بهم وقد وقع من شيخ عربان الشرقية ابن بقر وأولاده - الكثير من حركات التمرد ضد السلطنة المملوكية .

وقد كان العرب ينتهزون أى فرصة ينشغل فيها المماليك بمشاغل داخلية أو خارجية فيثورون متطلعين للاستيلاء على الحكم كما حدث عند وفاة السلطان الغورى فقد انتهز عربان الشرقية فرصة اضطراب المماليك ونهبوا كثيرا من البلاد (٢) وخلال اشتباك جيوش السلطان قايتباى مع العثمانيين استهان العرب بالمماليك (وزاد طمعهم فى الترك (٣)) .

ولكن القسوة المتناهية التى واجه بها المماليك ثورات العرب التى كانوا يهدفون من ورائها الى الاستيلاء على الحكم أدت تلك القسوة واستخدام أشد وسائل القمع الى اخماد ثورات العرب واضعاف شوكتهم حتى أن العهد التالى وهو العهد العثمانى لم يشهد أى ثورة يقوم بها العرب للاستيلاء على الحكم بل اقتصرتم حركات العرب فى مصر على التمرد بقصد التحلل من تقديم ما عليهم من أموال للدولة وحركات أخرى كان يقوم بها العرب البدو وهى حركات نهب وسلب للأموال دون أن يكون هدف أى الفريقين الاستيلاء على الحكم .

وفى العهد العثمانى فرض الهوارة نفوذهم وسيطرتهم على الصعيد بتولى شيوخهم حكم الصعيد فى البداية ثم توليهم ادارة معظم أراضى الصعيد بالالتزام مما هيا لهم نفوذا واسعا وسيطرة كبيرة فى ظل السيادة العثمانية .

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٤ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٥٤ .

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٢ .

وقد صحب زيادة نفوذ الهوارة توسيع اقليم جرجا بتوحيد أقاليم الصعيد كلها من المنيا الى أسوان تحت امرة حاكم جرجا فأصبحت ولاية جرجا تشمل أراضى الصعيد كلها رغبة من السلطات الحاكمة فى تقوية سلطة حاكم جرجا لمواجهة خطر القبائل العربية النازلة بالصعيد والمنتشرة بأرجائه (١) والتي وافق منها الصعيد مزاجا خاصا (٢) .

وفى العصر العثمانى المملوكى كان الهوارة يرجحون دائما الكفة التى ينضمون اليها من الأمراء المماليك المتنافسين ، وكانت صلة الهوارة بحاكم جرجا تتأرجح بين المهادنة أحيانا والتمرد والعداء فى أحيان أخرى .

وفى الحالة الأولى كانوا يمثلون ساعده الأيمن فى تطلعاته ضد حكومة القاهرة وكانوا يصحبونه اليها لتنفيذ أغراضه بها .

وفى الحالة الثانية . .

كانوا يمتنعون عن تقديم المال والغلال المطلوبة منهم ويشيرون القلق فى نفسه وفى نفوس حكام القاهرة .

وقد تمتع الصعيد بوضع خاص فى العصر العثمانى المملوكى وكانت له أهمية بالغة لكونه مركز تموين القطر كله بالغلال ، ولوجود كثير من القبائل العربية به ولكونه ملجأ لكل الأمراء المنفيين والتمرديين يهربون اليه ويحاولون الاستعانة بسيوف العرب وسواعدهم فى استعادة مراكزهم وما كانوا يتمتعون به من نفوذ .

وبين قبائل الهوارة وفى تلك الظروف نشأ شيخ العرب همام ابن يوسف الذى بدل حياة الهوارة والصعيد من القلق والتأرجح بين المتنافسين الى الهدوء والاستقرار والأمن والعدالة .



(١) (SHAW) : S. G. The financial and administrative organization and development of ottoman Egypt 1517-1798. Princeton U.P. 1962, p. 15.

(٢) سليمان عبد الرحمن مقال لقب أمير الصعيد البلاغ ١٩٢٤/١٥ ص ٥٧ .

مصادر الكتاب

عندما توجهت لبحث موضوع شيخ العرب همام رأيت أن أبحث عن أسباب ثراء هذا الشيخ وكيف تمت له السيطرة على أراضي الصعيد من المنيا الى أسوان .

فكانت رحلاتي الى أحفاد الشيخ همام يفرسوط حيث يوجد أحفاد همام من نجليه شاهين ودرويش وزرت بهجورة حيث يوجد أحفاد همام من نجله عبد الكريم (١) .

وقد تجولت في محافظة قنا وقراها عند أقارب الشيخ همام في قنا نفسها وفي شمنهور والرئيسية والشاورية وهو ، سمهود ، الخلافى ٠٠٠٠ وغيرها من قرى قرى .

وقد زرت تلك المناطق ثلاث مرات بحثا عن وثائق تفيد في موضوع البحث .

وفعلا حصلت من أحفاد همام وأقاربه على مجموعة طيبة من الحجج الشرعية الصادرة من المحاكم الشرعية في القاهرة ومحاكم الصعيد : -

١ - حجج من أحفاد همام

وهي حجج خاصة بعلاقة الشيخ همام بالفلاحين في الصعيد . .
اتضح لي منها كيف كان همام يعامل فلاحيه معاملة طيبة سواء أكانوا هواره أو عربا آخرين أو فلاحين مصريين وكيف كان يمدهم بالقروض التي تساعد العاجزين منهم على زراعة أراضيهم ومن تلك الحجج أيضا اتضح لي أن الشيخ همام كان يسيطر على معظم أراضي الصعيد من المنيا الى أسوان وأنه بلغ حدا من القوة والنفوذ جعله يرغم الأمراء المماليك على التنازل له عن أراضيهم في الصعيد .

ومن تلك الحجج أيضا اتضح لي ما كان عليه الهواره وهمام من ثراء طائل وقوة ونفوذ في الصعيد وما كان لهما من إدارة واسعة حافلة بالموظفين وما كان له من نفوذ على أهالي الصعيد .

(١) زرت أحفاد الشيخ همام ثلاث مرات في أعوام ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٨ .

٢ - حجج دفتر خانة محكمة قنا الشرعية

وقد زرت دفتر خانة محكمة قنا الشرعية حيث اطلعت على بعض الحجج الصادرة من محاكم الصعيد والتي اتضح لى منها ما كان عليه الهوارة من ثراء وأوقافهم الهامة و ثراء همام وأصل ونسب الهوارة .

٣ - دار المحفوظات بالقلعة

تم درست وثائق الالتزام الزراعى الخاصة بالصعيد (١) والموجودة فى دار المحفوظات بالقلعة بالقاهرة ابتداء من عام ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٨ م حيث يبدأ أول دفتر للالتزام الى عام ١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م وهى السنة التى بدأ فيها محمد على إلغاء التزامات الأراضى الزراعية .

وقد تتبععت فى هذه الدفاتر نحو سلطة همام كملتزم وتوسعه فى أراضى الصعيد .

وقد اتضح لى من هذه الدفاتر فئات الملتزمين فى ولاية جرجا قبل ظهور الهوارة كملتزمين لأراضى الصعيد وكيف امتدت أراضيهم من المنيا الى أسوان واتضح لى من تلك الدفاتر أن الشيخ همام قد ورث عن ابيه الشيخ يوسف أراضى واسعة شملت معظم أراضى الصعيد عن طريق حيازتها بنظام الالتزام وكيف ظهر همام فى البداية مشاركا لوالده وللهوارة الآخرين والمماليك والأمراء العرب الآخرين فى أراضى الصعيد ثم كيف نمت سلطة همام حتى نحى هؤلاء الشركاء عن الميدان وانفرد هو بمعظم أراضى الصعيد من المنيا الى أسوان ، ثم مصير تلك الأراضى بعد وفاة الشيخ همام وكيف أدار على بك الصعيد بعد القضاء على همام .

٤ - دفتر خانة المحكمة الشرعية بشبرا بالقاهرة

ثم بحثت فى دفتر خانة المحكمة الشرعية بالقاهرة (٢) عن حجج تفيد فى موضوع همام فعثرت على بعض الحجج الشرعية الصادرة من محكمة يالالباب العالى بالقاهرة والتي أوضحت لى كيف وصل همام الى حد من القوة والنفوذ فى الصعيد دفع كبار الأمراء المماليك الذين

(١) قمت بدراسة دفاتر التزامات الولايات القبلية بدار المحفوظات بالقلعة فى المدة من ١٩٦٦/٥/٤ الى ١٩٦٧/٨/١٣ .
(٢) ترددت على دفتر خانة المحكمة الشرعية بالقاهرة فى المدة من مايو ١٩٦٧ الى أغسطس سنة ١٩٦٧ .

كانت لهم أراض أخذوها بالالتزام في الصعيد الى التنازل عنها
طواعية للشيخ همام لادراكهم لأنه سيكون هو المسيطر على الصعيد
وصاحب النفوذ والسلطة فيه .

٥ - وثائق دار الوثائق القومية بعابدين

ثم درست مجموعة من تقاسيط الالتزام الموجودة في دار الوثائق
القومية بعابدين (١) (قبل نقلها الى القلعة) ومنها أمكن لي حل الكثير
من رموز خط القرمة لأن هذه التقاسيط كان مرفقا بها حجج شرعية
خاصة بالتنازل عما تحويه تلك التقاسيط من أراض لحائزين جدد
وبيانات هذه الحجج باللغة العربية وبمقارنة البيانات في الحجة الشرعية
والتقسيط الأصلي أمكن لي معرفة الكثير من رموز خط قرمة وحلها .

بالإضافة الى أن هذه التقاسيط والحجج قدمت لي فكرة واضحة
عن حركة توارث أراضى الالتزام .

٦ - المصادر التاريخية

وبدراسة الوثائق والمصادر التاريخية مثل تواريخ الجبرتي
والمقريزي والقلقشندي أبو المحاسن ، السخاوي ، ابن اياس ، ابن زبيل ،
الاسحاقى ، الخشاب ، مصطفى ابراهيم عزبان وكتب الرحالة أمثال
جيمس بروس ، فانسليب وفولنى اتضح لي : -

ان الشيخ همام تمتع بنفوذ واسع في الصعيد استمدته من ثرائه
الطائل ومن عصبيته القبلية بزعامته لقبائل الهوارة ذات النفوذ الواسع
في الصعيد ، وأن الشيخ همام تمتع بسلطة واسعة في الصعيد فكان
هو الحاكم الفعلى له بالرغم من بقاء مظاهر الادارة العثمانية كما هي كما
كان الأمر بالنسبة للحكم الفعلى للممالك في القاهرة بالرغم من بقاء
الوالى العثمانى بشكل ظاهرى (٢) وقد أخذ همام لقب الامارة تجاوزا
لاستمداده سلطته من الأمير المملوكى حاكم جرجا (٣) .

(١) قمت بدراسة تقاسيط الالتزام والحجج الموجودة بدار الوثائق القومية بعابدين
فى المدة من ١٩٦٧/٤/٩ الى ١٩٦٧/٧/٢٣ .

(٢) أحمد لطفى السيد ، لقب أمير الصعيد بين الكنوز والهوارة - البلاغ
١٩٣٤/١/٢٠ .

(٣) محمد الفنىمى التفتازانى ، اماره الصعيد تاريخ هوارة وعلاقتها بهذا اللقب -
البلاغ ١٩٣٤/١/٢٧ .

وقد تمتع همام بشخصية ساحرة (١) امتازت بالكرم والسخاء والعدل والفطنة ، وحسن السياسة مما مكنه من تألف قلوب الناس فى الصعيد عربا كانوا أو فلاحين بل وحكام جرجا من الأمراء المماليك مثل صالح بك القاسمى .

وقد سيطر همام على أراضى الصعيد وعلى مسالك التجارة فيه مثل طريق القصير الذى كان يتم عن طريقه نقل جانب من التجارة الهندية الى مصر (٢) .

وقد كسب همام ود القبائل العربية النازلة فى الصعيد ومضى يبنى قوته وسط رضى الجميع .

وقد قدمت له سلطته كملتزم عليه توفير الامن المحلى وتنظيم استغلال الأرض ، وتحصيل الضرائب من الفلاحين قدمت له تلك السلطات الشئ الكثير من القوة والنفوذ وقد وصل همام الى حد من القوة مكنه من الدخول فى علاقات قوية مع كبار الأمراء المماليك فصادق بعضهم مثل عثمان بك القفارى ، صالح بك القاسمى وتحدى بعضهم وأرغمه على التنازل عن أراضيه مثل الامير ابراهيم جاويش وغيره من كبار الأمراء المماليك .

وبرغم ما وصل اليه الشيخ همام من سلطة ونفوذ وسيطرة على الصعيد فان ذلك لا يدعونا الى المبالغة فى تصوير ذلك النفوذ وأنه مكن همام من :

فصل الصعيد عن الوجه البحرى وأن همام أقام دولة منفصلة بالصعيد استمرت من ١٧٦٥ م - ١١٧٩ هـ الى ١٧٦٩م - ١١٨٣ هـ كما ذهب الدكتور لويس عوض (٣) .

فدفاثر الالتزام بالقلعة تؤكد أن الشيخ همام كان تابعا للدولة فى هذه الفترة وكان يؤدى اليها بانتظام ضرائب الارض التى اخذها منها بالالتزام فقد أوردت دفاثر التزامات الولايات القبلية فى السنوات

(١) محمد رفعت رمضان ، على بك الكبير : القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥٠

ص ٥٠ .

(٢) أحمد لطفى السيد : قبائل العرب فى مصر العليقات والجعافرة وقبائل أخرى ،

القاهرة ١٩٣٥م ص ٨٣ .

(٣) د. لويس عوض . المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث ج ١ ص ٢١

من المقدمة .

السابقة اسم الشيخ همام بن يوسف كالعادة امام الاراضى التى كانت
فى التزامه ولم تشر الدفاتر الى وقوع أى تغيير وهى :

عين

	دفتر رقم ٤٦٠	٨	لسنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م
	دفتر رقم ٥١٧	٨	لسنة ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م
بالمخزن	دفتر رقم ٥١٨	٨	لسنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م
التركي	دفتر رقم ٥٢٠	٨	لسنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م
	دفتر رقم ٥٣٥	٨	لسنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م

وقد قدم لى احفاد همام حجة شرعية من محكمة الباب العالى
بالقاهرة وخاصة :

بتنازل على بك الكبير للشيخ همام عن معظم اراضى قرية بنى نصر
بمنفلوط .

والحجة بتاريخ أول رجب ١١٨٢ هـ - ١٧٦٨م (١) فلو كان الشيخ
همام قد انفصل بالصعيد فى تلك الفترة لما أمكن أن تصدر مثل هذه
الحجة بل لساءت أو بالأحرى انقطعت العلاقات بين على بك والشيخ
همام .

وقد ذهب الدكتور لويس عوض أيضا الى أن الجبرتنى وصف
الشيخ همام بصفة الملكية (٢) حين لقبه . « بالامير شرف الدين » (٣) .

وفات الدكتور لويس أن هذا اللقب لم يستخدم للدلالة على الادارة
أو الملكية فى العصر العثمانى المملوكى الذى عاش فيه همام وانما استخدم
بهذا المعنى فى عصر سابق له وهو العصر الفاطمى وأن الجبرتنى حينما لقب
همام بذلك اللقب انما كان يقصد التفخيم فقط .

(١) هذه الحجة سلمها لى احفاد همام وهى منشورة بالملاحق - ملحق رقم ٢
ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) د . لويس عوض : المؤثرات الاجنبية ج ١ ص ٣ من المقدمة .

(٣) الجبرتنى : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ .

ودهب الدكتور لويس عوض أيضا الى أن همام قد أقام
جمهورية (١) فى الصعيد مستندا الى :

وصف رفاة الطهطاوى لامارة همام بأنها كانت جمهورية
التزامية .

وقد اتضح لى من البحث أن الشيخ همام لم يطبق نظام حكم
جمهورى فى الصعيد .

وأن حكم همام كان سلطة واسعة ونفوذا كبيرا قدمته له سلطته
كملتزم لمعظم اراضى الصعيد من المنيا الى أسوان بالإضافة الى ما كان
يسنده من عصبية قبلية قوية فى منطقة كان لقبيلته فيها سابق السيادة
فى العصر المملوكى ولم يكن همام ولا معاصروه يعرفون معنى الحكم
الجمهورى ولا مفهومه .

وقد كان لهماام حكومة واسعة وإدارة حافلة بالمباشرين والموظفين
لتنظيم إدارة أراضيه الشاسعة وما فيها من فلاحين تربطهم بهماام صلات
متعددة وقد اعتاد همام عقد مجالس عامة للتعرف على مشاكل فلاحيه
وأهالى الصعيد وإصدار أوامره (٢) بالحلول التى يراها لفض تلك
المشاكل والمنازعات لتسيير الامور بدقة وتنظيم الحياة فى أراضيه وقد
كانت علاقات الشيخ همام بالفلاحين تحكمها العادات القبلية بالنسبة
للعاملين فى الأرض من الهوارة وتحكمها نظم الالتزام وقواعده بالنسبة
للفلاحين الآخرين وقد كان همام عادلا مع الجميع فالكل أمامه سواء .

وفى تلك الفترة سيطر على مصر كلها ذلك الأمير الطموح على
بك الكبير الذى تطلع الى فصل مصر عن الدولة العثمانية والذى بعد أن
أعد العدة لذلك التفت الى القوى الداخلية التى يمكن أن يأتى منها الخطر
على سيادته وتلك هى قوى العرب ومن هنا كان قضاؤه على عرب الحبايبة
والهنادى (٣) بالوجه البحرى ثم تحرشه بشيخ الصعيد همام .

فقد قدر على بك بثاقب بصره أن الشيخ همام بما له من سلطة
واسعة فى الصعيد يمثل شوكة فى جنب سلطته على مصر ، وأن الشيخ
هماام وصديقه وحليفه صالح بك القاسمى حاكم جرجا حينئذ ربما كانا
السبب فى القضاء على سيادته على مصر فربما اغرت الدولة صالح بك

(١) د. لويس عوض : المؤثرات الأجنبية ج ١ ص ٦ من المقدمة .

(٢) بعض هذه الأوامر منشورة بالملاحق - ملحق رقم ٣ ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٣) الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٠٨ .

ووعده بحكم مصر ثمننا لمساعدتها فى القضاء على حكمه وربما أغرت الدولة هماما بحكم الصعيد ثمننا لمساعدتها فى تحقيق نفس الغرض .

وقد كان على بك يقدر خطورة مركز همام ويعرف مدى ما وصل اليه نفوذ همام فى الصعيد ذلك النفوذ الذى اضطر على بك نفسه للتنازل عن اراضيه فى الصعيد لهمام كما رأينا ما كان من تنازله لهمام عن أراضى ناحيية بنى نصر بمنفلوط (١) وقد حفظ على بك فى نفسه ما كان من عدااء بين همام وبين أستاذه وسيسده ابراهيم كتحدا وكيف اضطر ابراهيم كتحدا الى التخلي عن أراضيه فى الصعيد لهمام بعد صراع طويل بينهما .

لذلك ما ان تخلص على بك من آخر زملائه الذين يخشى خطرهم وهو صالح بك القاسمى حاكم جرجا وحليف همام بقتله غدرا بسويقة عصفور بالقاهرة (٢) حتى التفت الى شيخ الصعيد يريد القضاء عليه ، وتحطيم سيطرته ، ونفوذ فى الصعيد ولم يرع ما كان لهمام من سابق فضل عليه عندما آواه فى أرضه لما نفاه زملاؤه من القاهرة ، ولا ما كان من مساعدات همام له بتقديم الرجال والاموال اللازمين لاستعادة مركزه بالقاهرة والتوفيق بينه وبين صالح بك الذى ذهب معه الى القاهرة بوساطة همام وبمساعدته ، وقضى معه على منافسيه ومهد له طريق السيادة على مصر .

تفاؤل على بك عن ذلك كله ولم يذكر الا شيئا واحدا وهو خطورة مركز همام ، وانه ربما حاول فصل الصعيد عن الوجه البحرى بعد ادراكه لحقيقة نوايا على بك وغدره بحلفائه وزملائه الذين مهدوا له طريق السيادة .

وربما كان الشيخ همام قد ساورته فكرة فصل الصعيد عن الوجه البحرى نكاية فى على بك وزلزلة لحكمه لمصر ولكنه حتى وقت توجييه على بك لحملته ضده ، لم يكن قد أعلن تلك الفكرة أو افصح عن شيء منها فهو لم يعلن الحرب رسميا على على بك .

ولكنه اغرى اعداء على بك من الامراء الذين نفاهم الى الصعيد أو خرجوا اليه هاربين من وجهه وهم جماعة صالح بك وباقي القاسمية

(١) عن تلك الحجة انظر ص ١٨ من المقدمة .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٠٦ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٣٥ .

وجماعة الحشّاب والفلاح وجماعة مناو ويحيى السكرى وسليمان الجلفى
وجماعة كشكش وغيرهم ومعهم كبار الهوارة وأهالى الصعيد .

أغرى همام هؤلاء الامراء بمحاربة على بك وطلب منهم التقدم الى
اسيوط وامتلاكها تمهيدا لفصلهم الصعيد عن الوجه البحرى ومقدمة
لتقدمهم بعد ذلك اذا ما حالفهم النجاح الى القاهرة لاجلاء على بك عنها
والقضاء على حكمه نهائيا .

وقد شجعهم همام على ذلك وأمدهم بالاموال والرجال والمؤن
والذخائر .

وقدر على بك خطورة الموقف فحشد لهذه المواجهة قوة كبيرة من
الجنود والقادة وعلى رأسهم قائده المظفر محمد بك أبى الذهب وكان اللقاء
بين الفريقين فى اسيوط حيث دارت المعركة الحاسمة التى انتهت بفوز
قوات على بك وهزيمة حلفاء همام (١) .

وقد تأكد لعلى بك بعد هذا وبصورة قاطعة ان الشيخ همام هو
قوة يجب ازالتها فعلا من طريقه الفرض سيطرته الداخلية خالصة على
مصر كلها وان الشيخ همام شخص لا يؤمن جانبه . .

ومن هنا . .

كان توجيهه لقائده محمد بك أبى الذهب لمحاربة همام فى مسقط
رأسه فرشوط ، وقد قبل همام التحدى وقرر المقاومة ولكن ظروف العصر
وطابع الحياة والغدر اللذين طبع عليهما حكاهما ذلك العصر كانا السبب
فى انتهاء حياة الشيخ همام ١١٨٣هـ / ١٧٦٩ م فقد اغرى محمد بك الشيخ
اسماعيل أبو عبد الله ابن عم همام بخيائته والتخلى عنه ونشر فكرة
التخاذل بين صفوف جيش همام مقابل تولى رئاسة الصعيد بدلا من همام .

وفتت الخيانة فى عضد همام الذى قرر التقهقر الى الجنوب لتجميع
الصفوف استعدادا للمقاومة .

ولكن الحياة أدمت فؤاده فمات (مكمودا مقهورا) (٢) قرب
اسنا .

(١) محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ص ٥٢ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٣٦ .

وانتهت تلك الأيام الزاهرة التى نعم فيها الصعيد بالأمن والرخاء
والازدهار .

وسأحاول فى الصفحات التالية أن أقدم صورة لحياة الصعيد
ونظمه على عهد سيطرة الشيخ همام وكيف ادار همام اراضى الصعيد
وكيف سارت حياة الصعيد السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى تلك
الفترة .

الفصل الأول

الهوةرة فى الصعید

أصل الهوةرة - كیف نزلوا الصعید -
حیاتهم فیه وتحولهم الى قبيلة مستقرة -
علاقتهم بالممالیک ، بالعثمانيين ، وبالقبائل
العربية الأخرى فى الصعید .

الهوارة فى الصعيد

ينتمى الشيخ همام بن يوسف الى قبائل الهوارة ، تلك القبائل التى هاجرت الى مصر من المغرب فى عهد الفاطميين ، الذين شجعوا هجرة قبائل المغرب الى مصر .

وقد استقر المهاجرون فى الجانب الغربى من مصر ، غربى الدلتا ، البحيرة الفيوم وفى معظم الجهات الغربية من الصعيد .

أصل الهوارة :

وقد اختلف المؤرخون كثيرا فى تحديد معنى اسم الهوارة وأصلهم فنسب البعض تسمية الهوارة بهذا الاسم لانتسابهم الى هوار بن المثنى من حمير اليمن (١) ونسب البعض تسمية الهوارة بهذا الاسم الى ما كان من تهوور المسور بن المثنى وخروجه من مصر فى طلب ابل له فقدها فذهبت نحو المغرب وهو فى أثرها وانه لما أدرك ابتعاده عن مصر وصف عمله بالتهوور (٢) وان الهوارة نسبوا اليه لنزوله المغرب وتزوجه هناك وثناسل الهوارة منه .

وقد أرجع البعض أصل الهوارة الى البربر وأرجعه البعض الآخر الى حمير اليمن (٣) .

(١) محمد عبد الخالق البتيتى ، مقال امارة الصعيد امرة هوارة ونسبها البسلاخ

١٩٣٤/٢ ص ٣ .

(٢) أحمد بن على المقرئى : البيان والاعراب عما بارض مصر من الأعراب نشر

ومراجعة ابراهيم رمزى - القاهرة ١٩١٦ ص ٥٨ .

(٣) نفس المرجع السابق : ص ٦٠ .

أما الهوارة أنفسهم فقد كان من الشائع بينهم فى عهدهم الأول أى قبل عصر محمد على انهم ينتسبون الى دحية الكلبي من بنى كلب بن وبرة من قبيلة قضاعة من بنى مالك بن حمير بن سبأ (١) وان التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب عند غزوهم افريقية حجزوا هناك قبائل من حمير أقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنها جاءت : صنهاجة وهوارة وكتامة .

وقد نفى ابن خلدون هذا الغزو واعتبره من أوهام وأخطاء المؤرخين (٢) .

وابتداء من عهد محمد على . . .

حاول الهوارة ارجاع نسبهم الى الحسين بن على ونسبوا أنفسهم الى أشرف مكة الذين هاجروا الى المغرب استنادا الى حجة شرعية أصدرها قاضى مكة فى عهد محمد على لاثبات ذلك النسب (٣) والحجة صادرة من قاضى مكة درويش العجيمى وبحضور كل من :

الأمير «أبو على» بن الأمير على الهمامى القاطن بقنا والأمير عبد المغيث ابن محمد القاطن بدشنا والأمير عبد الكريم بن الشيخ همام بن يوسف القاطن ببهجورة ، وبصحبتهم :

محمد باشا على (محمد على)

والى مصر وما يتبعها والسيد عمر مكرم نقيب اشراف مصر ، السيد محمد المحرقى والشيخ محمد وفا السادات .

وطلبوا أى الهوارة الحاقهم بسلسلة نسب آبائهم وأجدادهم وانهم قدموا للقاضى مراسيم أموية وعباسية وفاطمية وحججا وأحكاما قاطعة بصحة نسبهم الى الحسين بن على وان قاضى مكة بعد الاطلاع على تلك المراسيم والحجج حكم لهم بصحة هذا النسب .

والحجة بتاريخ ٢٠ رجب سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م .

وقد رأيت أصل هذه الحجة بدفترخانة محكمة قنا الشرعية (٤)

(١) مصطفى كامل الشريف : عروبة مصر من قبائلها . القاهرة ١٩٥٦م ص ٣٦ .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون :

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم ، ذوى السلطان الاكبر المقدمة المجلد الاول - الطبعة الثانية دار الكتاب اللبنانى بيروت لسنة ١٩٦١ .

(٣) قدم لى احفاد همام صورة من هذه الحجة عند زيارتى لهم .

(٤) دفترخانة محكمة قنا الشرعية وثيقة رقم ٨١٨ محفوظة رقم ١ لسنة ١٢٢٣ هـ .

ولكنى لم أر فيها ما يقنعنى بصحة ذلك النسب فمحمد على لم يذهب الى الحجاز الا فى سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م .

واقحام اسم محمد على فى هذه الحجة كان محاولة من الهوارة لاضفاء الأهمية والتأكيد على ما جاء بها ولعلمهم توصلوا الى ذلك برشوة قاضى مكة وليس ذلك ببعيد فى وقت لم يكن القضاء فيه منزها عن الشبهات وقد سعى الهوارة لاستصدار هذه الحجة مجازاة للطابع العام الذى سرى بين القبائل العربية فى هذه الفترة فقد حاولت تلك القبائل وقتها الوقوف بأنسابها عند النبى صلى الله عليه وسلم أو أسرته أو الخلفاء الراشدين أو الصحابة بوجه عام دون أن تقدم دليلا قويا يثبت صحة ذلك النسب .

وقد كانت قبائل الهوارة موجودة بالمغرب قبل الفتح العربى له سنة ٨٠ هـ / ٦٩٧ م فقد ذكر ابن قتيبة (١) بمناسبة الحديث عن حوادث الفتح العربى للمغرب .

ان (موسى بن نصير أرسل عباس بن أخيل الى هواراة وزناته فى ألف فارس فأغار عليهم وقتلهم وسباهم) .

وقد كان لقبائل الهوارة بالمغرب عصبية عظيمة ، نفوذ كبير وقد استقر فرع منها بالأندلس فى القرن التاسع الميلادى / الثالث الهجرى وعرف باسم بنو زنون أو بنو ذى النون (٢) الذين حكموا طليطلة حتى استولى عليها الفونس السادس ملك ليون وقشمتاله سنة ١٠٨٥ م / ٤٣٣ هـ .

وقد كان لهم قوة وثروة بالأندلس (٣) .

وقد كانت منازل الهوارة على عهد الفاطميين فى منطقة البحيرة من الاسكندرية غربا الى العقبة الكبيرة من بوقة (٤) وكانت لهم الأمرة على عربان البحيرة (٥) .

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ١ ص ٥٢ القاهرة ١٣٢٨ هـ .

(٢) ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والأندلس ترجمة : د . السيد محمد عبد العزيز سالم . القاهرة ١٩٥٦ م ص ١٢٢ .

(٣) محمد على بن حزم : جمهرة أنساب العرب . تحقيق : عبد السلام هارون دار المعارف القاهرة ١٩٦٢ م ص ٥٠٠ .

(٤) أبو العباس أحمد بن على القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٦٣ ج ١ ص ٣٦٤ .

(٥) المقرئى : البيان والإعراب ص ٦٨ .

وظل الأمر على ذلك الى أيام السلطان على بن شعبان ٧٧٨ هـ / ٧٨٣ هـ ، ١٣٧٦ م / ١٣٨١ م حيث قام زعيم الهوارة بدر بن سلام بثورة كبيرة سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م (١) أخمدها الأمير برقوق ونقل على أثرها معظم الهوارة الى الصعيد وذلك بأن أقطع اسماعيل بن مازن منهم ناحية جرجا وكانت خرابا فعمرها وأقام بها حتى قتله على بن غريب منهم فولى بعده عمر بن عبد العزيز الهواري حتى مات فولى بعده ابنه محمد المعروف بأبى السنون حتى مات فولى بعده أخوه يوسف ابن عمر (٢) .

وقد ترجم ابن حجر لاسماعيل بن مازن الهواري فوصفه بأنه أحد أكابر أمراء العرب بصعيد مصر الأعلى وانه توفي سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م وخلف أموالا كثيرة (٣) .

وقد استقر الهوارة فى الصعيد وتشعبت لهم فيه فروع كثيرة وصارت امرة عربان الصعيد كله لأحد رؤسائهم وهو : الأمير عمر بن عبد العزيز الهواري ، الذى أخذ لقب الامارة رسميا لأن العادة المملوكية القديمة كانت تقضى بأن يعين السلطان على كل قبيلة من قبائل العرب أميرا منها ويكتب له تقليدا سلطانيا بذلك ويلبس الأمير العربى حينئذ تشريفا أطلس أسوة بأقرانه فى الترتيب الاقطاعى المملوكى .

وقد ذكر أبو المحاسن (٤) ٠٠٠٠

أن الأمير عمر بن عبد العزيز هو والد بنى عمر أمراء الصعيد وانه أول من ولى الأمرة منهم هناك وقد توفي الأمير عمر هذا فى سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م .

وقد دار جدل حول لقب الامارة - الذى منح للهوارة - بين جماعة من المناصرين للهوارة والمتحاملين عليهم وذلك على صفحات صحيفة الأهرام سنة ١٩٣٣ وصحيفة البلاغ سنة ١٩٣٤ بمناسبة منح الملك فؤاد لقب أمير الصعيد لابنه فاروق .

فقد كتب مناصرو الهوارة يذكرون أن هذا اللقب غير جديد على الصعيد ، وانه كان لامراء الهوارة من قبل فتصدى لهم الفريق الآخر يعارض وينفى بشدة انه كانت للهوارة الامارة فى الصعيد .

(١) عن ثورة بدر سلام : انظر المقدمة ص ٨ - ٩ .

(٢) المقرئى : البيان والاعراب ص ٦٠ .

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة . الهندسة ١٤٣٨ ج ١ ص ٢٧٧ .

(٤) أبو المحاسن يوسف بن تفرى بردى . النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . مطبعة دار الكتب ١٩٥٦ ج ١٢ ص ١٥٦ .

فقد ذكر أحد الكتاب وهو ممن نفوا حصول الامارة للهوارة بعد ذكره لنزول الهوارة فى الصعيد واستقرارهم به .

ان النفوذ فى بلاد اخميم صار لأولاد عمر وفى أعمال البهنسا لأولاد غريب وانه لم يرد فى أقوال المؤرخين الا أن نفوذ الهوارة كان محليا وانه لم تكن لهم اماره كالتى سبقت لغيرهم ولم تصدر لهم مراسيم ولا مكاتبات سلطانية على نحو ما صدر لامراء ربيعة أو لامراء عرب الشرقية أو لمن سبقهم من امراء الصعيد (١) .

وكان هذا تحاملا على الهوارة صدر من صاحبه دون أن يتحرى الحقيقة ويكلف نفسه بالبحث العلمى المجرد من أى غرض عن امرة الهوارة التى أكدتها لها المصادر المعاصرة . والتى أشرنا الى اثنين منها وهما كتاب البيان والاعراب للمقريزى الذى كان معاصرا للهوارة ولنزولهم الصعيد فقد ولد المقريزى سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م وتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م . والهوارة نزلوا الصعيد سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م فحديث المقريزى عنهم حديث معاصر لهم شهد احداث نزولهم الصعيد واستقرارهم فيه وكان على بينة من أمرهم (٢) .

وقد أكد القلقشندى وهو معاصر آخر للهوارة ما كان للهوارة من اماره فى الصعيد .

وان الهوارة منذ توجههم من البحيرة الى الصعيد ونزولهم به انتشروا فى أرجائه انتشارا واسعا وبسطوا نفوذهم من البهنسا الى أسوان وما بعدها ، وان سائر القبائل العربية بالصعيد خضعت لسيطرة الهوارة وصارت طوع قياهم وان الأمرة على أيام القلقشندى كانت فى بيتين من الهوارة .

الأول : بنو عمر محمد واخوته وكانت سيطرتهم تمتد من الأشمونين الى أسوان وكانت منازلهم بجرجا ومنشأة أخميم .

الثانى : أولاد غريب وكانت سيطرتهم فى منطقة البهنسا وكانت منازلهم بدهروط وما حولها (٣) .

وقد استمرت اماره الصعيد والسيطرة عليه للهوارة فى العصر العثمانى وتؤكد دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلعة ان الامارة كانت

(١) سليمان عبد الرحمن : لقب أمير الصعيد : البلاغ ١٩٣٤/١/١٥ .

(٢) أحمد لطفى السيد : لقب أمير الصعيد - البلاغ ١٩٣٤/٣/١٩ ص ٣٠ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٩ .

للهوراة فى الصعيد وانهم حملوا لقب الأمير بصورة رسمية فقد أوردت الدفاتر أسماء الكثيرين من أولاد عمر مسبقة بلقب الامارة وعلى سبيل المثال :

ورد بدفتر رقم ٢٢٤ لسنة ١١٣٥ هـ عين ٤ مخزن تركى أمام التزام أراضى وقف فى دندرة والقوصية انها وقف مرحوم أمير عبد الله وأمير موسى من أولاد عمر أمير عربان هواراة .

وورد بدفتر رقم ٤٠٧ لسنة ١٩٦٤ هـ أمام التزام رزقة احباسية كانت معروفة بالخرجة وكوم الباسكية أنها من (وقف أمير داود بن أحمد الناصر بن اسماعيل بن أمير عمر أمير عربان هواراة) .

وقد كان أولاد عمر هم الفرع الهام من الهواراة الذين نزلوا الصعيد وانقسموا كما قدمنا فرعين هما :

أولاد عمر ، أولاد غريب

والفرع الذى يهمنى هنا هو الفرع الأول أى بنو عمر لأن الشيخ همام من فرعهم وكان بنو عمر بطنا كبيرا من بطون الهواراة بالصعيد وعمر جد الأمراء كلهم ومن أولاده محمد أبو السنون ويوسف اللذان توليا إمارة الصعيد بالتوالى ثم تولاهما اسماعيل بن يوسف واشتهر بحسن السيرة وتوفى سنة ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م واشتهر من أحفاده الأمير شرف الدين عيسى الذى عرف بحبه للفقهاء وميله للبر والاحسان واتصافه بالتقوى وتوفى سنة ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م ومن أولاده الأمير ريان بن أحمد بن عيسى جد الريانة توفى سنة ٨٨٩ هـ / ١٤٨٤ م داود بن سليمان بن عيسى وعبد العزيز وعلى ابنا عيسى بن يوسف . وقد ألف السيد مرتضى الزبيدى رسالة عن نسب الهواراة وامرائهم بالصعيد سماها :

وفح الستارة عن نسب الهواراة (١)

وبالرغم من أن الممالك هم الذين أنزلوا الهواراة الى الصعيد واقطعوهم الأقطاعات الواسعة فقد تمرد الهواراة عليهم كثيرا ، ووقعت أحداث كثيرة بين أولاد عمر والممالك سنتناولها بالتفصيل عند الحديث عن علاقة الهواراة بالممالك .

(١) مرتضى الزبيدى : شرح القاموس ج ٣ ص ٦٣٤ . وقد بحثت كثيرا عن هذه الرسالة بين مخطوطات دار الكتب ومعهد المخطوطات العربية فلم أعثر عليها ويبدو أنها فقدت .

وقد أدت فتن أولاد عمر الى محاولة المماليك عزلهم واعادة فرع اسماعيل بن مازن الى امارة الهوارة الذين رفضوا ذلك فاضطرت السلطات المملوكية لاعادة الامارة لأولاد عمر سنة ٨٤٤ / ١٤٤٠ م على عهد الأمير اسماعيل بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهواري (١) .

واستمر الأمراء من أولاد عمر يحكمون الصعيد حتى سنة ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م (٢) ثم كان للشيخ همام بن يوسف وهو منهم السيادة على الصعيد في النصف الأول من القرن الثامن عشر ونحو عشرين عاما من النصف الثاني منه .

استقرار الهوارة بالصعيد

وقد حدث للهوارة عندما نزلوا الى جرجا ما حدث لمعظم القبائل العربية المهاجرة فاستقرت طوائف منها واشتغلت بزراعة قصب السكر وقد اشتهر محمد أبو السنون بن عمر بن عبد العزيز الهواري بأنه أكثر من زراعة قصب السكر واقامة الدوايب للسكر واعتصاره وأثرى من وراء ذلك ثراء طائلا (٣) .

ولم تنتقل هواراة الى الصعيد الا بعد انقضاء الأحداث العنيفة التي وقعت بين المماليك وعرب الصعيد فقد كان عرب الصعيد كثيرى الماطلة فى دفع الخراج المستحق عليهم فضلا عن فتنهم المستمرة والتي قابلها المماليك بأعنف وسائل القمع والارهاب وكان من أبرزها :

حركة الشريف حصن الدين ثعلب سنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م (٤) .

وثورة منفلوط وأسيوط سنة ٧٠١هـ/ سنة ١٣٠١م (٥) ثم حلف ابن الأحذب سنة ٧٥٤هـ/ سنة ١٣٥٣م (٦) .

وقد حفل تاريخ ابن اياس وكتاب السلوك للمقريزى بذكر الكثير من ثورات عرب الصعيد ضد السلطات المملوكية التي كانت تهتم بقمع تلك الثورات وحركات التمرد التي كان يقوم بها هؤلاء العرب وكان

(١) الحافظ محمد السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة سنة ١٣٥٣هـ ج ٢ ص ٥٠ .

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٥٤ .

(٣) المقريزى : البيان والاعراب ص ٦٠ .

(٤) عن حركة الشريف حصن الدين انظر ص ١٠ ، ١١ من المقدمة .

(٥) عن ثورة منفلوط وأسيوط انظر ص ١١ من المقدمة .

(٦) عن حلف ابن الأحذب انظر ص ١١ من المقدمة .

الوزراء بأنفسهم يقودون أحيانا الحملات لقمع عرب الصعيد كما حدث سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م حينما خرج الوزير شمس الدين سنقر الأعسر على رأس حملة الى الوجه القبلى لردع العرب الذين كثر عبثهم وفسادهم وامتناع كثير منهم عن دفع الخراج المستحق على اقطاعاتهم .

وقد انتهت هذه الحملة بقتل المتمردين ومصادرة جميع الخيول التى ببلاد الصعيد ومصادرة سلاح أهل الصعيد جميعا من فلاحين وعربان ومصادرة الكثير من جمالهم أيضا ، وهنا :

« ذل العرب وقدموا الخراج (١) » .

وفى عهد السلطان الناصر محمد :

تمرد عرب الصعيد أيضا وأقعدوا البلاد فخرج اليهم السلطان شخصيا على رأس حملة لمعاقبتهم وضيق عليهم السلطان الخناق حتى لقد وصلوا كما ذكر ابن اياس (٢) .

(١) الى الجبال فماتوا من الجوع والعطش فأسر منهم نحو نصفهم وحملهم الى القاهرة فى مراكب حيث سجن منهم جماعة واستخدم الآخرين فى حفر الجسور وهم فى جنازير الحديد) .

وهكذا .. لم تنتقل هواراة الى الصعيد الا بعد انقضاء الأحداث العنيفة التى وقعت بين الممالك وبين عرب الصعيد والتى قابلها الممالك بقوة بالغة ، اضطرت كثيرا منهم الى الاختفاء أو الهجرة الى السودان فقل عدد العرب المقيمين فى أرض الصعيد وأطرافها ، ومن المؤكد أن هذا كان السبب الرئيسى لتسعة استقرار الهواراة فى الصعيد فانهم عندما هاجروا الى جرجا فى تلك الظروف لم يجدوا مشقة تذكر فى السيطرة على الجانب الغربى من الصعيد فاستوطنوه وعظم أمرهم واشتد بأسهم .

ومن الأسباب الأخرى التى ساعدت على استقرار الهواراة بالصعيد اشتغالهم بالزراعة وارتباطهم بالأرض بالإضافة لطبيعة الصعيد المحافظة وحدوده الطبيعية المغلقة التى تخالف طبيعة الوجه البحرى المفتوحة والتى ساعدت عربيه على استمرار تمردهم ضد السلطات الحاكمة وفرارهم الى الصحراء الغربية أو الى سيناء أو غزة يحتمون بها من حملات الدولة مثلما كان يفعل دائما أولاد بقر بلشرقية (٣) وعرب البحيرة الذين كانوا

(١) المقرئى : السلوك ج ١ قسم ثالث ص ٩١٤ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ١٥٨ .

(٣) ابن اياس : ج ٣ ص ٩١ .

يهربون الى برقة ومنها الى بلاد المغرب (١) .

وينقسم هواراة الصعيد الى فروع عدة منها (٢) :

أولاد علي ، البلايش ، السماعنة ، الفضيلات ، والوشاشات .

ثم الهامية وهم من نسل همام سيبك الجد الأعلى لشيخ العرب
همام بن يوسف فهو :

همام يوسف أحمد محمد همام عمر ريان همام سيبك وهذا الفرع
هو الذى كانت له السيطرة على الصعيد فى النصف الثانى من القرن
الثامن عشر م / ١٢ هـ .

وقد غدا الهواراة فى الصعيد من كبار الملاك (٣) ونمتعوا بشراء
طائل ووقفوا على أولادهم أوقافا هائلة كان أبرزها ما فعله الأمير همام
سيبك جد الهامية والذى أوقف على ذريته مساحة وقدرها ٢٤٢ ألف
فدان من الأراضي الزراعية امتدت من سواقي موسى بالجيزة الى قنا فى
نواحي اصفون والأقصرين ، شنهور ، قنا ، والوقف ، هو ، وبهجورة ،
وعزب المصرى والقصر وفرجوط وسمهود وبلاد المال والبلينا ، وحوض
جهينة والمنفلوطية وسواقي موسى ومنية ابن خصيب (٤) .

وباستقرار الهواراة فى الصعيد ابتداء من سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م
مارست طوائف منهم الزراعة ، وبقيت طوائف أخرى تعيش حياة تشبه
حياة البدو زحفت الى أسوان وتحالفت فى بادئ الأمر مع بنى الكنز (٥)

(١) ابن اياس : ج ١ ص ١٦٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٤٨ .

(٢) محمد عمر الهوارى : لقب أمير الصعيد الهواراة ونسبهم . البلاع

١٩٣٤/٢/٢٥ .

(٣) Girard, (P.S.) "Mémoire sur L'Agriculture, industrie, et
Le commerce de l'Egypte" in Description de l'Egypte, Vol. Dix-
Septième, Seconde Edition, (Paris, 1830), p. 39.

(٤) حجة شرعية رقم ٧٥٧ محفوظة رقم ٤ دفترخانة محكمة قنا الشرعية .

(٥) بنو الكنز :

أصلهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وكانوا ينزلون المياه ثم قدموا الى مصر
فى خلافة المتوكل على الله العباسى سنة ٢٤٠هـ/٨٨٤م فى عدد كثير وسكنوا أسوان شمال
الوابة ، وكانت البجة تشن الغارات على اطراف مصر الجنوبية فحاربهم ربيعة حتى تغلبوا
عليهم وسيطروا على بلادهم ثم تزوجوا منهم ونشروا بينهم الاسلام ثم استولوا على معدن
الذهب بالملاقى فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم ورأس عليهم اسحاق بن بشر مدة ثم
قام نزاع بينه وبين أقاربه من بنى يونس من ربيعة أيضا وكانوا قد ملكوا عيذاب عند
قدمهم من اليمامة فحاربهم وهزمهم وطردهم من عيذاب الى الحجاز ، ولكنه لم يلبث أن =

الذين دأبوا على مهاجمة أسوان فقد أثر تلاشي أهمية قوص وأسوان ونغريهما عذاب لتحول الحجاج والتجارة الهندية عنهم في موقف بنى الكنز فتحولوا الى مشاغبيين ينهبون ويسلبون الأهالي فأعزت الحكومة بهم الهوارة الذين زحفوا على أسوان فحاربوهم واجلوهم عنها نهائيا سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م فتشتت أبناء الكنز بعد ذلك في بلاد النوبة والسودان (١) .

وفد زحفت جماعات من الهوارة من سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م : سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م الى جنوب الوادي ودخلت السودان واشتغل بعضهم بالتجارة في شمال دارفور وهؤلاء يدعون الى اليوم باسم الهوارة الجلابة (٢) .

وقد سبقت هجرة هؤلاء الى السودان هجرة فريق آخر من الهوارة دخل السودان منذ قدومه من البحيرة وهم يكونون قبيلة مستقلة تعرف باسم الهواوير تسكن بجوار الكبابيس وتشتغل بالرعى وهم يمتازون بالصفات القوقازية ولم يختلطوا بغيرهم من عناصر الجنوب بخلاف

= قتل في نزاعه من بنى بشر عشيرته نفسها فاحضروا اليهم من بلبيس رئيسا آخر هو ابن عم اسحاق بن بشر المقتول وعرف الرئيس الجديد باسم أبى يزيد بن اسحاق بن ابراهيم ابن مروق واليه ينسب كنز الدولة حامى أسوان . ولم يزل أبى يزيد رئيسا على ربيعة حتى مات فقام برياستها بعده ابنه أبى المكارم هبة الله ويعرف بالأهوج المطاع وهو الذى ظفر بأبى ركة الاموى الخارج على الحاكم يأمر الله الفاطمى سنة ٤١٢هـ / ١٠٢٠م فآكرمه الحاكم اكراما عظيما ولقبه كنز الدولة وهو أول من لقب بذلك وقد عرفوا ببنى الكنز منذ ذلك الحين وظلت الامارة على الصعيدي فهم حتى أبعدهم صلاح الدين عن أسوان سنة ٥٧٠هـ لقيامهم بالثورة ضده تشييعا للفاطميين الذين أخلصوا لهم .

المقريزى : البيان والاعراب من ص ٤٨ الى ص ٥٠ .

وقد عادت لهم امرة الصعيد فى عهد المماليك وعرفوا بالحدارية وكانت لهم امرة عربان الوجه القبلى من قوص الى آخر حدود مصر الجنوبية. كما ذكر السيد سليمان عبد الرحمن فى صحيفة البلاغ ١٩٣٤/١/١٥ . مقال بعنوان ولاية الصعيد .

وقد ذكر القلقشندي هذا فى كتابه صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٩ : واستمروا على ذلك حتى نزل الهوارة الى الصعيد وقد كان بنو الكنز حينئذ فى حروب مستمرة مع الحكومة المركزية فقضى الهوارة على سيادتهم على أسوان وأزاحوهم عنها سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م وكانت الحروب بينهم سجالا بعد ذلك بكثير .

(١) أحمد لطفى السيد : مقال لقب أمير الصعيد بين الكنوز والهوارة ، البلاغ ١٩٣٤/١/٢٠ .

(٢) د. محمد عوض محمد : السودان الشمالى - سكانه وقبائله - القاهرة سنة ١٩٥٦م ص ٢٤٩ .

أقاربهم الجلابة في دار فور الذين يعيشون حياة أكثر استقرارا والذين
نسربت اليهم بعض الدماء الغربية عنهم (١) .

وعندما هاجرت هواره الى الصعيد كان عددها يصل الى نحو أربعة
وعشرين ألف نفس (٢) .

وقد بقيت بقايا من الهواره في البحيرة لم تهاجر الى الصعيد
وماتزال حتى اليوم لها مقر في مريوط وما حولها (٣) .

وقد عرفت بقايا الهواره بالبحيرة باسم هواره بحرى وكانت
العلاقات بين هواره بحرى وهواره قبلى تتأرجح بين تبادل الود أحيانا
والعداء الشديد في أحيان أخرى .

ومن النوع الأول ما ذكره الجبرنى .. من استنجد هواره بحرى
بهواره قبلى عندما اعتدى أحد الأمراء المماليك وهو محمد جلبى الصابونجى
على أملاك كبير من كبارهم توفى (فأرسل أولاد المتوفى عرفوهم أن بلاد
أسلافهم أخذها ابن الصابونجى ونازل يتصرف فيها وطلبوا منهم
معوثة) .

فأرسلوا لهم هواره وعبيدا فحاربوه وغلبوه كما ذكر الجبرنى (٤) .

ولما رفض تسليمهم الأرض المفتصة توسط لهم هواره قبلى عند
كبار امراء المماليك الذين تحدوه وقتلوه وعادت الأرض لهواره بحرى
بمعوثة هواره قبلى سنة ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م .

ولكن بعكس ذلك نجد أن هواره بحرى صحبوا الحملة التى قادها
محمد بك قطامش سنة ١١٢٣/١١٢٤ هـ ، ١٧١١/١٧١٢ م عندما عين
حاكما لجرجا وخرج الى هواره قبلى ومعه ألف جندى لمعاقبتهم لحضورهم
الى القاهرة مع الحاكم السابق لجرجا محمد بك الصعيدى واشتراكهم فى

(١) ليس هناك اليوم أى صلة بين الهواره النازحين الى السودان وبين هواره الصعيد
كما أخبرنى الآخرون عند ترددى عليهم .

(٢) د. ابراهيم على طرخان : النظم القطاعية فى الشرق الأوسط فى المصور
الوسطى . دار الكاتب العربى القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ص ١٥٦ .

(٣) أحمد لطفى السيد - قبائل العرب فى مصر العليقات والجعافرة وقبائل أخرى .
القاهرة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م ص ١٥ .

(٤) الجبرنى : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٠٦ .

أحداث فتنة أفرنج أحمد (*) .

وعندما وصلت التجريدة (الحملة) الى جرجا (تسلط عليهم هواره بحرى ونهبوا دواشينهم وأغناهم ومتاعهم وطواحينهم) (١) .

وقد هزم الهواره أمام محمد بك قطامش فنهب أموالهم وقتل رجالهم وهرب الباقون بعد ذلك الى الجبل ولم يعودوا الى ديارهم الا بعد صدور العفو عنهم من الباشا بوساطة أمير مملوكى صديق لهم هو الامير ابراهيم بك أو شنب (٢) .

أما العلاقات الودية التى كانت تربط بين هواره بحرى وهواره فبلى فهذا النوع من العلاقات بين فريقين ينتمون الى أصل واحد شئ طبعى جدا .

أما العلاقات العدائية بينهما فشئ لانستغربه اذا ما عرفنا أن هواره فبلى أنفسهم كثيرا ما كانوا يتنازعون فيما بينهم .

وأول زعيم لهواره الصعيد وهو اسماعيل بن مازن مات مقتولا بيد أحد أقاربه وهو على بن غريب (٣) .

وكثيرا ما قام العداء والصراع بين أبناء الهواره فى الصعيد وكان الصراع بينهم يصل الى حد يقلق السلطات المملوكية فترسل لهم حملات خاصة لفض ما بينهم من نزاع ويحفل تاريخ ابن اياس بذكر الكثير من تلك الحملات نذكر منها على سبيل المثال :

فى حوادث سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م يحدثنا ابن اياس (٤) عن خروج حملة بقيادة الأمير يشبك الى جهة الوجه القبلى بسبب تلك الفتنة التى وقعت بين يونس ابن عمر وبين داود بن عمر قريبه (ابن عمه) .

وفى سنة ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م يذكر ابن اياس (٥) أيضا ما كان من توجه آقبردى الدودار الى جهة الصعيد بسبب فساد أولاد عمر وصراعهم بعضهم مع البعض .

(*) سنتناول الأحداث التى وردت فى هذه الصفحة بالتفصيل فى الفصل التالى عند الحديث عن علاقة الهواره بحكام جرجا .

(١) نفس المرجع ج ١ ص ٤٧ .

(٢) مصطلقى ابراهيم : تاريخ وقايح مصر القاهرة كنانة الله تعالى فى أرضه ص ١٨ .

(٣) المقرئى : البيان والاعراب ص ٦٠ .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٨١ .

(٥) نفس المرجع ص ٢٣٣ ج ٢ .

وعندما انتقل الهوارة الى الصعيد كانت أبرز مدنه حينئذ قوض واخميم ولم تكن جرجا مشهورة حتى نزل بها الهوارة فاشتهر أمرها وصارت فيما بعد عاصمة الصعيد واستمرت كذلك حتى نهاية النفوذ الفعلي للهوارة بعد القضاء على الشيخ همام حيث انتقلت العاصمة الى أسيوط وتوارت جرجا وتوارى معها الهوارة الى الظل (١) وأصبح بك الصعيد لا يقضى بجرجا سوى نصف العام فقط والنصف الثاني يقضيه في أسيوط التي غدت أعظم مدن الصعيد بعد أن كانت جرجا هي التي تحتل تلك المكانة من قبل .

ويتصف هوارة الصعيد عامة بالكرم ودمائة الخلق والتواضع (٢) بالإضافة الى اتصافهم بالشجاعة والاعتزاز بالكرامة ولهم تقاليد وعادات خاصة مثل امتناعهم عن مصاهرة غيرهم بالنسبة لبناتهم فقط فهم يفضلون للفتاة أن تظل عانساً (إذا لم تتزوج مواريا مثلها) - ولا تتزوج رجلاً من أسرة أخرى وهي عادة ربما ساعد عليها ونماها وجودهم في الصعيد المحافظ حيث للعادات والتقاليد سيادة تشبه سيادة القانون .

ولا يوجد اختلاط بين النساء والرجال في قرى الهوارة فالمرأة الهوارية لا تشارك زوجها في عمله بالحقل (٣) بعكس الفلاحة العادية .

ويمتاز أولاً همام عامة نساء ورجال بالجمال وحسن الهيئة بالإضافة للصفات السابقة للهوارة جميعاً .

وقد اشتهر بنو عمر - (وهم أهم فرع من هوارة الصعيد) بالقوى (فهم بيت ديانة وعبادة في الجملة لاسيما جدهم عمر) كما ذكر عنهم محمد بن حامد الجرجاوى صاحب مخطوط تعطير النواحي والأرجا (٤) .

وقد اهتم الأمراء من أبناء عمر بإنشاء المساجد بجرجا منذ بداية عهدهم فالأمير محمد أبو الستون بن عمر بن عبد العزيز أنشأ مسجداً بجرجا عرف بالجامع المعلق وذلك في حدود المائة الثامنة تقريباً وذكر عنه محمد بن حامد الجرجاوى أيضاً (٥) .

(١) Browne : Travels, Egypt and Syria from the year 1792 to 1798, London 1799, p. 129.

(٢) لمست هذه الصفة في الهوارة عند زيارتي لهم بمواطنهم الحالية بمحافظة قنا .

(٣) محمد عبد الفتى التفتازانى : اماره الصعيد البلاغ ١٩٣٤/١/٢٧ .

(٤) محمد بن حامد الجرجاوى : مخطوط تعطير النواحي ج ٣ ص ٩٤ .

(٥) محمد بن حامد الجرجاوى : مخطوط تعطير النواحي والارجاج ١ ص ٧٨ .

• أنه من أجل مساجد جرجا مبنى بالحجر ومشهور بالملحق لأن تحته قيسارية معدة لبيع ماء الورد. وشبهه أى للعطارة •

ومازال هذا المسجد قائما بمدينة جرجا بعد اجراء التجديدات المستمرة له •

ومن أشهر مساجد مدينة جرجا حاليا جامع الداودية (١) انشأه الأمير داود بن عمر الذى حكم جرجا من سنة ٩٢٩ : ٩٤٣/١٥٢٢ م وقد جده شيخ العرب همام الفرشوطى سنة ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م ثم جده ديوان الأوقاف ورم منارته سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م وتقام به شعائر الصلاة الى الآن •

وقد اشتهر الهوارة بتقديرهم للعلماء وصلاتهم الدائمة لهم وكثيرا مازارهم العلماء فى مواطنهم فتلقوهم بالاكرام بل وكانوا يقطعون بعضهم أراضى ومنازل ويقدمون لهم الخدم والحشم ويستبقونهم معهم لافادة الناس وشرح أمور الدين لهم •

فالشيخ ابراهيم المسيرى الذى ترجم له الجبرتى (٢) (بأنه أحد العلماء الأذكياء ومن أفراد الدهر البحات فى المضلات والذى تخرج على الشيخ سليمان الزيات وحضر دروس فضلاء الوقت وتعلمه على الشيخ الحفنى أشهر علماء عصره) •

أرسله أستاذه الحفنى الى الصعيد عندما وصله خطاب من أحد مشايخ الهوارة ممن يعتقدون فيه يطلب منه أن يبعث اليه بأحد تلاميذه ليفيد الناس بعلمه بناحية بهجورة وهناك تلقاه الناس (بالقبول التام) وعين له أمير بهجورة اسماعيل بن عبد الله بن عم الشيخ همام منزلا واسعا وقدم له بخدما وحشما وأقطعها جانبا من الأرض ليزرعها. فقطن بهجورة ولعناية شيخها به انطلق يدرس ويفتى ويقوم مجالس الذكر (قراج أمره وراش جناحه ونفع وشفع وأثرى جدا وتملك عقارات ومواشى وعبيدا ومزارع) وقد ظل بهجورة حتى توفى أواخر سنة ١١٨١ هـ •

وكثيرا ما ألف العلماء فى ذلك العصر القصائد لمدح الهوارة والاشادة بكرمهم وحسن معاملتهم لهم •

فالشيخ عبد القادر بن خليل الرومى الأصل (أى التركى الأصل) والذى عرف بكذلك زادة والذى ترجمه الجبرتى (٣) •

(١) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٧١ •

(٢) الجبرنى : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٨٦ •

(٣) الجبرتى : ج ١ ص ٣٧٨ •

بأنه ولد فى مكة سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م ونشأ بها وحفظ القرآن واشتغل بالعلم على علماء بلده والواردين عليه وسمع أكثر كتب الحديث على أشهر شيوخ الحديث وولى الخطابة والامامة بالروضة المطهرة .

ثم حضر الى مصر وتلمذ على أيدي أشهر مشايخ العصر مثل الجوهري والحفنى والملوى والبلبلى ثم قام بعدة جولات فى تركيا والحجاز والشام واليمن دخل أثناءها الصعيد من طريق القصير وزار مشايخ عربان الهوارة ومدحهم بقصائد طنانة (لآكرامهم له .

ومن أشهر العلماء الذين اختلطوا بالهوارة الشيخ محمد مرتضى (١) الزبيدى الذى حظى باكرامهم وتقديرهم وخاصة فى عهد شيخ العرب همام وقد اهتم هذا الشيخ بمعرفة أنساب الهوارة وأصولهم والى لذلك رسالته التى سماها :

رفع الستارة عن نسب الهوارة

وقد ظل الكثيرون من علماء ذلك العصر يلازمون الهوارة ولم يغادروا الصعيد الا بعد أن أخنى عليهم الدهر بعد انتهاء عهد الشيخ همام ومثال ذلك :

الشيخ على الشيبينى الشافعى (٢) الذى تعلم العربية والفقه على مشايخ عصره ثم توجه الى الصعيد واختلط بأولاد تمام أبناء عم الشيخ همام فى بيج القرمون (٣) وتمتع بحبهم وسكن عندهم مدة .

وعندما تغيرت أحوال الصعيد غادره الشيخ الى القاهرة وتوفى بها سنة ١١٨٥ هـ / ١٧٧١ م .

(١) الجبرتي : ج ٢ ص ١٩٦ .

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ٣٧٠ .

(٣) بيج القرمون : قرية بين دشنا وقتنا وكانت ذات ايراد وافر وأراض خصبة

وقد ذكرها الجبرتي باسم بيج القرمون .

وقد اندرست هذه القرية وألغيت فى تاريخ سنة ١٢٣١ هـ .

محمد رمزي :

القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ القسم الاول

البلاد المدرسة مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٣/١٩٥٤ م .

علاقة الهوارة بالمماليك

وقد كانت علاقة الهوارة بالمماليك علاقة عدائية (١) شأنهم في ذلك شأن سائر العرب القاطنين في مصر ، فقد أنف العرب من الخضوع لدولة المماليك بمصر ووصفوا السلطان أيبك أول سلطان مملوكي بأنه مملوك قد مسه الرق وقالوا عن المماليك بوجه خاص :

انما هم عبيد للخوارج أى للأيوبيين .

وقالوا أيضا :

نحن أصحاب البلاد ونحن أحق بالملك من المماليك وكفى انفسا خدمننا بنى أيوب وهم خوارج خرجوا على البلاد (٢) ويقصد بالخوارج الذين خرجوا على الدولة الفاطمية وأزالوها وقد بدأت مشكلة كراهية العرب للمماليك وثوراتهم المستمرة ضدهم منذ بداية العصر المملوكي حتى نهايته .

والعامل الأساسى فى ثورات العرب هو الكراهية العنصرية للمماليك .

الذين مسهم الرق ويعتقد العرب أنهم أرفع مكانة من هؤلاء المماليك وانهم الأولى بالحكم والولاية (١) .

وقد اشتد خطر العرب فى الصعيد وقاموا بثورة عارمة فى سنة ١٣٠١/٧ م فى منفوط وقد أخذ المماليك هذه الثورة بغضب بالغ مما أدى الى كسر شوكة العرب .

وان كانت حركاتهم وثوراتهم وتمردهم لم ينقطع فان ذلك لم يمنع يتخذ شكلا سياسيا وانما اتخذ صورة اقتصادية فكانوا يتطربون فى نهب الغلال وسلب المواشى وأحيانا يدفعهم الضيق الاقتصادى الى الامتناع عن دفع الخراج والضرائب المقررة عليهم ومن هذا النوع كانت حركة ابن الأحمد شيخ قبيلة عرك فى الصعيد سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م .

(١) د. سعيد عبد الفتاح عاشور :

المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك . الناشر دار النهضة العربية سنة ١٩٦٢ طبعة أولى ص ٥٢ القاهرة .

(٢) ابراهيم على طرخان :

مصر فى عصر دولة المماليك المراكسة ١٣٨٢/١٥١٧ . القاهرة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٠ ص ٢٦٧ .

ومن هذا النوع أيضا كانت حركات الهوارة التي قاموا بها ضد السلطات المملوكية منذ نزولهم الصعيد .

فيالبرغم من أن السلطان برقوق هو الذي أنزلهم الصعيد قبيل سيطرته واقطعهم الاقطاعات الوافرة فانهم ثاروا أكثر من مرة .

ففى سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٩٦ م تار الهوارة فى الصعيد مطالبين بمنع ارسال القود (*) المطلوب منهم وقتلوا نائب الوجه القبلى (١) واتجهوا الى أسوان واضطروا واليها الى الفرار (٢) وظلوا كذلك حتى استطاع السلطان برقوق اخضاعهم والقضاء على تمردهم .

وللتحد من قوة الهوارة ومنع تكرار ثوراتهم استعان بهم السلطان برقوق كجياربين فى جيشه سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م .

ومع ذلك . . استمر الهوارة يحاولون التمرد ويشتركون فى الأحداث السياسية الجارية حسبما تتطلب مصالحهم .

ففى عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م استال الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلى عرب هوارة للتمرد ضد السلطان برقوق فوافقوه خدمة لمصالحهم واشتركوا معه فى تمرده ضد السلطان (٣) .

(١) عن القود انظر ص ١٢ من المقدمة .

(٢) أدت ثورات الهوارة فى الصعيد الى جانب الاخطار التي هددت البلاد من الجنوب الى أن ينشئ السلطان برقوق نيابة للوجه القبلى أسوة بالوجه البحرى الذى كان هذه الوظيفة مستحددة بالنسبة له أيضا فى عصر دولة المماليك الجراكسة . وفى الدولة السابقة لها أى دولة المماليك البحرية . كان يوجد كاشف للوجه البحرى يمتد نفوذه على جميع أقاليم الدلتا وآخر للوجه القبلى يمتد نفوذه على جميع أقاليم الصعيد وجرى الاصطلاح بتسمية هذا الكاشف الى الولاة وتمتع بنفوذ كبير .

ولم يكن هناك سوى مدينة الاسكندرية التي كان لها نائب للسلطان بسبب كثرة عدوان الأفرنج عليها وبسبب كثرة عدد الجاليات الأجنبية بها لأنها غدت ثغر مصر الاول منذ سنة ١٣٦٥م مما تطلب إعطائها قسما خاصا من العناية الادارية .

والبحيرة أيضا كان يحكمها نائب للخوف من كثرة الأعراب بها وما يقومون به فيها من فتن وثورات بين آن وآخر .

د . سعيد عبد القناح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٢) د . حكيم أمين عبد السيد قيام دولة المماليك الثانية ص ١٢٠ .

(٣) جمال الدين أبو الحاسن يوسف :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ١٩٥٠ ج ١١ ص ٣٥٣ .

وكانت أهم حركات التمرد التي قام بها الهوارة في العصر المماليكي تلك التي وقعت في سنوات ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ (٢) م في عهد السلطان جقمق (٨٥٧/٨٤٢ هـ / ١٤٥٣/١٤٣٨ م) .

عام ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ حينما تمرد أولاد عمر

عام ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م

حيث اشترك الهوارة مع شيخ قبيلة عرك بالصعيد في التمرد ضد السلطان (٢) .

وبالرغم من مواجهة المماليك لهذا التمرد بكل قسوة وشدة عاد الهوارة الى التمرد في العام التالي سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م وطردوا نائب الوجه القبلي برسباي وأحمد المماليك تلك الحركة أيضا بكل قسوة وشدة فقد أمر السلطان بقطع رأس يونس بن عمر أمير هوار (٣) الصعيد حينئذ ونكل بأقاربه تنكيلا قاسيا .

ورغم استعمال المماليك لأشد وسائل العقاب بالنسبة للهوارة المتمردين فإن الهوارة لم ينقطعوا عن التمرد فثاروا أكثر من مرة ثاروا في سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م .

وقد انتقم منهم المماليك في هذه المرة شر انتقام اذ أرسل لهم السلطان قايتباي (٨٧٢ هـ / ١٤٦٧/٩٠١ م / ١٤٩٥ م) حملة بقيادة الأمير آقبردى الدودار الذى شتمهم وبألف في تعذيبهم حتى انه دفن الكثيرين منهم أحياء وعاد بكثير من الأسرى وباعهم في أسواق القاهرة بيع الرقيق (٤) .

واستمر تمرد الهوارة على المماليك حتى أواخر العصر المملوكى ففي سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ قام الهوارة بأعنف حركات التمرد ورفضوا ارسال الغلال والأموال المطلوبة منهم (٥) .

وقد أدى تمرد الهوارة المستمر وثوراتهم الدائمة ضد المماليك الى اشاعة جو من عدم الثقة بين المماليك والهوارة بدا ذلك واضحا .

(١) الحافظ محمد السخاوى :

التبر المسبوك في ذيل السلوك . بولاق سنة ١٨٩٦ م ص ١٩٩ .

(٢) ابن اياس بدائع الزهور ج ٢ ص ١٧١ .

(٣) محمد بن حامد الجرجاوى : مخطوط تعظيم النواحي ج ٣ ص ٩٤ .

(٤) د. ابراهيم طرخان : دولة المماليك الجراكسة ص ٢٦٨ .

(٥) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٥٤ .

فيما كان من رفض السلطان طومان باى اشتراك الهوارة معه فى. آخر معاركه ضد العثمانيين زغم حاجته الى مزيد من القوات فى ذلك الوقت لأنه أحس أن وجودهم بين صفوفه سيمثل شوكة فى جنبه تؤرقه أكثر مما يؤرقه جهاده ضد العثمانيين (١) .

وبالرغم من جو عدم الثقة الذى كان بين طومان باى والهوارة فقد اضطر طومان باى الى اللجوء الى الهوارة بعد دخول السلطان سليم القاهرة وطلب مناصرتهم له ضد العثمانيين فى مقابل اعفائهم من الخراج لمدة ثلاث سنوات .

ولكن الهوارة أبوا مناصرته وقالوا :

(قد بلغنا أن الروم نقاتل بالنار ومن يطيق النار فانتنى راجعا) (٢) فقد خشى الهوارة مناصرة طومان باى لئلا يكون ذلك سببا للعداء بينهم وبين العثمانيين وتعرضهم لغضبهم وتمثل ذلك فى قول أميرهم على بن عمر للسلطان طومان باى عندما لجأ اليهم طالبا ايواه ومساعدته .

(لا تؤوى من عصى السلطان لئلا نبثلى ببلائه) (٣) .

وقد حفظ السلطان سليم لأبناء عمر هذا الجميل فأبقاهم فى حكم الصعيد (٤) .

علاقة الهوارة بالعثمانيين

وقد عقد العثمانيون مع القبائل العربية اتفاقات Treaties (٥) أقرروا فيها سيادة شيخ تلك القبائل على المناطق التى كانت لهم السيادة فيها من قبل فى العصر المملوكى ، وذلك مقابل تعهد هؤلاء الشيوخ بحفظ الأمن وتنفيذ الزراعة وجمع الضرائب ، وفى مقابل ذلك اعترف العثمانيون بمراكز تلك القبائل وتركوا له حرية التصرف فى أراضيها ومن هذه القبائل كانت قبيلة الهوارة وقد أشار ابن زنبيل الى ذلك بقوله :

(١) د. ابراهيم طرخان : دولة المماليك الجراكسة ص ٢٦ .

(٢) أحمد بن زنبيل الرمال : تاريخ السلطان سليم مع السلطان فانصوه النورى القاهرة سنة ١٢٧٨هـ ص ٤١ .

(٣) محمد بن حامد الجرجارى : مخطوط تعبير النواحي والأراجيح ١ ص ٢٨ .

(٤) Holt (P.M.) The pattern of Egyptian political history from 1517-1788 in political and social change in Modern Egypt. p. 81.

(٥) Shaw : The financial and Administrative organization, p. 13.

(دخل السلطان سليم بعد دخوله القاهرة على شيخ العرب حماد شيخ عرب غزالة باقليم الجيزة وجاء اليه الأمير على بن عمر شيخ هواة فخلع عليه بأمرية الصعيد بمدينة جرجسا وخلع على علم الدين شيخ بنى عدى وكتب لهم التواقيع بذلك وخلع عليهم وانصرفوا) (١) .

وقد كانت علاقة الهوارة بالعثمانيين ودية للغاية فى عهد السلطان سليم وابنه سليمان :

وقد بلغ من طيب العلاقات بين الطرفين ان الأمير على بن عمر شيخ الهوارة وحاكم الصعيد ، أرسل هدية حافلة للسلطان سليم سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م بلغ من أهميتها انها قدمت للسلطان بعد تقديم هدية خاير بك وضاحب اليمن .

وكانت هدية حافلة حوت مائتى قنطار سكر ، رقيقا ما بين عبيد وجوار ، وخيل وجمال وغير ذلك .

وقد أرسل الأمير على بن عمر هذه الهدية مع رسول خاص من طرفه (٢) .

وقد سر السلطان سليم من هذه الهدية وأعاد الرسول محملا بهدية حافلة منه للأمير على بن عمر وكانت هدية السلطان تشتمل على ملابس فخمة (قفاطين) مع مرسوم باستمرار الأمير على فى حكم الصعيد فعظم شأن الأمير على بهذه الهدية وهذا المرسوم .

وفى عام ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠م أرسل الأمير على بن عمر أيضا هدية حافلة للسلطان سليم قيل انها قومت بستين ألف دينار (٣) .

وقد أقر السلطان سليمان بدوره الأمير على بن عمر على حكم الصعيد فأرسل له سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢١م قفطان حرير ومرسوم شريف باقراره على مركزه واستمراره فيه .

وقد عظم شأن الأمير على بن عمر فى عهد سليم وسليمان ورأى فى دولتهما من العظمة والعز والجاه والمال ما لم يره أحد من أجداده ولا أقاربه (٤) .

(١) أحمد بن زنبيل الرمال : تاريخ السلطان سليم ص ١١٤ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١٦٨ .

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٥٥ .

ولكن العلاقات ساءت بعد ذلك بين الهوارة والعثمانيين فعزل
العثمانيون الهوارة من حكم الصعيد سنة ٩٨٣ هـ / ١٥٧٦ م وعهدوا
بالحكم فى الصعيد الى أحد بكوات الماليك وهو سليمان جنبلاط (١) .

وقد ذكر على مبارك (٢) أنه رأى المرسوم الذى تضمن ذلك فى
كتاب لم يستطع الوقوف على اسمه ولا اسم مؤلفه .

وقد ذكر المرسوم : ما كان للهوارة من سيطرة على الصعيد مقابل
تعهدهم بجمع المال والغلال المقررة للدولة وتقديمها اليها وكيف أهمل
الهُوارة فى أداء تلك المهمة ، وقصروا فى تحصيل الخراج اللازم وظلموا
أهل الصعيد ونهبوا أموالهم وأنانهم ولم يهتموا بعمارة الجسور ولا بشئون
الزراعة . لذا غضبت عليهم الدولة وأمرت بمنعهم من حكم الصعيد
وعهدت به للأمراء الماليك .

وهكذا فقد الهوارة ما كان لهم من سيطرة ونفوذ فى الصعيد
نتيجة لعودتهم لسياسة التمرد وقطع الأموال والغلال المطلوبة منهم تلك
السياسة التى مارسوها من قبل فى العصر المملوكى والتى كانت الطابع
المميز لجميع العرب فى مصر .

وعند ادخال نظام الالتزام الى الصعيد فى الربع الأول من القرن
السابع عشر (٢) سيطر الهوارة على مساحات واسعة من أراضى الصعيد
عن طريق شيوخهم على مناصب المتزمين فى الصعيد ، فلم يكن فى
الصعيد حينذاك من هم أغنى من الهوارة ولا من هم أكثر عصبية قبلية
منهم ، لذا كان من الطبيعى أن يسيطر الهوارة على أراضى الصعيد
بالالتزام ، وقد كان الهوارة من الفئات التى سمح لها بأخذ التزام
الأراضى الزراعية منذ بداية ادخال هذا النظام الى مصر (٣) .

وبسيطرة الهوارة على معظم أراضى الصعيد بالالتزام عادت اليهم
السلطة والسيطرة على الصعيد ولكن فى ظل الادارة المملوكية العثمانية
وتابع الهوارة سياستهم فى التمرد على السلطات الحاكمة ومحاولة
الامتناع عن تقديم المطلوب منهم من أموال وغلال .

(١) Vansleb : The present State of Egypt, p. 91.

(٢) على مبارك : المخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٥٣ الى ٥٥ .

(٣) Shaw : The financial and administrative organization .

(٤) حسين أفندى الروزنامجى ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية نشر
وتحقيق : محمد شفيق غربال مجلة كلية الآداب المجلد الرابع الجزء الأول مايو سنة ١٩٣٦ .
الباب السابع السؤال الأول فى تعريف التزام المتزمين ص ٣٦ .

ففى عام ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م تـمرد الهـواره على بك جرجا عبد الرحمن^(١) بك (١) وعصـوه وامتنعـوا عن دفع الأموال والغلال المطلوبـة منهم .

فأصدر الباشا أمره بمحاربتهم وأرسل لهم حملة ضمت عددا من البكوات المماليك مثل ابراهيم بك الصغير ، وحسن أغا بلغيا ومبني . كـتـخذوا القازدوغلى ، انضمت تلك الحملة الى قوات عبد الرحمن بك الذى تولى القيادة وقد صاحب تلك الحملة هـواره بحرى ورجال الأمير حسن الاخميسى حاكم اخميم ومنافس الهـواره على السيطرة على الصعيد .

وقد انتهت الحملة بهزيمة الهـواره ونهب عبد الرحمن بك لأموالهم وقتله لرجالهم ، وهرب الهـواره الى الجبل ودخل عبد الرحمن بك الى فرشوط مقر الهـواره ومـعـقلهم الرئيسى ووضع يده على ما فيها من مخازن غلال ، وحاول بالاتفاق مع مجموعة من امراء مصر حرمان الهـواره من أراضيهم بتحويلها بالالتزام الى حيازته هو مع هؤلاء الأمراء شركة وكتبوا للدولة يطلبون ذلك .

ولكن هذا الأمر لم يتم لغزل عبد الرحمن بك من ولاية جرجا حيث انتقم منه الهـواره بمطالبته بما خسروه أثناء حملته عليهم واثاروا ضده زملاءه المنافسين له حتى قتلوه .

ولما ضعف سلطان العثمانيين بمصر وسيطر المماليك على مقاليد الأمور أخذ بك جرجا وحاكمها يتجه ببصره الى القاهرة ويهتم بحوادثها السياسية أكثر من اهتمامه بأمور الصعيد ، وأصبح الوجه القبلى حيث ديار الهـواره منفى وملجأ لكل الأمراء المماليك المهزومين أو المنفيين واتباعهم ، وكان هؤلاء فى حاجة لسواعد الهـواره وأموالهم ليستعينوا بهم على هزيمة منافسيهم بالقاهرة فبدأ النفوذ يعود الى الهـواره وبدأ الهـواره يتدخلون من جديد من الأحداث السياسية الجارية وفقا لما تمليه عليهم مصالحهم كما كانوا فى العصر المملوكى فأتى وقوع الصراع بين الفقارية والقاسمية سنة ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤ م هرب محمـد بك جركـس القاسمى الى جرجا ليعيد تنظيم صفوفه فأرسل له منافسه الأمير ذو

(١) عبد الرحمن بك :

أصله كاشف الشرقية وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة . تولى ولاية جرجا سنة ١١٠٧هـ/١٦٩٥م حيث عصاه الهـواره عن دفع المال والغلال المطلوبـة منهم فحاربهم ومزمهم ثم عزل من ولاية جرجا سنة ١١١٢هـ وانتهى الأمر بتأليب الهـواره لزملاء عبد الرحمن وتحريضهم على قتله حتى تم لهم ذلك سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م .
المجربى : عجائب الآثار ج ١ ص ١٠١ .

الفقاري بك حملة لمحاربته فاستعان جركس بالهواراة وباقي عربان الصعيد وهزم حملة القاهرة عند البهنسا (١) .

وفي تلك الفترة أيضا هرب أحمد بك الأعسر الى الهواراة محتفيا بهم وبقي عندهم ليعيد تنظيم صفوفه وعندما هزمت فرقة القاسمية سنة ١١٤٩ هـ / ١٧٢٩ م التجأ الكثيرون من رجالها الى اكابر الهواراة ببلاط الصعيد ليستعينوا بهم على استعادة ما كان لهم من نفوذ (٢) .

وفي عام ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م فر عثمان بك الفقاري (٣) الى الصعيد بعلم صراعه مع ابراهيم جاويش بسبب تنافسهما على رئاسة مصر وعندما تنكر على بك الكبير لصديقه صالح بك القاسمي فر الأخير الى الصعيد واستعان بالهواراة وعلى رأسهم شيخ العرب همام بن يوسف الذي قدم اليه كل ما كان يحتاج اليه من ذخيرة ومؤن وتقدم بها واستولى على المنيا وطرد منها اتباع على بك .

وعلى بك الكبير نفسه عندما أخرجه زملاؤه منفيا من القاهرة الى النوبسات بالوجه البحري هرب الى الصعيد حيث لجأ الى حمى الشيخ همام طالبا منه أن يصلح بينه وبين زميله صالح بك القاسمي حتى يقبل العودة معه الى القاهرة لمساعدته فى اقضاء منافسيه عنها وفعلا قام الشيخ همام بالوساطة بينهما واستطاع اقناع صالح بك القاسمي - (الذى كان على بك قد غدر به قبل ذلك بقليل) - بالانضمام الى صفوف على بك وقلم لهما همام الهدايا والأموال والزجال لمساعدتهما على استخلاص القاهرة من اعداء على بك (٤) .

وعندما غضب محمد بك أبو الذهب من سيده على بك الكبير فر الى الصعيد وذهب الى الهواراة واسترضاهم - (لأنه سبق أن حاربهم فى عهد الشيخ همام) ليتمكن من ضمهم الى صفوفه وقبل الهواراة ذلك لأنهم رأوا فى هذا الانضمام لصفوف محمد بك أبى الذهب فرصة لاستعادة ما كان لهم من نفوذ خبا بعد وفاة همام فانضموا الى صفوف محمد بك وساعدوه فى نضاله ضد على بك (٥) .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٢٩ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٧٨ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ من ص ١٧٩ - ١٨٣ .

(٤) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ٢٥٦ .

(٥) اسماعيل المشاب : مخطوط تاريخ حوادث وقعت ببصر من سنة ١١٢٠ هـ

١٧٠٨ م الى دخول الفرنسيين ص ٧٧ .

هكذا وجد الهوارة فى مساندة الأمراء المماليك اللاجئين الى الصعيد فرارا من وجه منافسيهم ، فرصة لاستعادة نفوذهم فاهتموا بالأحداث السياسية التى تجرى فى القاهرة وغدوا بذلك قوة كبيرة ترجح الكفة التى تنضم اليها وبدا هذا واضحا فى عهد الشيخ همام بن يوسف الذى انتهت اليه زعامة الصعيد فى النصف الأول من القرن الثامن عشر وحوالى العشرين عاما من النصف الثانى وقد ظل الهوارة يشتركون فى الحياة السياسية بتأييدهم فريقا من الحكام ضد آخر حتى عهد مراد بك وإبراهيم بك (١) ولكن بصورة أضعف وأقل تأثيرا عما كان لهم فى عهد همام .

وهكذا نجد أن الهوارة تابعوا فى العهد العثمانى نفس السياسة التى كانوا يتبعونها فى العهد المملوكى من تدخلهم فى الأحداث السياسية وفقا لما تمليه عليهم مصالحهم ، وتابعوا أيضا سياسة التمرد والامتناع عن تقديم الأموال والغلال المطلوبة منهم للسلطات الحاكمة . وبدا ذلك واضحا من الهوارة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر م حيث كان سلطان العثمانيين بمصر قد ضعف .

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ج ٢ ص ١٢ ، ١٥ ، ٢١ .

علاقة الهوارة بالقبائل العربية الأخرى فى الصعيد

كان استقرار الهوارة فى الصعيد ومحاولتهم السيطرة عليه على غير رضا من القبائل العربية الأخرى القاطنة به والتي كان لها نفوذ واسع مثل أبناء (١) الكنز الذين ناصبوا الهوارة العداء فهاجم الهوارة مفرهم فى أسوان وأقصوهم عنها سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م (٢) ودفعوا بهم الى النوبة وباقصاء الهوارة لأبناء الكنز عن أسوان تخلصوا من أقوى منافس لهم على سيادة المناطق الجنوبية من الصعيد .

وقد كان للهوارة منافس آخر قوى فى الصعيد كانت تمثله أسرة الاخميمى وهى أسرة من أصل عربى أخذت لقب الاخميمى نسبة الى اخميم التى أخذ رجالها التزام أراضيتها وكانت لهم السيطرة على منطقة اخميم ونواحيها (٣) .

وقد كان أشهر رجال هذه الأسرة فى القرن الحادى عشر هجرى السابع عشر الميلادى الأمير حسن الاخميمى الذى ناصب الهوارة العداء

(١) عن أبناء الكنز انظر ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) أحمد بن على المقرئى :

الخطط المقرئية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار مكتبة احياء العلوم

لبنان سنة ١٩٥٠ ج ١ ص ٣٣٧ .

Bruce (J.) : Travels to discover the source of the Nile (٣)
in the years 1768-1769-1770, The second edition, London, 1809,
Vol. 2 p. 8.

وصحب حملة عبد الرحمن بك (١) عليهم سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م واشترك في تخريب بلادهم ونهب أموالهم ولعل السبب في معاداته للهوارة حينئذ شعوره بمنافستهم له في السيطرة على التزامات الأراضى في جرجا فقد بدأ الهوارة يسيطرون على أراضى جرجا ابتداء من سنة ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م (٢) حيث ظهر اسم الشيخ حمد محمد همام جد الشيخ همام يوسف كملنزم لأراض واسعة امتدت من المنيا الى أسوان بالإضافة لمجموعة أخرى من رجالات الهوارة مثل الشيخ همام يوسف والد الشيخ أحمد محمد همام الجد الثانى لشيخ العرب همام يوسف وأقاربه مثل حسين أبو بكر - وعبد الكريم أبو بكر همام ، وحافظ أحمد همام .

وقد كان الأمير حسن الاخميمى حينئذ من أعظم الملتزمين العرب فى الصعيد .

وقد امتدت التزاماته فى اخميم وتوابعها وطيطا ، وشندويل ، طوخ الجبل ، شرق المرح البحرى ، القبلى ، المراغة ، شنهوور بلصفورة وأجزاء من ادفا وبنى مزار - الروافع - خلجان - بنى سحيم (٣) .

فمن الطبيعى أن يخشى الأمير حسن الاخميمى ورجاله نمو سيطرة الهوارة على أراضى جرجا ومن الطبيعى أن ينضم الى أعدائهم وقد حفظ له الهوارة مصاحبتة لحملة عبد الرحمن بك عليهم واشتراكه معه فى نهب ممتلكاتهم ، وقاموا بعمل مماثل لهذا بمهاجمتهم لآخميم مقر الأمير حسن فى عام ١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م أثناء أحداث فتنة افرنج أحمد .

فقد نجح الهوارة فى اقناع محمد بك الكبير حاكم جرجا وقتلها بتكليف صديقه أيوب بك وهو كان ممن تسبب فى اثاره فتنة افرنج أحمد (٤) وتولى قيادتها معه بالحصول على فرمان من الباشا بقتل الأمير حسن وأولاد أخيه وضرب اخميم وجعلوا هذا ثمنا فى مقابل ذهابهم معه

(١) الشيخ على بن محمد الشاذلى الفرا : مخطوط ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة بالقاهرة . تحقيق ونشر د. عبد القادر طليمات : المجلة التاريخية المصرية مجلد ١٤ لسنة ١٩٦٨ ص ٣٥٨ .

(٢) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة بدار المحفوظات دفتر رقم ١٨ لسنة ١١٠٥ هـ عين ٣ مخزن تركى .

(٣) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة بدار المحفوظات دفتر رقم ١٠٥ لسنة ١١١٤ هـ عين ٣ مخزن تركى .

(٤) سننناول فتنة افرنج أحمد بالتفصيل فى الفصل الثانى عند الحديث عن علاقة الهوارة بحاكم جرجا .

الى القاهرة واشتراكهم معه فى فتنة افرنج أحمد ومناصرته بأموالهم
ورجالهم (١) .

وفعلا وافقهم محمد بك على ذلك ووافق طلب الهوارة هوى فى نفس
أيوب بك الذى كان يشغل منصب شيخ البلد حينئذ والذى كان شريكا
لافرنج أحمد فى حركته (٢) .

لأن أيوب بك كان بينه وبين الأمير حسن الاخميمى عداوة فوجدها
فرصة للانتقام منه وفعلا استصدر الفرمان المطلوب من الباشا وقام محمد
بك والهوارة بمهاجمة اخميم ونهبها وقتل الكثيرين من رجال الاخميمى
واثنين من اولاد أخيه ولحسن حظ الأمير حسن فانه كان فى القاهرة فلم
يصب بشيء .

ولكن العداء بين الطرفين لم يقف عند هذا الحد فعندما انتهت أحداث
فتنة افرنج أحمد سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م وهزم محمد بك حاكم
جرجا (٣) فر الى الصعيد وبصحبه الهوارة الذين عادوا ثانية الى اخميم
وقتلوا ما بها من كشاف الأمير حسن ونهبوا بلاده وأوقعوا به وبأسرته
خسائر فادحة .

وقد استمر الصراع بين الأمير حسن والهوارة فترة أخرى قام فيها
الأمير حسن الاخميمى بمصاحبة حملة محمد بك قطامش على الهوارة فى
عام ١١٣ هـ / ١٧١١ م بعد (٤) انتهاء فتنة افرنج أحمد وقد خرجت تلك
الحملة من القاهرة لمعاقبة الهوارة لاشتراكهم فى تلك الفتنة وما أحدثوه من
تخريب خلالها وقد انتهت الحملة بهرب الهوارة الى الجبل ونهب أموالهم
وضياعهم وقد انتقم منهم الأمير حسن حينئذ شر انتقام .

ولكن الهوارة الذين أخذوا الأمان بواسطة صديق لهم من الأمراء
المماليك هو ابراهيم بك أبو شنب وتم العفو عنهم وعادوا لسابق عهدهم
حفظوا للأمير حسن ورجاله هذا العمل وسعوا لدى حكومة القاهرة حتى
أفلحوا فى أن يستصدر حاكم جرجا الجديد عن سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥ م
وهو على بك الأرمنى فرمانا بمحاربة الأمير حسن وهنا هرب الأمير حسن

(١) مصطفى ابراهيم عزبان : تاريخ وقايح مصر القاهرة كنانة الله تعالى فى أرضه
نسخة منقولة عن النسخة التيمورية دار الكتب برقم ٤٠٤٨ ص ٦٧ .
(٢) على بن محمد الشاذلى الفرا : مخطوط ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة القاهرة
ص ٣٥٥ نشر عبد القادر طليجات .
(٣) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ٢٩ .
(٤) مصطفى ابراهيم عزبان : مخطوط تاريخ وقايح مصر القاهرة ص ١٥١ .

للجبل (١) وقد استمر العداء بين الطرفين فبعد سنوات ذهب الأمير أحمد كمالى الأخميمى الى القاهرة ليسترضى سلطات الحكم فيها ولينتقم من الهوارة وأفلح عن طريق الاتفاق مع حسين بك الخشاب الذى تولى حكم جرجا حينئذ سنة ١١٤٤ هـ / ١٧٣١ م (٢) على أن يتفق مع الباشا على البطش بالهوارة على أن يقوم الأمير كمالى بتسديد حلوان بلادهم للباشا وفعلا قامت حملة من القاهرة لهذا الغرض وقد انضم اليها الأمير كمالى هو ورجاله وهوارة بحرى ولكنها انتهت بالصلح بين الهوارة والأمير كمالى وعادت الحملة نانية الى القاهرة .

وقد وقع هذا الصلح غالبا لشعور الأمير أحمد كمالى الأخميمى بأنه وأسرته يقودون معركة خاسرة ضد فريق ستكون له الغلبة وسيتألق نجمه وهو فريق الهوارة الذين كان يتزعمهم حينئذ شيخ العرب همam ابن يوسف الذى كان قد بدأ فى الزحف على التزامات أراضى الصعيد وكانت كل الأدلة حينئذ تشير الى عظمته المستقبلية وقد عاصر الشيخ همam آخر عهد أسرة الأخميمى وكان من أشهر رجالها فى عهده الأمير محمد كمالى بن أحمد كمالى الأخميمى والأمير عيسى كمالى الأخميمى آخر الملتزمين الكبار من هذه الأسرة والذى استولى همam على أراضيه فى عام ١١٦٩ هـ / ١٧٥٥ م باذن من الدولة (٣) .

وقد انقرضت أسرة الأخميمى من الصعيد كما ذكر الرحالة Bruce (٤) أثناء حديثه عن زيارته لأخميم سنة ١٧٦٩ م فى طريقه الى فرشوط لمقابلة الشيخ همam بن يوسف انذى ذكر عنه أنه قد استولى على أخميم بعد انقراض أسرة الأخميمى ويؤكد هذه الحقيقة أن دفاتر التزام الولايات القبلية بالقلعة قد أوضحت أن الشيخ همam واصل زحفه على اراضى أسرة الأخميمى وأن آخر افرادها وهو الامير عيسى كمالى قد اختفى نهائيا من دفاتر الالتزام منذ عام ١١٧٠ هـ / ١٧٥٦ م (٥) وسنتناول زحف الشيخ همam على اراضى أسرة الأخميمى بالتفصيل فى الفصل الرابع .

هكذا رأينا كيف أفلح الهوارة فى القضاء على كل سيطرة للقبائل العربية الأخرى التى كانت لها السيادة من قبل الهوارة على الصعيد وخلا

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٠٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٦٦ .

(٣) دفاتر التزامات الولايات القبلية . دار المحفوظات بالقلعة القاهرة . دفر رقم

٤٣٣ ص ١١٦ عين ٦ مخزن تركى .

(٤) Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 8.

(٥) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلعة دفر رقم ٤٤٤ لسنة ١٩٧٠ مخزن

تركى .

الجو للهوارة الذين مضوا يبنون قوتهم وينهون ثراءهم ويسيطرون على الصعيد .

وقد قدرت الدولة قوة الهوارة فاستخدمتهم فى القضاء على القبائل العربية الأخرى فى الصعيد والتي كانت تتمرد عليها كما حدث عندما كان عبد الله بن وافي شيخ عريان المغاربة يقوم بالتهب والسلب ويظلم الفلاحين هو وعربانه وينشر الفساد فأرسلت له الحكومة حملة لمحاربته سنة ١٠١هـ / ١٦٨٩ م فانتصر عليها وتكرر تمرد ابن وافي وإخلاله بالأمن ، وتكررت حملات الدولة إليه بلا جدوى وكان عندما تضيق الحكومة الخناق عليه فى الصعيد يهرب الى الوجه البحرى متجولا فى انحاءة وناسرا بها الذعر والتخريب يعتدى على الملتزمين والفلاحين وينهب أموالهم ويسلب ما فى أيديهم حتى أغضب الدولة أشد الغضب فأرسل السلطان مرسوما للباشا سنة ١١٠هـ // ١٦٩٨ م بمحاربة ابن وافي بكل شدة وبارسال حملة جديدة اليه وفلا خرجت اليه فى العام السابق حملة بقيادة أيواظ بك الذى أوقع به الهزيمة ففر الى البحيرة حيث تلقاه حاكمها وقتل رجاله وأخذ أمواله فاضطر الى العودة الى الصعيد حيث أغرى به عبد الرحمن بك حاكم جرجا الهوارة فاحتاطوا به ونهبوا أمواله وجماله ففر أمامهم فتابعوه حتى منفلوط (١) حيث هرب الى الفيوم وتشتت شمله وانتهى أمره بالغرق مع مجموعة من رجاله .

(علاقة الهوارة بالفلاحين فى الصعيد)

مع أن الهوارة استغلوا بالفلاحة وشابهوا الفلاحين الى حد كبير ، فان مركزهم الاجتماعى كان أعلى مستوى من مركز الفلاحين ، وكان ينظر اليهم كذلك لأن معظم التزامات أراضى الصعيد كانت فى أيدي شيوخهم .

وبصفة عامة كانت العلاقة بين الهوارة والفلاحين علاقة طيبة ، فالملتزم من الهوارة بما كان له من عصبية قبلية قوية كان أقدر على حماية فلاحيه من هجمات القبائل العربية الأخرى بعكس ما كان يحدث مع ملتزمى أراضى الوجه البحرى ، فما أكثر ما تعرض الفلاحون هناك لهجمات عربان البحيرة وعربان الشرقية الذين كانوا ينهبون غلالهم ويأخذون أموالهم ومن ذلك ماكان من استبعاد أبناء عبد الدائم بن بقر - من عرب الشرقية - بفلاحى الشرقية وما حولها فما أكثر ما هاجم أبناء عبد الدائم الفلاحين هناك ونهبوا مواشيهم وأغنامهم بل لقد وصل بهم الأمر فى بعض الحالات

الى نهب حلى نساء الفلاحين وقتل ما لا يحصى عدده من رجالهم (١) وغير ذلك كثير .

وكان هناك نوع آخر من العرب الذين اتخذوا الزراعة حرفة لهم ، ولكنهم لم ينزلوا بالرغم من ذلك عن عاداتهم القديمة ، وخصوصا الحصول بالاكراه على ما يأبون الحصول عليه بكدهم فهم يستحوذون عنوة على أجود الأراضي ويحولون مياه الري . ويقطعون الجسور فى الوقت الملائم لهم غير عابئين بمصالح جيرانهم من الفلاحين المصريين ، ووصل الحد بهؤلاء العرب المستغلحين الى أنهم كانوا يسلبون حاصلات القرى المجاورة لهم بدون مبالاة وذلك كلما قصرت حاصلاتهم عن الوفاء بحاجاتهم (٢) .

وفى بعض الأحيان ومحاولة لأبعاد خطر هؤلاء العرب عن الفلاحين حاول الحكام وضع بعض القرى فى حماية بعض هؤلاء العرب المستغلحين لحمايتهم من هجمات الاعراب المتنقلين ولكن تلك الحماية لم تجد شيئا ، فقد كانت هذه القرى تتعرض لظلم ونهب هؤلاء الحماسة الذين كانوا لا ترجعهم عن طبيعتهم موافق ولا عهد (٣) .

أما فلاحو الصعيد فقد توفرت لهم فى عهد سيطرة الهوارة حماية كبيرة فقد سلبت سيطرة الهوارة مختلف القبائل العربية المقيمة فى الصعيد النفوذ الذى بسطته نظيراتها على الفلاح فى أنحاء القطر الأخرى .

وقد كان العاملون فى الأرض فى الصعيد فريقين :

الفريق الأول : وهم من أبناء قبائل الهوارة أنفسهم وهؤلاء كان ينظم علاقاتهم بملتزمى الهوارة ، عاداتهم القبلية التى لم تكن تسمح لهؤلاء الملتزمين بايقاع أى نوع من الظلم أو الغبن على فلاحيههم من أبناء قبيلتهم .

الفريق الثانى : وهم الفلاحون المصريون أى أبناء البلاد الأصليين وهؤلاء تمتعوا بحماية الهوارة ، فمارسوا أعمالهم فى اطمئنان وأمن لم يعرفهما أمثالهم فى الوجه البحرى ، وقد كانت تلك الحماية أهم شئ فى نظر الفلاح وقتئذ اذ كانت هجمات الاعراب أشد وأقسى عليه من أى ظلم آخر يمكن أن يقع عليه من السلطات الحاكمة بزيادة الضرائب والمغارم .

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٤ ، ج ٣ ص ٥٤ .

(٢) Girard (P. S.) : Mémoire sur l'Egricuture ... in description de l'Egypte Vol. XVII, p. 44.

(٣) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ٥٤ .

الفصل الثانى

الصعيد أو ولاية جرجا

التقسيم الادارى لمصر فى العصر العثمانى
- مركز جرجا فى هذا التقسيم - المفهوم
العثمانى لمعنى ولاية فى مصر - تطور جرجا
الى ولاية كبيرة ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م حدودها
الهدف من تكوينها - أهميتها - سلطات
حاكمها .

الصعيد أو ولاية جرجا

انقسمت أرض مصر منذ العصور القديمة الى قسمين رئيسيين استقرت حدودهما تقليديا طبقا للاعتبارات الجغرافية والتاريخية .

فى الشمال

تقع مصر السفلى أو الوجه البحرى وتشمل :

- ١ - الدلتا التى تحتوى على الأراضى التى بين فرعى النيل (١) والتى تقع على بعد أميال قليلة خلف القاهرة .
- ٢ - الأراضى الواقعة شرق النيل الممتدة الى صحراء سيناء وبها أقاليم الشرقية والقليوبية .
- ٣ - الأراضى الممتدة غرب الدلتا الى الصحراء الليبية مكونة اقليم البحيرة

وفى الجنوب

تقع مصر العليا أو الوجه القبلى أو الصعيد وقد كان العرب (٢) هم أول من أطلق على مصر العليا كلمة الصعيد ، وقصدوا به الأرض التى كلما

(١) كان للنيل فى العصور القديمة عدة فروع وبمرور الوقت وبفعل التغيرات الجغرافية والجيولوجية اندمجت تلك الفروع فى فرعين هما فرع رشيد ، فرع دمياط .
(٢) المقرئى المخطوط ج ١ ص ٣٥٤ .

امتدت الى الجنوب آخذت فى الصعود والارتفاع ، وتمتد أراضى مصر العليا على جانبى النيل من جنوب القاهرة الى وادى حلفا •

وقد انقسم كل قسم من القسمين السابقين الى مجموعة من الأقاليم الادارية الصغيرة السهولة ادارته ، وجمع ضرائبه ، والاشراف على شئونه •

ولما جاء العرب الى مصر قسموا البلاد الى أكوار (جمع كورة) وكانت الكورة تكبر وتصغر حسب ظروف الزمان والمكان وتفاوت الحضارة والعمران ، ورغبة الحكومة القائمة أوحكام الأقاليم فى انشاء أو الغاء كل أو بعض الأقسام الادارية السياسية لأغراض خاصة أو عامة •

وكانت مصر مقسمة الى ثمانين كورة قبل حكم الدولة الفاطمية وفى صدرها ، قد أطلق المماليك على الكورة اسم العمل ويرادف كلمة الكورة فى عصرنا الحاضر كلمة المركز ويرادف كلمة العمل المديرية (١) وقد كان لكل عمل مدينة تعتبر قاعدة له ، وكانت كل كورة تشمل عددا من القوى وكل قرية معتبرة وحدة مالية وادارية معا •

وفى عهد المماليك انقسم القطر المصرى الى تسعة عشر اقليما اداريا (٢) كان منها فى الوجه البحرى عشرة أعمال وهى :

القليوبية ، الشرقية ، الدقهلية (المرتاحية) ، دمياط ، الغربية ، المنوفية ؛ وأبيار ، والبحيرة ، فوة التستراوية •

وكان منها فى الوجه القبلى تسعة أقاليم وهى :

الجيزة ، الفيومية ، الأشمونىة ، الاخميمية ، الألفيحية ، البينسايوة ، والأسيوطية ، القوصية ، أسوان •

وكانت أسوان تابعة لعمل قوص ولكنها استقلت وصارت عملا قائما بذاته منذ عهد الناصر محمد (٩٦٣هـ / ٧٤١هـ / ٢٩٣م / ١٣٤١هـ) •

(١) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ج ١ ص ٢٨ •

(٢) د• سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٣٥٨ •

التقسيم الإدارى لمصر فى العصر العثمانى

وقد ورث العثمانيون عن العصر السابق لهم هذا لتقسيم الإدارى وأبقوا عليه بعد ادخال بعض التعديلات .

ففى عهد السلطان سليمان القانونى (٩٢٦هـ / ٩٧٤هـ / ١٥٢٠م / ١٥٦٦م) أجريت مساحة جديدة للأراضى المصرية فى ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م تلك المساحة سنة ٩٣٣هـ / سنة ١٥٢٦م (١) فى ولاية سليمان باشا الخادم على مصر (سنة ٩٣١هـ / ٩٤١هـ / ١٥٢٤م / ١٥٣٤م) وهى المساحة التى عرفت دفاترها باسم الترايع (٢) وفيها غيرت كلمة أعمال وكور الى ولاية وولايات وكان استخدام العثمانيين لكلمة ولاية للأقاليم الادارية فى مصر مرادفا لكلمة ومعنى مديرية أى أن استخدامهم لكلمة ولاية بالنسبة للأقاليم الادارية فى مصر كان خارج نطاق المفهوم العثمانى العام لكلمة ولاية .

وقد قسم العثمانيون القطر كله الى أربعة عشر ولاية سبع منها فى كل وجه (٣) .

ففى الوجه البحرى كانت ولايات :

المنصورة ، الشرقية ، البحيرة ، القليوبية ، الغربية ، المنوفية ، الجيزة

وفى الوجه القبلى كانت ولايات :

الفيوم ، بهنساوية ، أشمونىة ، منفلوط ، جرجا ، أطفيج بالبر الشرقى (٤) ألواح من داخل جرجا أى الواحات .

(١) محمد عبد المعطى الاسحاقى : أخبار الأول فيمن تعرف فى مصر عن أرباب الدول ، القاهرة سنة ١٣١٠ هـ ص ١٥٠ .

(٢) الترايع : قوائم من الورق مربعة الشكل تكتب فيها عملية المساحة فى كل قرية محمد رمزى القاموس الجغرافى ج ١ ص ٢٣ .

(٣) حسين افندى الروزنامجى : ترتيب الديار المصرية : نشر محمد شفيق غربال بعنوان : مصر عند مفترق الطرق (١٧٩٨م - ١٨٠٠م) مجلة كلية الآداب المجلد الرابع ج ١ مايو سنة ١٩٣٦ الباب السادس السؤال الأول ص ٣٣ .

(٤) أطفيج : كانت مركز ولاية فى العهد العثمانى ، وكانت تشمل البلاد الواقعة شرقى النيل من ناحية البساتين التى بمركز الجيزة قبل مصر القديمة الى آخر حدود ناحية الشيخ فضل بمركز بنى مزار بالمنيا وقد انضمت أراضى أطفيج الى مديرية الجيزة سنة ١٢٥٧م وسميت مديرية الجيزة وأطفيج ثم انقرض اسم أطفيج

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ٣ ص ٧ .

هذا بخلاف محافظات :

الأسكندرية ، رشيد ، دمياط ، السويس ، وهذه المحافظات كان لها وضع خاص ، وكان حكمها خارجا عن اختصاص بكوات مصر ، فقد كان لهذه المدن أهمية خاصة باعتبارها الثغور الهامة التى يمكن منها حماية مصر . لذا احتفظ الباب العالى بحقه فى تعيين وارسال حكامها من استانبول رأسا ، وكانوا فى العادة قادة بحريين .

أما الأقسام الادارية الأخرى أى ولايات الوجه البحرى والقبلى فقد عهد العثمانيون بإدارتها الى المماليك وكان حكام الأقاليم الادارية فى مصر العثمانية من رتبتيين :

حكام الأقاليم الادارية الهامة الخمسة وهى :

جرجا ، الشرقية ، الغربية ، المنوفية ، البحيرة . . وهؤلاء الحكام بكوات يحملون رتبة الصنچقية (١) ويأخذون لقب حاكم وكانت هذه المناصب موضع منافسة من أمراء المماليك ، وأهمية هذه الأقاليم ترجع

(١) الصنچقية : كلمة صنچق من التركية سنچاق وهى العلم أو القسم من ولاية كبيرة أو الحاكم على قسم من ولاية ، الصنچقية من أسمى الرتب فى مصر العثمانية وقد أمر السلطان سليم بأن يكون بمصر أربعة وعشرون صنچقا طبلخانة وصنچق يجمع بين مصطلحين مصطلح عثمانى ومصطلح مملوكى فبعض الأمراء فى دولة المماليك كانوا أمراء طبلخانة أى يكسبهم مقامهم أن تدق لهم الطبول وغيرها من الآلات الموسيقية .

وقد كان من حق السلطان ارسال الصنچاق حكام الثغور مثل الاسكندرية ، دمياط ، السويس ، رشيد ، أما باقى العشرين صنچقا فكانوا يختارون من بين بكوات المماليك فى مصر .

وقد كانت رتبة الصنچقية تؤهل حاملها لشغل الوظائف الكبيرة مثل الدفندارية ، اماره الحج ، وحكم الأقاليم الادارية وقيادة الامدادات العسكرية المطلوبة للدولة ، وقيادة الخزانة السنوية المرسلة الى السلطان .

وكانت الصنچقية رتبة يمكن رفعها عن حاملها عند الفضب عليه كما ذكر الخبرنى فى تاريخه عجائب الآثار ج ١ ص ١٥٣ ويمكن أن يستعفى منها صاحبها فالجبرى أيضا يذكر ما كان من استعفاء حسين بك أرئود عن الصنچقية سنة ١١٢٩هـ ومجاورته بالمدينة المنورة بعد ذلك (ج ١ ص ١١٢) وكان من الممكن أن يكون الصنچق بطالا أى يحل الصنچقية بدون أن يلى منصبا .

والصنچقية رتبة لا يحملها الا من وصل الى رتبة البكوية والامارة وقد تنافس الأمراء المماليك الكبار فى احراز رتبة الصنچقية لاتباعهم ليضمّنوا الوصول الى مراكز السيطرة على الحكم فى مصر .

الى أنها كانت أقاليم غنية تقدم للدولة إيرادات كبيرة أما باقى الأقاليم فكان يحكمها حكام لم يبلغوا بعد رتبة الصنجدية ويطلق عليهم اسم كشاف (١) .

وقد أجرى العثمانيون بعض تعديلات على الأقاليم الادارية التى اعتمدها سنة ٩٣٣ هـ / سنة ٢٥٢٦ م فظهرت بعض الأقاليم الصغيرة المستقلة ، وكان ذلك لأغراض خاصة ففي سنة ٤٧٧ هـ / ١٥٦٩ م انفصلت مدينة فارسكو وضواحيها من اقليم البحيرة وأصبحت اقليما مستقلا ، لتقوية سلطة الدولة فى هذه المنطقة وحرمان القبائل العربية التى كانت لها السيطرة هناك من الاستحواذ على انتاج الأرز الجيد الذى اشتهرت به هذه المنطقة . وقد ظل هذا الاقليم مستقلا حتى سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦ م حينما ألحق باقليم المنصورة .

وقد أنشئ اقليم آخر فى الأراضى الصحراوية الواقعة شرق اقليم الشرقية ، والتى تمتد الى شبه جزيرة سيناء وعرف باسم اقليم « قطيا » وكانت إيراداته تأتى أساسا من الضرائب التى كانت تفرض على القوافل العابرة لأراضيه الى دمشق وحلب وبالعكس وقد فرض على هذا الاقليم حماية تلك القوافل وامدادها بالمعونات ثم ألغى هذا الاقليم سنة ١١١٨ هـ / سنة ١٧٠٦ م كوحدة ادارية مستقلة وأصبحت إيراداته والتزاماته من اختصاص حكام الشرقية وقلوب ومديرى الجمارك فى بولاق ومصر القديمة .

وقد فصلت أراضى وادى النطرون التى تحوى معدن الفوسفات الثمين من اقليم البحيرة فى سنة ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م وأنشئ بها اقليم جديد هو اقليم الطرانة الذى ظل مستقلا حتى أعيد ثانية لاقليم البحيرة سنة ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م .

(١) الكشاف :

كلمة مأخوذة من الفعل كشف لأن الاصل فى وظيفة الكشاف أن يكشفوا أحوال الأقاليم ، وقد كان لقب كاشف يطلق فى العهد المملوكى على الموظفين القضائيين والعسكريين الذين كانوا يعنون بتنظيم الرى وحماية السدود والجسور ورعاية الأمن .

وفى القرن الذى تلا الفتح العثمانى لمصر استخدم هذا اللقب للأشخاص الذين كانوا يديرون أكثر من مقاطعة فى بعض النواحي ، وبعد بداية القرن السابع عشر وادخال نظام الالتزام ، حلّ الملتزمون محل الكشاف وأصبح لقب كاشف يطلق على طبقتين من الموظفين .

١ - حكام الأقاليم الصغرى الذين كانوا يختارون من الضباط المالكين من الدرجة الثانية .

٢ - الوكلاء الصغار الذين كانوا يديرون قرى الكشوفية وهى القرى التى كان دخلها مخصصا للباشوات الولاية وكانت مفصولة لذلك عن أراضى الالتزام .

ShaW : Ottoman Egypt .. p. 29.

وفى عام ١٠٠١ هـ / ١٥٩٦ م كون اقليم جديد من ضواحي بحيرة
المنزلة ظل مستقلا حتى سنة ١٢٠٠ هـ / سنة ١٧٨٦م حيث أعيد ثانية
الى اقليم المنصورة الذى كان يضمه من قبل (١) .

وقد تمتع اقليم جرجا بأهمية خاصة منذ العصر المملوكى لكونه أهم
اقليم يقدم الغلال للقاهرة ، وما أكثر ما خرج الأمراء المماليك بأنفسهم
الى الوجه القبلى لتحصيل الغلال المطلوبة منه والعودة بها الى القاهرة (٢) .

وكان أكثر ما يثير السلطات المملوكية بالقاهرة أن تمتنع القبائل
العربية المقيمة بالصعيد عن تقديم الغلال المطلوبة منها تمردا على سلطات
الحكم ، وقد اشتهرت جرجا فى أواخر المائة الثامنة الهجرية لتلاشى شهرة
وأهمية قوص وأسوان وثغرهما عيذاب (٣) ، وقد كانت قوص عاصمة
الصعيد قبل جرجا وفيها كانت تنزل القوافل التجارية الواردة من الهند
والحبشة واليمن والحجاز بعد مرورها بميناء عيذاب .

وقد كانت قوص عامرة بأوجه النشاط المختلفة من اقتصادية
وعلمية ، وترجع عظمتها فى دولة المماليك الى أن موارد الامبراطورية المصرية
فى ذلك الحين كان أغلبها من المكوس على التجارة الهندية التى كانت تمر
بالبحر الأحمر عن طريق عيذاب تم تنقل الى قوص .

وكان من أهم أسباب عظمة قوص أيضا :

ان الحجاج المتوجهين الى الأراضى المقدسة من مصر ومن المغرب ظلوا
أكثر من مائتى عام يتوجهون الى مكة عن طريق النيل من القاهرة الى
قوص (٤) ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون صحراء عيذاب الى البحر
الأحمر ذهابا وإيابا وظلوا على ذلك من سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م الى سنة
٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م .

حتى كان عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ - ٦٧٦ هـ / ١٢٥٩ م -
١٢٧٧ م) الذى أخرج قافلة الحج من البر (أى عن طريق سيناء وبطل
طريق قوص ، عيذاب) مما أثر فى أهمية قوص واقتصادياتها ثم تفاقت

(١) Shaw : The financial and Administrative organization , p. 14.

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور - ج ٢ ص ١١٢ .

(٣) عيذاب : صحراء فى الصعيد الأعلى كانت تقع فى جبة النيل الشرقية بين مدينتى

لفط والقصور .

على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١٣ ص ٢٠ .

(٤) المقرئى : الخطط - ج ١ ص ٣٨٠ .

الأمر أكثر بنحول قوافل التجار عن طريق قوص منذ سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م فتلاشى أمر قوص وضاعت أهميتها منذ ذلك الوقت (١) .

وبدأت جرجا فى الظهور واحتلت مكانة عاصمة الصعيد .

وكان ظهور جرجا وتفوقها على مدن الصعيد الأخرى مصاحبا لظهور الهوارة فى الصعيد ونزولهم به فقد نزلوا بالصعيد كما أشرنا سابقا سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م واستقروا فى اقليم جرجا ونشروا به الخصب والازدهار .

وقد غدت جرجا فى العهد العثماني أهم الأقاليم الادارية المصرية .

تطور جرجا الى ولاية كبيرة

وقد اتسعت جرجا فى العهد العثماني وامتدت لتشمل أقاليم الصعيد فقد ضم اليها اقليما أسيوط وأطفيح سنة ١١٠٦ هـ / ١٦٦٤ م وضم اليها كذلك :

أقاليم أسوان ، المنيا ، منفلوط سنة ١١٠٩ هـ / ١٦٦٧ هـ (٢) .

حيث اكتمل فى هذا العام تكوين ولاية جرجا الجديد فى العهد العثماني والذي امتد ليشمل أراضى الصعيد كلها من المنيا الى أسوان وبذلك غلما أكبر الأقاليم الادارية فى مصر العثمانية بالاضافة الى كونه من أغناها .

وواضح أن جرجا احتلت أهمية كبيرة فى العهد العثماني بسبب وجود أقوى القبائل العربية فى الصعيد بها وهى قبائل الهوارة أقوى قبائل الصعيد بأسا وأكثرها قدرة على العمل السياسى .

الهدف من تكوين ولاية جرجا

كان الهدف من توحيد أقاليم الصعيد تحت ادارة حاكم جرجا هو تقوية هذا الحاكم الذى يمثل حكومة القاهرة وجعله فى مركز يسمع له بالقضاء على أى بادرة تنذر بقيام ثورة من احدى القبائل العربية المنتشرة

(١) احمد لطفي السيد : مقال عن أمير الصعيد ١٩٣٣/١٢/٢٨ صحيفة الاهرام .
Shaw : The financial and administrative organization, p. 15.

(٢) دوائر التزامات الولايات القبلية : دفتر رقم (٤٧) لسنة ١١٠٩ هـ عين ٣ مخزن

تركي .

بالصعيد (١) وخاصة وأن جرجا تتوسط المسافة بين المنيا وأسوان ومنها يسهل عليه الوصول سريعا الى مركز أى ثورة أو حركة تمرد يقوم بها العرب شمال جرجا أو جنوبها ووجوده فى جرجا نفسها وسط قبائل الهوارة وتدعيم قوته وسلطته بهذا التوحيد يجعله أقدر على مواجهة أى ثورة لهذه القبائل .

وفعلا كان هذا يحدث فى البداية ابان قوة الحكم العثمانى فى مصر وبالتالى قوة ممثلة حاكم جرجا كلما رأينا فى حملة عبد الرحمن بك حاكم جرجا على الهوارة سنة ١١٠٧ هـ / سنة ١٦٩٥ م وقضاؤه السريع على تمردهم واعادتهم لحظيرة الولاء والطاعة للدولة (٢) .

وقد أدى توحيد أقاليم الصعيد كلها فى اقليم جرجا وجعلها تحت ادارة حاكم جرجا أدى هذا الى أن أصبح حاكم جرجا الشخص الثانى فى الأهمية والقوة والثروة بعد شيخ البلد فى القاهرة وهو زعيم الممالك فيها (٣) .

وكان حاكم جرجا يعين بمرسوم من باشا مصر ، ويختار من الشخصيات المملوكية الهامة .

وبعد تعيين حاكم جرجا كان يلبس خلعة خاصة ويستعد للذهاب الى جرجا بموكب كبير يمشى فيه الأمراء والأغوات والاختيارية وكثير من رجال الوجاقات وبعد هذا الحاكم صيوانا (خيمة) كبيرا يقيمه بناحية الآثار حيث يقف اليه الأمراء وكبار رجال الفرق لتهنئته بالمنصب وشرب القهوة والمشروبات الأخرى وتوديعه (٤) ، وكان يصحب حاكم جرجا عدد من رجال الفرق العسكرية المختلفة ومعهم سرداراتهم (قوادهم) وبيارقهم (أعلامهم) ويمثلون حاميته (٥) وكان هؤلاء يذهبون معه لمساعدته فى أداء واجباته ويأخذون مرتباتهم الأصلية من فرقهم العسكرية التى ينتمون اليها بوصفهم أعضاء بها .

بالاضافة الى ضرائب خاصة كانت لهم سلطة فرضها على المنطقة التى يخدمون بها .

Shaw : The financial and administrative organizon, p. 15. (١)

(٢) عن حملة عبد الرحمن بك على الهوارة انظر ص ٤٥ من الفصل الأول .

Lusignan (S. L.) The history of the Revolt of Ali Bey, (٣)
London, 1793, p. 2.

(٤) الجبرنى : عجائب : الآثار ج ١ ص ١٢٦ .

(٥) الجبرنى : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٣ .

وكانت قوته العسكرية تتألف بالإضافة لتلك الحامية من مجموعة كبيرة من مماليكه الخاصة واتباع الذين كانوا يذهبون معه الى مقر حكمه ، وكانوا يعيشون على نفقته شخصيا ، وكان لحاكم جرجا قائمقام ينوب عنه اذا ما تغيب عن الاقليم (١) .

وقد كان لكل اقليم من الأقاليم التي تكون منها اقليم جرجا الكبير حاكم خاص أى كاشف ولكن بعد توحيد هذه الأقاليم وجمعها كلها تحت امرة حاكم جرجا لم يبق فى الصعيد كشاف بمعنى حكام اداريين وانما بقى الكشاف فى ولاية جرجا كمديرين لقرى الكشوفية فقط وهى القرى التي كان دخلها مخصصا للباشوات الولاة وكانت مفصولة لذلك عن أراضي الالتزام .

وكانت واجبات حاكم جرجا كواجبات كل حاكم اقليمى وهى اقرار الأمن والنظام والاشراف على استغلال الأراضي السلطانية وجمع الايرادات المطلوبة منها للخرينة السلطانية فى مصر وشراء الامدادات المطلوبة لديوان القاهرة والباب العالي والحرمين الشريفين .

بالإضافة لحماية الزراعة وطرق المواصلات من هجمات القبائل العربية الكثيرة التمرد (٢) .

وكان على حاكم جرجا ان يقدم كخراج للسلطنة مقدار ١٥٠٠٠٠ ر١٥٠٠ مائة وخمسين ألف أردب قمح تنقل على نفقته من جرجا الى الشئون السلطانية فى مصر القديمة ، وعليه أيضا تقديم ٤٨٠ كيسا من الذهب (٣) عدا ما على ولايته من غلال للحرمين وكان عليه أيضا ان يقدم هدايا سنوية الزامية الى باشا مصر مكونة من : أربعين كيسا من الذهب ، وخمسين جوادا وخمسين بغلا ، ألف جمل ، ألف خروف كما يقدم لكل من كتخدا مصر ، وأغاوات الوجاقات ١٢ كيسا .

(١) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٤٦ .

(٢) S. G. (Shaw) The financial and administrative organization, p. 62.

(٣) الكيس : وحدة عثمانية للعدد أدخلت فى القرن السابع عشر م وتساوى كمية من النقود تختلف تبعا للزمان والمكان الذى تستخدم فيه ففى استانبول كان الكيس يساوى خمسمائة قرش وكان يسمى كيس الروم (أو الكيس الرومى) .

أما الكيس المصرى يساوى ٢٥٠٠٠ بارة فضية والبارة هى العملة المصرية الرئيسية المستعملة بدلا من القرش والأقجة اللذين كانا يستعملان فى أنحاء أخرى من السلطنة العثمانية ، وكيس المصرى يساوى ستمائة قرش عثمانى لذا كان أكبر الأكباس المستعملة .
S. G. (Shaw) : Ottoman Egypt in the Eighteenth century, H. U. P. 1962, p. 10.

وكان لدى هذا الحاكم دواوين للكتابة ولجمع الخراج وله سلطة واسعة في الأحكام يعاقب بالسجن والقتل ويجمع الأموال بدون استشارة ديوان مصر (١) .

وكان حاكم جرجا يأخذ لقبه من حكمه لهذا الاقليم فيذكر بلقب (بك جرجا) أو (حاكم الصعيد) أو (الصعيدى) مثل : اسماعيل بك جرجا ، ومحمد بك حاكم الصعيد ومحمد بك الصعيدى (٢) .

وكان منصب جرجا من المناصب المرموقة التى يتطلع اليها بكوات المماليك نظير ما يقومون به من خدمات فقد اشترط على بك ذو انفجار منحه ذلك المنصب نظير توجهه لمحاربة العربان المهاجمين للحجاج فى العقبة سنة ١١٤٧ هـ / ١٧٣٤م وفعلا وافق الأمراء على ذلك وما أن تم لعل بك محاربة هؤلاء العربان وتمهيد الطريق للحجاج حتى عاد وولى حكم جرجا .

وفى عام ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦م وعد أمراء القاهرة خليل بك قطامش باعطائه منصب حاكم جرجا اذا ما قاد حملتهم الى الصعيد لمطاردة عثمان بك الفقارى والقبض عليه (٣) .

وقد كان حاكم جرجا أهم ممثل للإدارة العثمانية فى الاقليم ويساءله فى أداء واجباته الحامية القادمة معه من رجال الفرق العسكرية .

بالاضافة الى قضاة الاقليم وأعيانه الذين كان عليه أن يحصل على حجة منهم تشهد برعايته وأدائه لواجباته حتى يستطيع دخول القاهرة عند عزله من منصبه والا تعرض للمصادرة والاهانة البالغة (٤) .

ولما أدخل نظام الالتزام الى مصر فى الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادى و الحادى عشر الهجرى وسيطر الهوارة على أراضى الصعيد عن طريق أخذها فى الالتزام فقد منصب بك جرجا أهميته لعودة السيطرة على الصعيد الى الهوارة ، وقد انتقلت معظم واجبات حاكم جرجا الى كبار الملتزمين من الهوارة ورجال الادارة المحلية ولم يبق لحاكم جرجا سوى التحكم فى أنظمة الري (٥) .

(١) محمد بن حامد الجرجاوى ج ١ ص ١٤ .

(٢) الجبرتنى : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٢٢ ، ٤٠ ، ٤٢ .

(٣) الجبرتنى : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٨٣ .

(٤) حسين أفندى الروزمانجى : ترتيب الديار المصرية : الباب الثانى السؤال السادس

ص ١٦ .

(٥) Shaw (S.G.) : The The financial and Adminstrative organization .. p. 62.

وفقد هذا المنصب بريقه ولم يعد صنجق جرجا يهتم بشئون الصعيد وأخذ يتجه ببصره الى القاهرة فى وقت ضعف فيه سلطان العثمانيين بمصر وتمهد السبيل لسيطرة المماليك .

وأصبح من الأجدى لحاكم جرجا أن يهتم بالأحداث السياسية بالقاهرة حتى لا يسبقه زملاؤه المقيمون بها فى أحراز المناصب والمغانم التى يتنافس الجميع عليها ويتطلعون اليها .

ولنا كثيرا ما ترك حاكم جرجا اقليمه ورحل الى القاهرة مستعينا بالهواة وعرب الصعيد الآخرين فى نزاعه ضد زملائه بالقاهرة وكثيرا ما صاحب هؤلاء العرب معه للاشتراك فى الأحداث السياسية بالقاهرة ولعل أبرز مثل لذلك اشتراك محمد بك جرجا فى فتنة افرنج أحمد والتى جرت أحداثها فى القاهرة سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م .

وكان سببها المنافسة على النفوذ والسلطة بين ضباط أوجاق الانكشارية أما مثيرها فهو ضابط فى هذا الأوجاق وهو افرنج أحمد وكان جبارا عنيدا وقده بدأ أمره فى الظهور من سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م (١) ، وقد أراد هذا الضابط أن يسيطر على الأوجاق كله وأن يبسط نفوذه وسلطانه على أقرانه من ضباط الأوجاق فعارضه بعضهم وأبوا عليه ما أراد فغلب النزاع بينهم ولكنه انتصر عليهم واستصدر من الوالى العثمانى مرسوما بنفيهم الى القاهرة وفعلوا خرجوا ثم عادوا بعد مدة الى القاهرة وأرادوا الالتحاق بأوجاقهم ولكن افرنج أحمد عارض فى ذلك فلجأوا الى أوجاق العزب وهو الأوجاق المنافس لأوجاق الانكشارية وطلبوا من ضباط العزب أن يكونوا الواسطة بينهم وبين خصمهم افرنج أحمد فى عودتهم الى أوجاقهم فلبى ضباط الأوجاق طلبهم ، ولكنهم فشلوا فى وساطتهم اذ أصر افرنج أحمد على موقفه من خصومه وأيده فى موقفه أيوب بك (٢)

(١) الجبرتى : عجائب الآثار - ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) الأمير أيوب بك :

تابع الأمير درويش بك وقد تسبب مع افرنج أحمد فى إثارة الفتنة الشهيرة وتولى قيادتها معه وأرسل الى محمد بك جرجا وحاكم الصعيد مستنجدا به اليه لمساعدته ومع عرب الهواة وباقى عرب الصعيد .

وأيوب بك من أصل جركى وينتمى الى فرقة الفقارية وقد تولى إمارة الحج سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م وطلع بالحج عشر مرات وعزل سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م وتولى الدفتر دارية ثم عزل عنها ثم وقعة الفتنة واشترك فيها ولما انتهت بهزيمة حزبه خرج هاربا من مصر الى الشام ومنها الى استانبول ولم يزل بها حتى توفى سنة ١١٢٤ هـ / ١٧١٢ م - غريبا وحيدا وقد انتهب ماله فى الفتنة لذا عاش أولاده بعده ، فقراء وكانوا اثنى عشر ابنا ما بين ذكور وإناث .

الجبرتى : ج ١ ص ٩٨ .

الامر الذى أغضب ضباط العزب فوقفوا ضده وانتصروا لغرمائه فلما رأى الأمراء المسئولون أن الخلاف اتسع اتساعا يخشى منه نشوب القتال بين الأوجاقين تدخلوا لفض النزاع بين أفرنج أحمد وخصومه من ناحية وبين الأوجاقين من ناحية أخرى ولكن اصرار المتنازعين جميعا كل على موقفه اضطر الأمراء الى التدخل بصفة جدية فجرفهم تيسار النزاع وأصبحوا أطرفا فيه (١) .

وقد أدى تدخل أوجاق العزب والأمراء فى النزاع الى انقسام الأمراء وأوجاوقات الحامية قسمين :

١ - قسم يؤيد أفرنج أحمد وفيه أيوب بك ومحمد بك الكبير حاكم جرجا وأغوات الاسباهية وأوجاق الينكجرية والباشا وقاضى العسكر (٢) .

٢ - والقسم الآخر يؤيد خصومه ، وفيه فرق الاسباهية الثلاثة بجنودها عدا أغواتها وفرقتا الجاويشية والعزب وايواظ بك وقيطاس بك الدفتردار وإبراهيم بك أمير الحج سابقا وبعض البكوات الآخرين (٣) .

ثم تطورت الأمور وتحول النزاع الكلامى الى حرب دموية استمرت سبعين يوما .

وكانت عنيفة وقاسية نتج عنها أهوال ذاق المصريون وبخاصة سكان القاهرة مراراتها فقد بدأت الحرب وسط أحياء القاهرة الآهلة بالسكان فهدمت بيوتهم واحترق متاعهم وأغلقت الأسواق وعطلت المتاجر وانقطع جلب الماء من النيل للشرب .

فقد نهب أيوب بك جمال السقائين وحيرهم لمنع الماء من البلد .

وقد اشترك محمد بك حاكم جرجا ومعه الهوارة اشتمراكا فعليا فى أحداث الفتنة .

(١) الشيخ على بن محمد الشاذل الغرا : مخطوط ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة بالقاهرة نشر وتحقيق : د. عبد القادر أحمد طليمات المجلة التاريخية مجلد ١٤ لسنة ١٩٦٨ ، مطبعة جامعة عين شمس ٣٢٨ .

(٢)

P. M. Holt : The pattern of Egyptian Political History from 1517 to 1798 in the book of : political and social change in Modern Egypt historical studies from the ottoman conquest to the United Arab Republic, London Oxford U.P. 1968, p. 86.

(٣) الجبرتى : عجائب الآثار - ج ١ ص ٤٢ .

فعندما حاول أيوب بك نهب حمير السقائين لمنع الماء عن القاهرة
خرج اليه الأمراء الآخرون بناحية القصر العيني لمنعه من ذلك .

فلما بلغ محمده بك حضورهم هناك جمع طائفة هواره وهجموا عليهم
فانهزموا أمامهم وفروا ثم تقابل الفريقان مرة أخرى وتقاتلا قتالا عنيفا
قتل فيه ما يزيد عن أربعمئة شخص من الفريقين عدا من قتل من الهواره
والعرب الآخرين ، فقد استعان أيوب بك أيضا بأولاد حبيب من عرب
الوجه البحرى .

وقد أدى اشتراك عرب الوجه القبلى والبحرى فى الفتنة الى جعل
أطراف القاهرة وطرقاتها تتعطل من المارة واحتاط الحبايية والهواره
بالأطراف يسلبون الخلق واستاقوا جمال السقائين حتى كاد أهل مصر
يموتون عطشا (١) .

وقد ضاقت على الناس سبل معاشهم وانقطعت أرزاقهم .

ثم انتهت الفتنة بتغلب الفريق المنافس لفريق أفرنج أحمد وهرب
أيوب بك ومحمد حاكم جرجا ومن تبعهم ونهبت دور الجميع وأحزابهم
وهجم المنتصرون على فرقة الانكشارية وقبضوا على أفرنج أحمد وقطعوا
رأسه ورؤس مجموعة من أنصاره . . فذلك فى أوائل جمادى الأولى سنة
١١٢٣هـ / ١٧١١م (٢) .

★ ★ ★

هكذا رأينا من أحداث الفتنة السابقة كيف كان حاكم جرجا يهتم
بالأحداث السياسية بالقاهرة وكيف كان يترك اقليمه ويذهب الى القاهرة
مشاركاً فى أحداثها ومصطحباً معه الهواره وعرب الصعيد الآخرين ،
وقد غضبت الدولة على الهواره لاشتراكهم فى أحداث فتنة أفرنج أحمد
وحضورهم الى القاهرة وقيامهم بالقتال والنهب والسلب فيها .

فأرسلت اليهم حملة لتأديبهم فى رجب سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م
بقيادة محمد بك قطامش وصحبته ألف جندى ومعه مرسوم بتعيينه حاكما
لجرجا عن سنة ١١٢٣ هـ / ١١٢٤م (٣) ، سنة ١٧١١ / ١٧١٢م .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٤٢ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٤٧ .

وقد اشتد غضب الدولة على الهوارة لأنهم بعد هزيمتهم في فتنة أفرنج أحمد ومغادرتهم القاهرة مرافقين لمحمد بك حاكم جرجا السابق ذهبوا معه الى أخميم مقر الأمير حسن الاخميمي منافس محمد بك في السيادة على الصعيد وعدو الهوارة ومنافسهم في السيطرة على التزامات ولاية جرجا ، وقاموا بتخريب اخميم ونهبها .

لذا سحب الأمير حسن الاخميمي حملة محمد بك قطامش على الهوارة سنة ١١٢٣هـ للانتقام منهم ، وقد حمل محمد بك معه فرمانا بأهراق دم هوارة قبلى .

وقد تتبع محمد بك قطامش ومعه هوارة بحرى والأمير حسن الاخميمي هوارة قبلى الى قنا وقوص وقتلوا كل من عنروا عليه منهم .

ثم لجأ هوارة قبلى بعد ذلك الى ابراهيم بك أبو شنب (١) وهو صديق لهم وطلبوا منه أن يأخذ لهم أمرا بتأمينهم من الباشا وأن يكتب

(١) الأمير ابراهيم بك أبو شنب :

أصله من ممالك مراد بك القاسمي وخشداش (زميل) أيواط بك ثفلة الامارة والصنحية معه ، وكان من الأمراء الكبار المدودين تولى اماره الحج سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م وطلع بالحج مرتين ثم عزل عن اماره الحج لأمر وقعت له مع العرب باغراء بعض أمراء مصر وقد سافر أميرا على العسكر المعين فى فتح كريت سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٢م ولما خرج بالوكب خرج أمامه شيخ الشعاذيين وجماعة من رجاله لأنه كان محسنا لهم ويعرفهم واحدا واحدا وكان اذا اعطى بعضهم شيئا ولاقاه فى طريقه من جهة أخرى يقول له « أخلت نصيبك فى المحل الغلاتى » .

ثم عاد الى مصر وطلع الى الاسكندرية ووصل خبر قدومه الى مصر فجمع الشعاذون من بعضهم نقودا واشتروا حصانا جميلا وأعدوا له سرجا فخما وركابا مطليا وعباء مزركشا وكلفهم ذلك مبلغا كبيرا ولما وصل الى القاهرة قدموه له فقبله منهم وركبه وذهب الى داره وذهب اليه الأمراء والأعيان وسلموا عليه وهناؤه بسلامة الوصول وخلع على شسيخ الشعاذيين وتقيهم كل واحد (جوشة) ولكل فقير جنة وطاقية وشملة ولكل امرأة قميصا وملاء فيومي وأغدق عليهم اغداقا زائدا وعمل لهم وليمة .

وكانت رئاسة مصر فى ذلك الوقت لابراهيم بك ذو الفقار الذى كان قد عزم على القضاء على القاسمية فلما حضر ابراهيم بك أبو شنب واستقر بمصر اتفق ابراهيم بك ذو الفقار مع على باشا المتولى باشوية مصر اذ ذاك على قتله بحجة المال والغلال المنكسرة عليه فى غيبته وقدرها اثنا عشر ألف أردب قمح وأربعون كيسا من النقود فأرسل اليه الباشا رسولا يطلبه للمثول بين يديه وكان ابراهيم بك أبو شنب قد علم بال المؤامرة من شخص من أتباع الباشا نفسه فامتنع من الذهاب اليه فحاصره الباشا فضاك صدره وبينما هو فى هذه الحال اذ ورد أمر بعزل الباشا وتولية اسماعيل باشا حاكم الشام بدله وقد أرسل هذا قبل وصوله أمرا الى ابراهيم بك أبو شنب بتعيينه قائما له فاقبلت عليه الدنيا وتولى الدفتردارية سنة =

بذلك الى حاكم جرجا ، وفعلا قبل ابراهيم أبو شنب التوسط للحوارة وحصل لهم على العفو وأرسله اليهم بمرسوم حملة اليهم رسول خاص وهو محمد كاشف .

فسر الحوارة لذلك سرورا شديدا وحملوا الرسول بالهدايا الثمينة لولاة الأمور في القاهرة وقدموا الى ابراهيم بك (موكب غلال وخيول مثمرة وأغنام) (١) .

وقد تابع حكام جرجا في القرن الناعن عشر الميلادي / الثاني عشر الهجري سياستهم واهتمامهم بالحوادث السياسية بالقاهرة ومصادرة اقليمهم اليها كلما قامت بها فتنة سياسية ففي ١١٦١ هـ / ٧٤٧٨ م وفي عهد محمد راغب باشا الذي تولى منصبه باشا مصر سنة ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥م حدثت فتنة سياسية بالقاهرة لأن محمد باشا راغب أنشأ علاقات ودية مع بكوات المماليك فوشى به خصومه عند السلطان الذي أرسل اليه طالبا منه قتل أكبر عدد ممكن من بكوات المماليك مهددا اياه بأنه ان لم يفعل ذلك تعرض للاعدام .

وقد فضل راغب باشا بالطبع الإبقاء على حياته على الإبقاء على صداقته لهؤلاء المماليك واتفق مع حسين بك الخشاب على الإيقاع بأكبر عدد ممكن من بكوات المماليك وفعلا ساعده في ذلك ودبر معه حضور عدد منهم اليه والغدر بهم عندهم ولما حضرت المجموعة نفعه الباشا مع الخشاب المؤامرة التي قتل فيها خليل بك أمير الحاج ، وعلى بك الدمياطي (مؤسس بيت الدمايطي) وعمر بك بلاط وهرب على أثرها ابراهيم بك قيطاسي الى الصعيد ومعه مجموعة من صناعيق مصر ، وهربت مجموعة أخرى الى الخجاز .

ولم يلبث حاكم جرجا وقتئذ وهو على بك ان غادر اقليمه وحضر الى القاهرة للاشتراك في هذه الفتنة التي أدت الى ثورة رجال الأوجاقات العسكرية وصناعيق مصر الذين ثاروا على حسين بك الخشاب وحاصروا منزله وحاربوه حتى خرج فارا الى الصعيد وأجبروا الباشا على مغادرة مصر وكان ذلك في أواخر عام ١١٦١ هـ / ١٧٤٨م (٢) .

= ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م اوستمرت بها الى سنة ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م ثم عزل وتقلد اماره الحج ثم أعيد الى الدفتردارية سنة ١٢٧هـ/ ١٧١٥م ممرضاً بالطاعون وعمره اثنان وتسعون سنة وخلف ولد محمد بك الذي غدا من كبار الأمراء المماليك وكانت له مكانة هامة كوالده .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٠٥ .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٤٨ .

(٢) الاسحاقى : أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ص ١٨٢ .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٥٣ .

وبانشغال حاكم جرجا بالحوادث السياسية بالقاهرة وبصراعه مع زملائه فيها ، واهتمامه بالبقاء بها أغلب أوقاته وجدت القبائل العربية المقيمة بالصعيد فرصة كبيرة للسيطرة على مقاليد الأمور فيه ، ومحاولة السيطرة على الحكم فى الصعيد وكان الهوارة أقوى هذه القبائل وأكثرها قدرة على العمل ومحاولة السيطرة على مقاليد الأمور فى الصعيد .

وقد كان لتوحيد أقاليم الصعيد والتي كان لكل منها سابقا حاكمه الخاص تحت أمرة حاكم جرجا أمر له خطره اذ كان هذا التوحيد بما يقدمه لهذا الحاكم من قوة ينيح له الفرصة للقيام بأى عمل ضد حكومة القاهرة خاصة وأنه على رأس اقليم غنى وبعيد عنها .

وقد زاد الخطر أكثر بادخال نظام الالتزام الى الصعيد فى النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادى / الحادى عشر الهجرى حيث كانت القبائل العربية المقيمة به من زمن بعيد والتي تتمتع بالشراء والعصبية القبلية والتي ترك التزام أراضى جرجا فى أيديها مما قدم لها الفرصة للسيطرة على ادارة جرجا فمن يسيطر على أراضى جرجا فى الالتزام يمكنه السيطرة على الحكم فيها وإدارتها مستغلا ما يقدمه له الالتزام الواسع من ثراء ويساعده على ذلك بعد اقليم جرجا عن القاهرة مركز الحكم والقوة .

وهذا ما حدث فى عهد الشيخ همام بن يوسف اذ أتاح له ثراؤه الطائل وسيطرته على أراضى جرجا الواسعة ان يسيطر على الصعيد كله وأن يقضى عنه كل سيطرة ونفوذ للحكومة العثمانية فى القاهرة .

الفصل الثالث

الأرض والالتزام فى الصعيد

نظام الأرض فى الصعيد - نظام الالتزام -
ادخاله فى مصر العثمانية - تطوره - دوره
كاساس للنظام الادارى والمالى فيها - سيطرة
همام على التزامات الأراضى فى الصعيد من
المنيا الى أسون

الأرض والالتزام فى الصعيد

كانت أراضى الصعيد قبل الفتح العثماني خاضعة لنظام الاقطاع ذلك النظام الذى أدخل الى الشرق الأوسط فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى والذى بدأه بنوبويه ومن بعدهم السلاحقة (١) الذين أتبعوا هذا النظام ورأوا أن يحلوا الاقطاعات محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش ، وهذا ما بدأه نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقى (٤٦٥هـ / ٤٨٥هـ / ١٠٧٢م / ١٠٩٢م) ونقلته عنه السولة النورية ثم الدولة الأيوبية .

وقد بلغ هذا النظام الذروة فى دولة المماليك (٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠م / ١٥١٧م) .

ويعتبر عصر السلاطين المماليك العصر الذى اكتملت فيه النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط .

وقد اعتبرت الأرض ملكا للسلطان وجنوده وكانت القاعدة العامة فى التوزيع الاقطاعى وحدتها (القيراط) اذا كان خراج مصر يقسم الى أربعة وعشرين قيراطا توزع أجزاؤها على القرى توزيعا متناسبا مع طاقتها واختص السلطان بأربعة قرايط للكلف والرواتب وغيرها على حين أفردت عشرة قرايط للأمراء والاطلاقات (أى المنح والزيادات) أما العشرة الباقية فكانت توزع بين الأجناد .

(١) . ابراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية ص ٢٢ .

وكانت غالب الاقطاعات تمنح لرجال السيف وهم السلطان وأمراؤه وإحناؤه أى الى الجيش المملوكى بأجناسه وفرقه المختلفة ، وقد حازت فئة قليلة من رجال القلم الاقطاعات وهؤلاء تمثلوا فى الخليفة والفقهاء فضلا عن عدد قليل من أصحاب الحرف المختلفة كالصناع وغيرهم (١) .

وقد استعان صلاح الدين وخلفاؤه من بعده كذلك بعربان مصر فأقطعهم الاقطاعات نظير المحافظة على الأمن والاشتراك معه فى الجهاد واعتبر النظام الاقطاعى المملوكى أن زعماء العرب الداخلين فى طاعة الدولة المملوكية من رجال السيف المقطعين لأن عملهم يتركز فى حماية أطراف الدولة .

وقد كان من أشهر القبائل العربية التى حازت الاقطاعات فى العصر المملوكى عرب بنى الغوث بن طى من خزيمة بنواحى دمياط ، عرب الجمارية المنتسبين الى قريش فى الدقهلية .

وانتشرت جماعة من عربان فايه ، وزنارة ، خفاجة ، هواره بأنحاء البلاد الشمالية بين الاسكندرية والعقبة وهؤلاء معظم عربان الوجه البحرى وبالرغم من ثراء هؤلاء العربان وكثرة عددهم لم يكن لهم أهمية كبيرة لدى الممالك لانعزالهم وانهماكهم فى الزراعة وعدم مساندتهم للحكام فيما كان يجرى من أحداث سياسية (٢) .

ومن قبائل عربان الوجه القبلى التى حازت أوسع الاقطاعات كانت قبائل الهواره ، والسلطان برقوق كما رأينا هو الذى أنزلهم الصعيد سنة ٧٨٢هـ / سنة ١٣٨٠م وأقطع زعيمهم اسماعيل بن مازن ناحية جرجا وكانت خرابا فعمرها الهواره .

وقد دخلت الواحات فى اقطاع العربان لموقعها النائى وما يترتب عليه من صعوبة الاستغلال لغير العرب من المقطعين (٣) .

وقد كانت واجبات وحقوق أرباب الاقطاع ذات جانبين أحدهما أدبى والآخر مادى فمن حيث الأدبى :

كان على المقطع ان يقدم ولاءه لسيده وهو ولى الأمر القائم بوصفه سلطانا .

(١) المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) . ابراهيم على طرخان - النظم الاقطاعية : ص ١٥٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٦ .

أما الجانب المادى فكان أهم ما فيه :

أداء الخدمة الحربية وهى الأساس فى حيازة الاقطاع وعلى الأمير كذلك أن يقوم بأعمال حفظ الأمن ، وأن يسهم فى تسهيل وسائل الاتصال بين أطراف المملكة بتقديم خيول البريد ، وأن يؤدى الالتزامات المالية المتعلقة باقطاعه ، ثم ان المقطعين على اختلافهم مكلفون بنصيب فى الأعمال العامة مثل حفر الخيلجان وعمارة الجسور وعليهم بحكم العرف أداء التقادم (١) بانتظام .

وقد قام العرب المقطعون فى العصر المملوكى بالتزام الخدمة الحربية الفعلية فى ميادين الحرب ، فاشترك فى حروب السلطان فرج ضد تيمورلنك بالشام سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م ستة آلاف فارس من عربان البحيرة والغان وخمسمائة فارس من عربان الشرقية فى صحبة شيخهم ابن بقر .

وقد جرى المصطلح المملوكى على تسمية هذه الجماعات من فرسان العرب باسم العشير .

غير أن العرب لم يخلصوا للمالِك اخلاصا تاما ودليل ذلك أن طومان باى أمر الكشف ومشايخ العربان سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م أن يشرعوا فى تحصيل عشرين ألف خيال من العشير من فرسان العرب ثم أمر برجعهم الى بلادهم برغم شدة حاجته الى أى جندى وذلك بعد اشارة بعض الأمراء بأن العربان ليس لهم فائدة فى خروجهم معه .

فقد أدرك طومان باى عدم سلامة نواياهم فضلا عن الكراهية العنصرية التى حفظها العرب للمماليك وربما ترجع خيانة ابن مرعى للسلطان طومان باى بعد ذلك الى أبعاده العرب على هذا النحو المتكلم بجانب الكراهية المزمنة (٢) .

وعندما فتح العثمانيون مصر استبعدوا منها نهائيا نظام الاقطاعات بالرغم من أن نظام الاقطاع كان جزءا مميزا للنظام العثمانى حتى القرن السادس عشر ، وبالرغم من أن العثمانيين استخدموا هذا النظام فى ولاياتهم الأخرى مثل الشام والعراق حيث عرف بنظام التيمارات والزعامت .

(١) التقادم : تعنى الهدايا وهى مقررة سنويا على ارباب الاقطاعات ومنها ما هو طارىء بحكم الظروف والمناسبات مثل حج السلطان أو زواجه ويحتوى التقادم على خيول وقماش وأثواب مختلفة الأنواع والألوان وكذلك الأسلحة وأنواع الحيوانات والطيور المختلفة والنحف .

د . ابراهيم على طرخان : النظم الاقطاعية ص ٢٠٦ .

(٢) د . ابراهيم على طرخان - النظم الاقطاعية ص ١٩٥ .

وأسباب هذا الاستبعاد ستظل قائمة على التخمين الى أن تتم دراسات أكثر تفصيلا عن حيازة الأرض في السلطنة العثمانية ككل ولعل أهم هذه الأسباب أن السلطان سليم كان يرمى من وراء سياسة إلغاء نظام الاقطاع في مصر الى تحطيم القوة المادية لبقايا المماليك الفارين كانت لهم من قبل الاقطاعات الواسعة التي كانت تشكل أساس قوتهم .

وقد كان مطلوبا من مصر أن تقدم للسلطنة كمية كبيرة من الغلال سنويا ، ولو أديرت أراضيها بنظام الاقطاع لتحولت معظم غلالها من خزائن الحكومة الى خزائن حائزى الاقطاعات .

كما أن إلغاء نظام الاقطاع من مصر يؤدي الى تمكين الموظفين والجند العثمانيين من تكوين قوة محلية قد تجعلهم في مركز يمكنهم من تجاهل أوامر ومصالح الحكومة المركزية ، يساعدهم في ذلك بعدهم عن مقر السلطنة ، مع ملاحظة أن الأشخاص الذين يعتمدون على مرتبات ثابتة تقدمها لهم الدولة يكونون أكثر خضوعا لسلطتها من أولئك الذين يملكون إيرادات مستقلة من الاقطاعات (١) .

وبالإلغاء العثمانيين نظام الاقطاع من مصر أعلنت الأرض كلها ملكا للسلطان بما فيها الأراضي التي كانت مرصدة من قبل كأوقاف والنسب الغاها العثمانيون سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م وقد اضطربت أحوال الناس كثيرا بسبب إلغاء ما كان لهم من أوقاف ورزق أحباسية وقد قام القاضي فخر الدين بن عوض بالاستيلاء على تلك الأوقاف وضمها الى الأراضي السلطانية تحت إشراف خير بك حاكم مصر في ذلك الوقت ، وقد شمل ذلك الإلغاء أراضي الأوقاف في الوجهين البحري والقبلي ، ثم مرض خير بك مرضا شديدا أشرف فيه على الموت ، فأمر بالافراج عن الأوقاف المصادرة وردها الى أصحابها ، تقربا الى الله عله يمنحه الشفاء وبذا عادت أراضي الوقف لمستحقيها وتركت الأوقاف كما كانت خارج الأراضي السلطانية (٢) .

وقد أدارت الحكومة الأرض بعد ذلك بنظام المقاطعات أو الأمانات وكانت حدود كل مقاطعة أو أمانة تشمل القرى والأراضي والالتزامات الضريبية التي كانت محددة لها سابقا في سجلات الريع المملوكية .

Shaw : Land holding and land-tax, Revenues in Ottomen (١)
Egypt : in political and social change in modern Egypt p. 92.

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور - ج ٣ ص ٣٠٧ .

وقد تم ادخال نظام الأمانات أو المقاطعات، الى مصر فى الصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى / العاشر الهجرى .

وأسندت ادارة المقاطعات لوكلاء مأجورين عرفوا بالأمناء وكانوا يأخذون مرتبات ثابتة من الحكومة غير مرتبطة بكمية الايرادات التى يقدمونها لها ، وقد اخير هؤلاء الأمناء من الموظفين المماليك الذين كان ينطبق عليهم اللقب المملوكى القديم للحاكم الاقليمى (الكاشف) .

وفى الصعيد استمر مشايخ العرب فى ادارة الأراضى التى كانت تحت أيديهم كاقطاعات بعد أن حولت الى مقاطعات تركها لهم العثمانيون مقابل اعترافهم بالسيادة العثمانية ، وتعهدهم بدفع ضريبة سنوية ثابتة للخزينة مقابل حيازتهم لهذه المقاطعات .

وكانت أهم واجبات الأمن :

التأكد من صلاحية كل قنوات الرى والسدود فى مقاطعته لتجمل فيضان النيل ، كما كان عليه ضمان توفير العدد الكافى من الفلاحين المستعدين لزراعة الأرض وجمع محاصيلها وقت الحصاد ، وتوفير الحماية للفلاحين من هجمات الأعراب ، وأن يكون قادرا على جمع الضرائب فى موعدها وتسليمها للحكومة (١) .

أما رعاية الأمن المحلى وهى المهمة التى كان يقوم بها سابقا أرباب الأقطاع فقد تركت للحكام الاقليميين والحاميات المرافقة لهم .

ولكن نظام الأمانات سرعان ما أثبت أنه غير عملى لأن الأمناء المأجورين لم يقنعوا بمرتباتهم الثابتة بل حاولوا الحصول على موارد أخرى بطرق غير مشروعة ، بالإضافة الى أن نجاح هذا النظام كان يتطلب ادارة مركزية قوية للسيطرة على مختلف المناطق والمقاطعات والموظفين وهذا لم يتوفر للادارة العثمانية فى مصر .

وقد فشلت الحكومة فى توفير العدد الكافى من الأمناء لشغل تلك الوظائف ، فقله استبعدت المماليك السابقين خوفا من عدم اخلاصهم اذ ربما استغلوا مراكزهم للقيام بثورة أخرى تشبه تلك التى قام بها أحمد

باشا (الخائن) سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٤ م (١) ولم تستخدم الجند العثمانيين للحاجة الملحة لخدماتهم العسكرية واستخدمت فقط العثمانيين المرسلين من أماكن أخرى من السلطنة وقلة من الأقباط واليهود وحتى هؤلاء كانوا يرفضون غالبا تولي وظائف أمناء المقاطعات لأن الأجور المخصصة لهم لم تكون مجزية .

ونتيجة لذلك :

أصبحت توكل للأمن الواحد ادارة عدة مقاطعات ، ولكن الأمناء في هذه الحالة لم يستطيعوا توجيه العناية اللازمة لكل ما أسند اليهم من مقاطعات ، لذا اتخذوا لهم وكلاء عرفوا بالعمال .

وقد اختير هؤلاء من الموظفين السابقين من الممالك ومن الجند (٢) ولا غرائهم أعطيت لهم هذه الوظائف كالتزام (ضريبة مزرعة) واشتغلوا كملتزمين أى جامعى ضرائب (Tax-Farmers) وكانوا يقدمون مبالغ سنوية ثابتة للأمناء ويحتفظون بباقي إيرادات الضرائب كأرباح لأنفسهم ، وبدافع الربح الشخصى ازداد نشاط العمال فى تحصيل أكبر كمية من الضرائب وحصلوا تدريجيا على أرباح أكثر وأغضبت الدولة عينها عن ذلك نظرا لتدهور الأمور ولم يكن أمامها غير قبول ما يقدمه هؤلاء من ضرائب لاضطرارها الى التعامل معهم لادارة المقاطعات الزراعية .

وقد أدت ثورة أحمد باشا الى حرمان الخزينة من العمال الممالك الذين اشترك كثير منهم فيها وقتلوا أو شنتوا بعد هزيمته لذا غدا العمال كلهم من الفرق العسكرية ، وكان على كل عامل (ملتزم) أن يدفع ثمنا

(١) أحمد باشا :

تولى باشويه مصر سنة ٩٢٩ - ٩٣٠هـ / سنة ١٥٢٣م وقد قام بثورة بقصد فصل مصر عن السلطنة العثمانية لأنه أراد الانتقام لفقده منصب الصدارة العظمى التى تولاها منافس له يدعى إبراهيم باشا الذى ناصبه العداة وتعقبه بعد توليه مصر حتى أفلح فى استصدار أمر من السلطان لأمراء مصر بقتل أحمد باشا ، وأرسل لهم ذلك الأمر سرا ولكنه وقع مصادفة فى يد أحمد باشا سنة ٩٣٠هـ فأخفاه وسولت له نفسه العصيان فقتل الأمراء الموجه اليهم بقتله وادعى السلطنة وأمر بأن يخطب باسمه على المنابر وضربت باسمه السكة على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع الأموال واستطاع التغلب على جيش القلعة ولكن انتهى أمره بخيانة أحد أصدقائه من الممالك الذين تمكنوا من قتله وبالرغم من مقتله فقد تابع أنصاره المقاومة واستطاعوا السيطرة على معظم الريف ولم تخمد الثورة نهائيا الا بوصول قوات عثمانية بقيادة الوزير إبراهيم باشا صهر السلطان سليمان .

الاسحقى : أخبار الدول ص ١٤٩ .

(٢) Shaw : The financial and administrative organization p. 32.

لحصوله على الالتزام مبلغا يساوى تسعة أمثال ونصف الزيادة السنوية المنتظرة والتي كانت تترك له بعد تسليم الضريبة السنوية المقررة للجزينة ، وقد عرفت هذه الزيادة فيما بعد بأسم فائض الالتزام .

وقد كان الالتزام محدودا بالنسبة لكل عامل أما بمحصول كامل أو جزء من محصول وذلك حتى لا ينصرف الجندي أو العامل عن خدمته العسكرية مدة طويلة ، وقد بقى الأشراف على المقاطعات للأمناء للحد من نفوذ العمال ومراقبتهم .

بالإضافة الى أنه كان على كل عامل أن يقدم ضامنا يعتبر مسئولا عنه وملتزما بالتزاماته - لو أهمل فيها - أمام الجزينة وكان هذا الضامن عادة هو رئيس الفرقة التي ينتمى اليها العامل .

هكذا أدخل نظام الالتزام الى مصر على أساس قواعد محدودة ومضبوطة .

ولما كانت هذه الالتزامات محدودة بزمان معين وإيرادات معينة ، فقد كان العامل يحصل على أكثر موارده من عمله في أوقائه الذي ينتمى اليه وكانت السلطات العثمانية تنظر الى الالتزام كوسيلة لإدارة الأرض أكثر منه كوسيلة لمكافحة الأجناد .

وطبيعى أن يتطلع العمال الى زيادة نصيبهم من موارد الأرض فازداد نشاطهم وأخذوا يشتطون في جمع الضرائب وازدادت قوتهم آزاء رؤسائهم من الأمناء وآزاء الجزينة أيضا وذلك تبعا لأهمية الأوجاقات التي ينتمون اليها في وقت توالى فيه المنازعات الدموية بين الأوجاقات العثمانية .

وهكذا ترتب على ذلك أن توارى أمناء المقاطعات حتى انتهت مهمتهم في أواخر القرن السادس عشر .

وحاولت الجزينة أن تحدد من سلطة العمال في فرض زيادات غير مناسبة من المال على الفلاحين وذلك بمنح المقاطعات بالالتزام للضباط من الفرق العثمانية ولبيكوات الممالك أيضا من القادرين على إدارة الأرض بكفاية دون إرهاب الفلاحين أو تعد على حقوق الجزينة ولكن هذه الخطوة لم تتحقق على النحو الذى أرادته الدولة نظرا لأن الملتزمين غدا معظمهم من أعضاء الفرق العسكرية الذين كانوا قد وصلوا الى مركز السيطرة والتحكم في مصر العثمانية .

وتحديد بدء ادخال نظام الالتزام الى مصر بالضبط أمر لم يمكن معرفته الى الآن .

فبالرغم من أن قانونامة الحاص بالسلطان سليم قد أشار الى هذا النظام عند حدينه عن واجبات الدفتردار وعن حقه فى أخذ ضريبة عند التوقيع بامضائه على عقود الأرض المعطاة للأمناء بالأمانات (١) وبالالتزام ، فان معظم المؤرخين متفقون على أن نظام الالتزام لم يستخدم فى مصر قبل عهد السلطان سليمان القانونى .

وبنهاية الربع الأول من القرن السابع عشر م/الحادى عشر هـ أصبح الالتزام هو الشكل الذى تحولت اليه مقاطعات الأرض الزراعية فى مصر العثمانية(٢)وغدا الوسيلة الرئيسية لادارة الأرض فى مصر وجباية أموالها .

ولم يكن نظام الالتزام جديدا على مصر فقد استخدم العرب منذ فتحهم لمصر لادارة الأرض نظاما مشابها لذلك وهو نظام قبالات الأرض أو الضمان فكان متولى الخراج يجلس فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط فى الوقت المحدد لتوزيع قبالات الأرض ومعه كتاب الخراج ويحضر اليه الراغبون فى استئجار الأرض من القرى والمدن ثم يعقد المزاد ويسجل كتاب الخراج ما ينتهى اليه المزاد من اعطاء القرى لمتقيليهـا والمبالغ المحددة لذلك .

وكان ذلك المزاد يقام كل أربع سنوات أى أن العقد بين الدولة والمتقيل كان يستمر تلك المدة .

واذا ما حصل المتقيل على قباليته توجه اليها وتولى زراعتها ، واصلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك .

ويحمل ما عليه من الخراج فى ابائه على أقساط وكان يحسب له من المبلغ المحدد له ما ينفقه على عمارة الجسور وسد الترع ، وحفر الخللجان . وكان على كل متقيل أن يقدم للدولة ضامنا يضمن لها أدائه للخراج .

فكان الوضع يأخذ شكل عقد بين المتقيل والدولة لمدة أربع سنوات يتعهد فيه المتقيل بزراعة الأرض وأداء الخراج المطاوب فى موعده وكان لا يمكن فسخ العقد قبل موعده طالما بقى المتقيل يؤدي ما عليه من خراج بانتظام .

وكان نظام الضمان يشمل . . بجانب الأراضى الزراعية :

(١) من المحتمل أن المتن المنشور لهذا القانون قد حوى لفظ (بالالتزام) حشو ولم يكن متضمنا فى الأصل خاصة وأن هذا المتن كان يمثل نسخة طبعت عن الأصل بعد مائة عام فى سنة ١٦٢٠م .

(٢) Shaw : The financial and administrative organizon, p. 33,
Gibb and Bowen : Islamic society Vol. II, p. 21.

البساتين والحمامات ، القيساريات ، المساكن ، الرباع •
وكانت البلاد تضمن بقبالات أقسام (أو أحواض محدودة) للأمرء
والأجناد ، الأعيان وأهل الأقاليم من العرب والأقباط •

وكانت أحيانا تنبقي فى جهات الضمان والمتقبلين جملة بواق أى
أموال خراج (١) متأخرة فكان الولاة يشهدون فى طلب ذلك مرة
ويسامحون به مرة •

وإذا نقص ماء النيل وشرقت الأراضى أرسل الوالى شخصا يثق
فيه وخرج معه كاتب له معرفة بعلم الخراج (وكثيرا ماكان هذا الأخير من
الأقباط) لاثبات مساحة الأراضى التى شرقت أى بارت نتيجة هذا النقص
والأراضى التى شملها الرى ، لتحديد الأراضى التى يسامح متقبلوها
بالخراج نتيجة لذلك ويرجأ تحصيله منهم الى وقت آخر • وكان الخراج
الذى يقدمه المتقبلون مالا أو غلالا •

وقد انتهى نظام الأرض بقبالات بنهاية الدولة الفاطمية وقيام الدولة
الأيوبية بمصر وهى التى أدخلت نظاما هو نظام الاقطاع الذى تحدثنا عنه
فى بداية هذا الفصل •

وهكذا رأينا أن نظام التزام الأرض لم يكن جديدا على مصر فقد
سبق تطبيق نظام مشابه له فيها وهو نظام ضمان قبالات الأرض •

وكان نظام الالتزام فى مصر العثمانية يعنى أن ملتزم المقاطعة
يلتزم بدفع مبلغ معين للخرينة طالما أن مصدر الدخل أى المقاطعة تنتج
له انتاجها المتوقع منها •

وقد كانت الالتزامات تمنح لمن يتقدم لها من التجار الأثرياء
والكتاب ، رجال الدين ، العلماء ، شيوخ العرب ، أعضاء البيوت المملوكية
وللنساء (٢) •

(١) الخراج :

ضريبة على الأرض المفتوحة عنوة أو صلحا فى غير بلاد العرب نفسها • وقد اعتبر العرب
أرض مصر خراجية لفتحها صلحا ، وتركت أرضها لأهلها مقابل دفعهم الخراج : أى ترك لهم
حق استغلال الأرض فقط لا ملكيتها •

د محمد كامل مرسى : الملكية العقارية فى مصر وتطورها التاريخى من عهد الفراعنة
حتى الآن - القاهرة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ص ٤٨ •

(٢) دفاثر التزامات الولايات القبلية بالقلمة •

د فتر رقم ٨ لسنة ١٠٩١ هـ عين ١ مخزن تركى •

أجوبة حسين أفندى الروزنامجى : نشر الأستاذ شفيق عربال - مصر عند مفرق الطرق -
الباب السابع - السؤال الأول ص ٣٦ •

ثم غشت السيطرة على الالتزامات منذ منتصف القرن ١٧م/١١ هـ
ليكوات الممالك الذين كانوا قد وصلوا الى مركز التحكم فى مجريات
الأمر كلها فى مصر .

وكان حق التمتع بالالتزام غير محدود بمدة معينة وضمن شرائه
(حيازته) يدفع مرة واحدة فقط وحينئذ يكون للملتزم حق استغلاله
طالما هو يؤدى الخراج المطلوب منه للدولة فى مواعيده المحددة .

وكان الملتزم يحصل أحيانا على مقاطعة كاملة أو جزء منها وكان
يعطى له حينئذ ايضا عرف (بافراج الملتزم) أو تقسيطه الديوانى) .

يحمل فى نهايته أسم المقاطعة وعدد القرايط التى حصل عليها
الملتزم منها وتوقع الضامن أو الكفيل الذى يوقع أسفل التقسيط بموافقته
على تعويض الخزينة المبلغ المطلوب من الملتزم فى حالة فشل الأخير فى
سداد ما عليه من خراج ثم يأخذ الملتزم الايصال الى الكاتب المختص فى
الخزينة الذى يكون على التقسيط وصفا كاملا للمقاطعة يشمل :

أسماء كل قرى المقاطعة والمساحات المزروعة فيها وأسماء الملتزمين
المشتركين فيها ، والضريبة الكلية المطلوبة سنويا للخزينة على كل المقاطعة ،
ثم يحصل الملتزم على توقيع الدفتردار على (افراجه) وكذا توقيع الباشا
وتسجل الروزنامة (١) حينئذ على التقسيط أمر رسمى يحدد واجبات
الملتزم برعاية العدل مع فلاحيه وأداء المال الذى المطلوب منه فى مواعده ،
وحقوق الملتزم على الفلاحين التى تقضى بوجوب طاعته ومساعدته (٢) .

(١) الروزنامة :

ادارة قديمة العهد وأعمالها موجودة منذ عام ٨١٨هـ/١٤١٥م أى أن وجودها يرجع الى
ما قبل الفتح العثمانى لمصر .

وكلمة الروزنامة فارسية الأصل معناها الجرنال أو النقيوم وقد اختصت الروزنامة فى
مصر بالاشراف على التزام الأرض وترتيب صرة الحرمين والمحافظة على دفاتر الحسابات أى أنها
كانت بمثابة دار محفوظات لحفظ السجلات ، وقد كان العمل بها يجرى فى سرية تامة
ودفاترها لا يطلع عليها سوى الموظفين المختصون وكانت الدفاتر التى ينتهى العمل بها
تحفظ فى خزينة مخفية بالقلعة .

وكان أكثر أفندية الروزنامة من الممالك وهم مسلمون وبلغ من حرص أفندى الروزنامة
على أعمالهم أن ابتدعوا خطأ لكتابة حساباتهم لا يمكن لغيرهم قراءته وهو خط قرمة .
د . محمد فؤاد شكرى والاستاذان عبد المقصود العنانى ، وسيد محمد خليل بناء دولة
مصر محمد على - القاهرة ١٩٤٨ ص ١٣ ، ١٤ .

الاستاذان محمد شفيق غربال مصر عند مفرق الطرق ص ٥ .

(٢) Shaw : The financial and administrative organization ... p. 34.

وعندما يحصل الملتزم على التقسيط المذكور تصبح في يده حجة قانونية تؤيد حقه في استغلال التزامه .

وقد تغير شكل افراج الملتزم في القرن الثامن عشر / ١٢ هـ فقدا أكثر تبسيطاً كما سنرى من دراسة تقسيط خاص بالشيخ همام .
فقد . .

ورد به في أعلاه ختم الباشا بموافقته على حصول الشيخ همام على هذا الالتزام كالتالى :

بمحمد يرجو الأمان محمد
فما يخاف وفى نوالك راغب
وكان هذا الباشا هو محمد باشا راغب .
ثم ذكر في التقسيط أنه عن مقاطعة :

مال حماية قرية حراجية تابع قوصية ١٢ ط. تابع ولاية جرجا وعهدة شيخ العرب همام يوسف بقدر ١٢ قيراط وجه التزام قيده شده عن أول موت ٥ ذى القعدة سنة ١١٦٠ هـ من اسم اسماعيل عبد الله تابع محله أحمد مستخفظان خربوطلى ملتزم ١٢ قيراط فى القرية المذكورة قيد شده بموجب بابيورلدى شريف حضرة وزير روى ضمير محمد راغب باشا محافظ مصر أدام الله اجلاله ١١ جمادى الأولى سنة ١١٦١ .

والعبارات السابقة كلها مدونة بخط القزعة .

ومال حماية : الذى ورد فى هذا التقسيط كان يعنى ضريبة اضافية غير قانونية فرضها الملتزمون على أراضى الوقف الواقعة فى التزامهم فى القرن ١٧ هـ / ١١ هـ وكانوا يدفعون جزءاً من ايرادها للباشوات مقابل حماية حقهم فى فرضها لأنها غير شرعية ومن هنا أخذت اسمها (مال حماية) وقد اعترفت الدولة بهذه الضريبة وتم نقل الجزء الذى كان يحصل عليه الباشوات منها من ايرادات الولاية الى ايرادات الخزينة السلطانية سنة ١٦٧١ م / ١٠٨٢ هـ (١) .

أما قرية حراجية فهى احدى قرى قوص وقدر حصل الشيخ همام على ١٢ قيراطاً كانت فى التزام أحد أتباع المالك المذكور اسمه فى التقسيط وهو اسماعيل عبد الله .

وقد كانت كل مقاطعة تنقسم الى ٢٤ قيراطا توزع على قراها بأجزاء مناسبة لكل منها .

وقد حصل همام على هذا الالتزام فى أول توت ٥ ذى القعدة سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧م وتمت موافقة الباشا ببيورلدى أى أمر منه على حصول الشيخ همام على القرايط المذكورة وتمت الموافقة بتاريخ ١١ جمادى سنة ١١٦١ هـ / ابريل سنة ١٧٤٨م .

ثم ذكر فى التقسيط حساب الضريبة المطلوبة على هذا الجزء فقط وهى :

١٥٠ قديم

٦ جديد

١٥٦ بارة

وتلاحظ هنا تبسيطاً بالنسبة لذكر الضريبة على الجزء الخاص بالملتزم فقط وليس على كل المقاطعة وإغفال ذكر أسماء الملتزمين الآخرين لأجزاء المقاطعة وأسماء باقى قراها :

ويعنى المال القديم الوارد هنا أعلاه الضريبة الأصلية المقررة على هذه الأرض والمدونة فى سجلات التأريخ (أى المساحة العثمانية التى وضعت فى بداية قرن ١٧م / ١١ هـ أما الجديد فهو الزيادة التى استحدثت على المال المقرر الأصيل .

ثم يحوى الشطر الأخير من التقسيط النصيحة التقليدية التى يوجهها الباشا باللغة التركية للملتزمين كما يلى :

أنت أيها الملتزم المذكور ، انه بموجب هذا التقسيط الديوانى المعطى لك ، قد أصبحت القرية المذكورة فى التزامك يحق ١٢ قيراط من مصلحة المذكور فبناء عليه تصرف فيها وعليك أن تؤدى المال الميرى المفروض عليك فى وقته مع التحرز من الظلم والتعدي .

وهذه النصيحة كانت تأخذ شكلا تقليديا واحدا فى جميع تقاسيط الالتزام (١) .

(١) عرب هذه النصيحة التقليدية وأورد نماذج لها الاستاذ محمد رفعت رمضان فى كتابه : على بك الكبير - ص ٨٠ ، ٨١ ، وعنه نقلت الترجمة وطبقتها على هذا التقسيط المنشور باللاحق - ملحق رقم ٦ ص ١٧١ .

ثم ورد فى نهاية التقيسيط امضاء الباشا محمد راغب واعتماد
الدفتردار (١) محمد مصطفى .

ونلاحظ على هذا التقيسيط الصادر فى النصف الثانى من القرن
١٢ هـ / ١٨م خلوه من توقيع ضامن أو كفيل للملتزم مما يدل على الغاء
هذا النظام تبعاً لاشتداد قوة الملتزمين وضعف السلطات الحكومية
وتدهورها .

وقد كانت الالتزامات تمنح بعد مزايدات تقام فى ديوان القاهرة وكان
ثمن حيازة الالتزام يساوى تسعة أمثال ونصف (أى فائض الملتزم)
الزيادة السنوية التى تترك للملتزم بعد سداد المالى المبرى .

وفى عام ١٦٩٢ م / ١١٠٤ هـ حصل الملتزمون على حق الاحتفاظ
بجيازة أراضيهم لمدى حياتهم وكان للملتزم الحق فى التنازل عن أرضه
للآخرين مقابل ثمن معين

وإذا فشل الملتزم فى أداء التزاماته كان قانوناً عرضة للمقبض عليه
وتعذيبه وسجنه والاستيلاء على التزامه وكل ممتلكاته الأخرى ومصادرتها
لصالح الخزينة .

وعندما كانت تخلو مجموعة من مقاطعات الالتزام لعجز ملتزميها
أو وفاتهم كان يعاد طرحها فى مزايدات جديدة وكان ثمن الحصول على
الالتزام فى هذه الحالات أيضاً يساوى تسعة أمثال نصف متوسط (الفائض)
المنتظر حصول الملتزم عليه وقد عرف ثمن الحصول على الالتزام باسم بدل
الالتزام أو الحلوان .

وقد كانت إيرادات بدل الالتزام مقسمة الى قسمين :

قسم يؤول الى الخزنة السلطانية (٢) وقسم يضم الى الدخل
الشخصى للسلطان .

(١) الدفتردار :

كان يحكم مركزه أميناً على سجل الملكية ومستندات الجيازة التى كانت تغطى باسم
السلطان ، ولا قيمة لها الا اذا وضع هذا الضابط امضاءه فى السجل أمامها وقد احتكر
المالِك هذا المنصب ابتداء من القرن ١٧ .

ESTEVE, Memoire sur les finance De Egypte depuis Sa conquête par
le Sultan Selym 1 Jusqua cell Du Général chef Bonaparte in Des-
cription del, Egypt touz eue, p. 45.

(٢) الخزنة أو الخزينة :

فى الاصطلاح العثمانى المملوكى هى مقدار ما يتبقى مما يجبى من مصر بعد اتفاق كل
ما قرر السلطان اتفاقه ويرسل هذا الباقي الى العاصمة ، ولم يكن مقداره ثابتاً فان الحكومة =

فايرادات الحلوان الناتجة عن اعادة توزيع مقاطعات خالية لوفاة مستأجريها وفاة طبيعية كانت تضم الى الخزينة السلطانية ، وايرادات الحلوان الناتجة عن اعادة توزيع مقاطعات خالية العجز ملتزميها عن تسديد الضرائب المقررة عليهم أو مقتلهم أو وفاتهم في أحد الحروب ، كانت تضم الى الايراد الشخصى للسليطان .

وبالطبع لم تكن للدولة في هذه الحالات أى مصالح مالية مباشرة تعود عليهم من تحصيل الحلوان المناسب ، لذا اهتموا بتحصيل الثمن الحقيقى لبذل الالتزام (الحلوان) والذى كان من المقرر أن يكون مساويا لتسعة أمثال ونصف فائض الملتزم ولم يعد الحلوان في بداية القرن الثامن عشر م / / ١٢ هـ مساويا لأكثر من ثلاثة أمثال (فائض الملتزم) .

ويضاف الولاة وتزايد نفوذ البيوت المملوكية ورغبة قادتها في استبقاء مقاطعاتهم بعد وفاتهم لورثتهم واتباعهم اتبعوا سياسة تسليمها أى التنازل عنها سرا وتسليم حقهم فيها لمن يرضون في توريثهم اياها من ورثتهم واتباعهم .

وبعد ذلك يستطيع الآخرون اثبات حقهم بالاتفاق مع الباشا بدون اجراء مزادات لاعادة توزيع المقاطعات الخالية بل يدفعون مبلغا للباشا عرف باسم بدل المصالحة (١) ، وهو مساو لثلاثة أمثال (فائض الالتزام) .

وقد حاول الباب العالى تحديد الحالات التى تتم فيها المصالحة بتقييدها .

بالمقاطعات التى تكون وفاة أصحابها طبيعية بدون اعدام أو هرب أو موت فى الحرب وبأن المصالحة لا تكون الا لهؤلاء الذين حددتهم الملتزم المتوفى فى وصيته وبشرط أن يكونوا أكفاء من الناحية المادية للقيام بكافة الالتزامات المطلوبة منهم .

= العثمانية كانت تأمر أحيانا بأن تخصم منه نفقة اضافية كالزيادة في مقررات الحج والحرمين وأحيانا كان الباشا يخصم من الحزنة لتسديد عجز فى الأبواب المقررة أو لمواجهة طلب استثنائى وهكذا . وكان يصحب الحزنة المرسلة الى العاصمة أحد بكوات المالك الصناعى ويطلق عليه لقب بك الحزنة .

محمد شفيق غربال . مصر عند مفرق الطرق ، ص ١٤ .

(١) SHAW : The financial and administrative organization ... p. 37.

وأنه إذا فقد شرط من هذه الشروط تعرض المقاطعات الحالية في مزاد كما كان يحدث من قبل .

وبذلك لم يعد الحلوان (بدل الالتزام) يزيد عن ثلاثة أمثال الربح السنوي للملتزم (فائض الالتزام) .

وبتدهور الإدارة العثمانية في مصر استطاع البكوات الأفوياء استبقاء ممتلكات سادتهم ومن يرغبون في وراثة التزاماتهم بالمصالحة سواء توفرت فيهم الشروط التي وضعها الباب العالي لهذا الغرض أو لم تتوفر .

وبنهاية القرن الثامن عشر م / / ١٢ هـ

أصبحت أراضي الالتزام كالملكية الخاصة (١) بالرغم من أن الالتزام بقي نظريا ايجارا يمكن خلوه وعرضه في المزاد عند موت صاحبه .

فقد أصبح الملتزمين الحق في نقل أراضيهم لورثتهم خلال اجراء المصالحة مع الوالي ، وأصبح الورثة بعد وفاة الملتزم يقدمون طلبا للباشا بالموافقة على وراثتهم للملتزم المتوفى وكانوا يحصلون على تلك الموافقة والأمثلة التي عثرت عليها في الوثائق لهذا النوع كثيرة ومنها على سبيل المثال :

طلب قسمة ورثة الشريف علم الدين ٢٧ ذى الحجة سنة ١١٨٧ هـ / فبراير سنة ١٧٧٣ م الذي كان له التزام قرية أبو هدى المعروفة ببني جلبي بجرجا طالبين من الباشا تسليمهم تلك القرية بوصفهم ورثة له بعد أن استولى عليها ملتزم آخر اغتصب حقهم وقبلا . .

وافق الباشا على الطلب وأشر عليه بأمره بتسليم الورثة تلك القرية (٢) .

وقد كان الشخص يرث التزام زوجته أو معتوقى أقاربه (معتوقى العم مثلا) ويرث اتباع أبيه أيضا بعد تقديم طلب للباشا بذلك (٣) .

(١) Shaw : The financial and administrative organization ., p. 38.

(٢) وثائق دار الوثائق القومية ببابدين حجج الالتزام وثيقة رقم ٢ ملف ٨٥ مخفظة رقم ٥ لسنة ١١٨٧ هـ .

(٣) وثائق دار الوثائق القومية ببابدين حجج الالتزام .

وثيقة رقم ٣ ملف ٨٥ مخفظة ٥ سنة ١١٨٨ هـ .

وثيقة رقم ٦ ملف ٨٧ مخفظة ٨ سنة ١١٢٣ هـ .

وثيقة رقم ١ ملف ٨٥ مخفظة ٥ سنة ١١٨٣ هـ .

وكان الأبناء يرثون التزامات آبائهم ويمكنهم التصرف فيها بعد ذلك وفقاً لما تمليه عليهم مصلحتهم والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

حالة زهرة بنت محمد جلبى (١) تابع أحمد أغا أغاة جمليان التى ورثت عن والدها التزام ١١/٢ ط فى أراضى ناحية الخسة بولاية الشرقية .
وقامت بالتخلى عن هذا الالتزام .

للسيدة عائشة السيد الشريف نظير مبلغ ٤٥ ريال وذلك لعجزها عن زراعة هذه الأرض وتعطلها عن الانتاج .

وكان التنازل أمام محكمة الباب العالى بالقاهرة سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥ م .

والشيخ همام ورث عن أبيه التزامات واسعة فى أراضى الصعيد كان الأب أيضاً قد ورثها عن أبيه الحاج أحمد محمد همام (٢) .



الالتزام كأساس للنظام المالى والإدارى

فى مصر العثمانية

كان نظام الالتزام هو أساس النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية .

فقد أدار الملتزمون ووكلاؤهم المقاطعات وكان هؤلاء الوكلاء يعينون من قبل الملتزم من أهالى المنطقة إذا كان الملتزم من المنطقة نفسها ومن مماليك الملتزم إذا كان الملتزم نفسه من أمراء المماليك .

وكان أكبر هؤلاء الوكلاء يعرف (بالقائمقام) أو البديل (٣) . الذى كان ينوب عن الملتزم فى تنفيذ واجباته وتحصيل حقوقه فى مقاطعته ، وهو الذى يجمع الإيرادات الخاصة بالملتزم وخاصة فى حالة ما إذا كان للملتزم أسهم فى مقاطعات متعددة أو كان مقيماً خارج الإقليم .

(١) حجج الالتزام بما يدين وثيقة رقم ٩ ملف ٩٢ محطة ٨ لسنة ١١٢٧ هـ .
(٢) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة دفتر رقم ٣٣٧ عين ٥ لسنة ١١٥١ هـ ،
مغزن تركى .

(٣) Shaw : The financial and administrative organization ., p. 55.

وفى بداية ادخال نظام الالتزام الى مصر كانت المقاطعة تمنح للملتزم واحد . ولكن فى القرن الثامن عشر أصبحت المقاطعة تمنح أحيانا للملتزم واحد وأحيانا لعدد من الملتزمين يتراوح بين خمسة وعشرة ملتزمين .

فقد بلغ عدد الملتزمين فى قرية القصير بولاية جرجا عن سنة ١١٣٩ هـ سنة ١٧١٦م عشرة ملتزمين (١) .

وفى كل قرية يخصص جزء من الأرض الزراعية تبلغ مساحته ١٠/١ مساحة أراضي الفلاحين وعرف هذا الجزء باسم أرض الوسية ويزرعها الملتزم لحسابه ولا يدفع عنها ضريبة ، ويخصص ريعها للانفاق منه على المسافرين والجند وموظفى الحكومة الذين ينزلون ضيوفا عليه (٢) . ولم يكن للملتزم فى البداية الحق فى ارغام الفلاحين على العمل فى أرض وسيته بدون أجر ولكن بتدهور الحكم وسيطرة الملتزمين على أراضيهم فى القرن ١٨ هـ / ١٢ هـ أصبحوا يفرضون على الفلاحين سخرة القيام بزراعة أرض الوسية .

أما عن تقسيم الضريبة بين الفلاحين وجمعها منهم فقد كان يقوم بهذا العمل . . الصراف (٣) . . وغالبا ما كان من الأقباط .

ومهمته قبض المال من الفلاحين وتقييمه أسمائهم وتحويل العملة فقد كانت الضرائب التى فرضها العثمانيون تفرض اسميا بالعملة الجديدة التى سكوها وتجمع من الفلاحين بالعملة المملوكية القديمة فمثلا فى بداية الحكم العثماني كانت البارة المملوكية القديمة تساوى الواحدة منها ٢/٥ من البارة العثمانية الجديدة التى سكها العثمانيون وكانت مهمة الصراف تحويل العملة التى يدفعها الفلاحون من العملة المملوكية القديمة الى ما يساويها من العملة العثمانية الجديدة وما عليهم منها ، والصراف هو الذى يتولى الحساب مع الملتزم وكان يأخذ أتعابه من الفلاحين ومن المخرجات (٤) .

(١) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالفلقة - دفتر رقم ٢٢٩ لسنة ١١٣٩ هـ عين ٤ مخزن تركى .

(٢) الشريينى : هن القحوف ج ١ ص ٦٥ .

(٣) GIBB and BOWEN : Islamic society Vol. 1 p. 262.

(٤) عرف مجموع المال الذى فرضه العثمانيون على الأرض الزراعية من ضرائب باسم المال الحر . ويجمعه الملتزمون من الفلاحين ثم يقسم الى الأقسام الآتية :

- ١ - نصيب السلطان ويعرف بالمال المبرى .
- ٢ - نصيب جهات مختلفة كتذاكر الجاوشية .
- ٣ - نصيب الادارة المحلية ويعرف بالكشوفية .
- ٤ - ما يتبقى للملتزم نفسه بعد تادية ما سبق ويعرف بالفائض .

ويشارك الصراف فى مهمة تقسيم الضريبة بين الفلاحين وجمعها منهم .

شيخ البلد

الذى يختاره الملتزم من أغنى وأكبر عائلات القرية والذى كان يرأس الموظفين المحليين بها ويقوم معهم ومع وكلاء الملتزم بالواجبات الادارية المطلوبة من الملتزم من رعاية الأمن المحلى وتنظيم استغلال الأرض وجمع الضريبة المفروضة على الفلاحين (١) .

وإذا كان للملتزم التزامات واسعة كان عليه أن يعين عددا من الشيوخ لمختلف نواحي أراضيه ولهذا وجد أكثر من شيخ فى القرية الواحدة .

وكان على الشيخ (٢) أن يوفر الأمن للفلاحين الذين يزرعون الأرض تحت رعايته ويرتب لذلك الغرض حراسا عرفوا بالحقير وهم مكلفون بمنع السرقات التى تحدث فى المزارع ، وتنبيه الأهالى عند اقتراب اغارات العربان على القرى .

وكان أهم واجبات هذا الشيخ الإشراف على أراضى القرية والرقابة على أهالى البلدة ، وهو مكلف بصيانة حقوق الملتزم من عبث وأهمال الفلاحين وهو الواسطة فى إبلاغ أوامر الملتزم اليهم وعرض طلباتهم والتماساتهم عليه ، وقد كانت هذه الوظيفة وراثية فى العادة .

= وقد زلزال المال الحر زيادتين كلامها بدون وجه شرعى أحدهما البرائى أو المضاف وينقسم الى قديم ومستجد .
والآخر الكشوفية المستجدة .
وقد اطلق لفظ المخرجات على المال الذى كان يؤديه الفلاحون ولا يدخل فى حساب أموال السلطان .
شفيق غربال :
مصر عند مفترق الطرق - ص ٣٤ .

(١) Shaw : The financial and administrative organization ... p. 54.

(٢) Michel-Ange Lancret : Memoire sur le Systéms d'imposition territoriale et sur l'administration des provinces de l'Egypte dans dernière années du gouvernement des Mamlouks, dans Des cription de L'Egypte Tome Onzie, p. 480.

وكان للشيخ أن يعاقب الزراع المهملين فى زراعة الأرض ، أو الماطلين فى دفع الضرائب المستحقة عليهم وكان هذا الشيخ هو الذى يقوم بتنفيذ قرارات قاضى المحكمة المحلية - عن طريق المشد - .

والقضاة المحليون أو الاقليبيون هم الذين كانوا يمثلون مصالح الدولة ويتخذون محاكمهم فى كل المدن والقرى الرئيسية فى المقاطعة وتشمل أحكامهم الشئون القضائية بالإضافة للشئون المالية والادارية فقد كانت تعقد فى محاكمهم كل الاتفاقات الخاصة بتبادل الالتزامات المتبادلة بين الفلاحين والمليزمين . . والأمثلة على ذلك كثيرة جدا وقد رأيت مجموعة منها فى الأوراق التى قدمها لى أحفاد الشيخ همام بقنا ومنها على سبيل المثال .

(أ) حجة صادرة من محكمة فرشوط سنة ١١٨١ هـ خاصة برهن زيدان المنقورى وأخيه عمران للشيخ همام مساحة وقدرها ٢٥ فداناً بناحية ادفوا بأسوان وذلك لتأخرهما فى سداد ما عليهما من خراج للشيخ همام وقد أقرأ بذلك أمام قاضى محكمة فرشوط .

(ب) حجة أخرى صادرة من محكمة بهجورة بجرجا سنة ١١٧٧ هـ يقر فيها محمد الانصارى البهجورى بتنازله عن فدان من أرضه للشيخ همام نظير مبلغ معين اقترضه منه وعجز عن تسديده له .

(ج) حجة أخرى صادرة من محكمة فرشوط بجرجا يرهن فيها أحمد على عيسى الاغندور فداناً للشيخ همام نظير مبلغ معين من المال كان فى ذمته للشيخ همام متأخر خراج وتلك القطعة من أرض حطيطة وهو نوع من الأرض اغتاله العرب عنوه وتملكوه وهو لا يدفع عنه ضرائب ويعرف باسم الأطلان المسموح وهذا النوع من الأراضي كان منتشراً فى الوجه القبلى وقليلاً فى الوجه البحرى (١) .

وكان للقضاة أيضاً الحق فى تلقى الشكاوى التى يتقدم بها الفلاحون ضد المليزمين ووكلائهم ثم يقومون بارسالها للباشا مع التوصية بما يجب عمله (٢) .

وقد تحولت معظم سلطات هؤلاء القضاة الى أيدي المليزمين فى القرن الثامن عشر وسنرى أعظم مثل لذلك فى عهد الشيخ همام فى الفصل التالى .

(١) Lancret, Description de l'Egypt Vol. I p. 491.

(٢) SHAW : The financial and administrative organization, p. 58.

وقد كان شيخ البلد هو المختص بتنفيذ قرارات قاضى المحكمة المحلية عن طريق المشد الذى يختاره الملتزم من بين فلاحي المنطقة ويمثل مساعد القاضى .

وفى القرن الثامن عشر غدا المشد هو المنفذ لأوامر الملتزم الخاصة بمعاينة الفلاحين المتنعين عن أداء الأموال المقررة عليهم (١) .

وبعد رى أراضى القرية وقبل بدء زراعتها كان الحولى أو المساح يقيس أرضها الزراعية والحولى (٢) هو المختص بمعرفة حدود القرية وتحديد أرض الأثر لكل فلاح ووقت البذر .

والأثر هو قطعة الأرض التى يمنح الفلاح الحق فى زراعتها واستهلاك جزء من انتاجها وقد تغيرت وتطورت طبيعة هذا الحق خلال عصور الحكم العثمانى لمصر .

وقد كان للفلاح الحرية فى اختيار المحاصيل التى يزرعها فى أثره بدون تدخل الملتزم وإن كان ذلك أمرا تحكمه العادات والتقاليد الموروثة .

وكان للفلاح أن يزرع أثره طالما هو يؤدى الضرائب المطلوبة للملتزم الذى لم يكن يستطيع طرده من أرضه إلا اذا توقف عن دفع الضريبة المطلوبة منه وثبت عجزه عن فلاحه أرضه .

وقد كسب الفلاحون فى القرن ١٧م حق نقل آثارهم الى وراثتهم .

وفى القرن ١٨م أصبح من حق الفلاح أن يتنازل عن أرضه لأى شخص يرضيه مقابل ثمن معين .

وكان الفلاح غير القادر على زراعة كل أثره يستطيع أن يرهن جزءا من أرضه للملتزم فى مقابل مبلغ من المال يمكنه من زراعة باقى أثره. وتصبح أرضه مرهونة حتى دفع المبلغ وحينئذ له أن يستردها وهو ما عرف برهن الغاروقة (٣) .

أما اذا عجز الفلاح عن سداد المبلغ الذى اقترضه نظير رهن الأرض فان ممتلكاته الشخصية وتشمل (الماشية والآلات الزراعية تصادر وتباع) .

ومن أهم رجال الادارة المحلية فى القرية :

-
- | | |
|---|-----|
| Estève : Description de L'Egypte Vol. 2, p. 67, | (١) |
| Landcert : Description de l'Egypte Vol. XI, p. 486, | (٢) |
| GIBB and BOWN ; Islamic society ... Vol. 1 p. 263. | (٣) |

الشاهد :

ويعينه الملتزم من أهالى المنطقة أيضا وهو الذى يحفظ السجل المدرج به بيان الأراضى فى القرية ونوعها وحصص الفلاحين وأسماء الملتزمين فيها والتغيرات التى تطرأ على أراضى القرية .

وقد لقب بالعاذل للدلالة على الاستقامة التى يجب أن تتميز بها أعماله (١) .

يأتى بعد ذلك :

الوكيل (٢) :

ومنوط به إدارة أراضى الأوسية والاستعانة بالخولى على زراعتها ويجبى إيراداتها ويتصرف فيها طبقا لأوامر الملتزم .

ثم . . الكلاف (٣) :

أو الراعى وهو مكلف تحت اشراف الوكيل بالعناية بمواشى وغنم الوسية وقطعانها .

وقد كان فى القرية عمال آخرون مثل :

الامام ، الحلاق ، النجار ، ويتناولون أجورهم من الفلاحين ويقدمون الخدمات لهم .

وقد اختلفت إدارة القرى فى الصعيد عن الوجه البحرى بعض الشيء . فقد كان الكشاف فى الصعيد هم الذين يديرون قرى الكشوفية وهى القرى التى كان دخلها مخصصا للباشوات ، وكانت مفصولة لذلك عن أرض الالتزام وكان هؤلاء الكشاف من الموظفين المماليك من الدرجة الثانية أى لم يصلوا بعد الى رتبة البكوية بعكس الكشاف فى الوجه البحرى الذين كانوا حكاما اقليميين من الموظفين المماليك من الدرجة الأولى أى من البكوات ، لانه تبع توحيد أقاليم الصعيد كلها من المنيا الى أسوان تحت إدارة حاكم جرجا إلغاء نظام الكشاف حكام الأقاليم من الصعيد ولم يبق بالصعيد سوى الكشاف الذين يديرون قرى الكشوفية وقد خضع هؤلاء كما خضع حاكم جرجا فى عهد الشيخ همام لسيطرته وتفوقه .

(١) Estéve Vol. 12 p. 66 Description de L'Egypte Vol. 12, p. 68.

Vol. 12, p. 68.

Ibid, p. 68.

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع - نفس الجزء

وكانت أراضي القرى فى الصعيد على الشيوع أى أن أطيان كل بلدة لم تكن مقسمة الى تكاليف قائمة بذاتها يمتلك كل فلاح منها تكليفا خاصا به (أنرا) كما هو الحال فى الوجه البحرى وكذلك الحال بالنسبة لأراضى الملتزمين الأواسى .

فقد كانت أرض الأثر والأواسى عرضة للتغيير كل عام وعقب انحسار المياه عن الأرض وامكان زراعتها كان الملتزم ينتدب مساحا غالبا ما يكون من الأقباط يسمح الأرض القابلة للزراعة بحضور الملتزم أو نائبه .

فالأراضى التى يخصصها للفلاحين تكون أتر السنة وتفرض عليها ضرائب مماثلة للضرائب التى يحصلها الملتزمون فى الوجه البحرى .

والأراضى التى نخصص للملتزمين تكون هى الأواسى .

وثبتت حدود ومقدار النوعين فى أوراق رسمية وطريقة القسمة السنوية هذه سببها عدم انتظام الرى الامر الذى كان يترتب عليه أن الأراضى الصالحة للزراعة فى احدى السنين قد تكون شراقى أو بائرة فى السنة التالية وبالعكس (١) .

وعملية المساحة فى الصعيد كانت تقوم مقام سجل الشاهد فى الوجه البحرى .

والجانبى الذى كان يطلق عليه اسم الصراف فى الوجه البحرى كان يسمى فى الوجه القبلى العامل أو القابض .

أما باقى موظفى القرية فكانت واجباتهم مماثلة تماما لأمثالهم فى الوجه البحرى (٢) .

وقد قام الملتزم فى قرى مصر العثمانية (٣) بمركز البنك الزراعى بالنسبة للفلاحين . فقد كان هو الذى يقدم لهم رأس المال المطلوب لشراء الحبوب اللازمة للزراع ، ولإصلاح الآلات والأدوات المستخدمة فى الزراعة والنفقات اللازمة لتبديل حيواناتهم المستخدمة فى الحرث والمصروفات اللازمة لدفع أجور الأشخاص الذين يجمعون المحصول .

Lancet : Description de L'Egypte Vol, 11, p. 484. (١)

Lancet : Description de l'Egypte Vol, 11, p. 486. (٢)

SHAW : The financial and administrative organization .., p. 56. (٣)

وكان الملتزم كذلك يقدم لموظفى القرية أجورهم قبل جمع الضرائب
المخصصة لدفع أجورهم .

هكذا توفر للملتزم نفوذ كبير على الفلاحين .

وعندما فقدت الحكومة المركزية قدرتها على السيطرة على الملتزمين
اندفع هؤلاء وبدافع المصلحة الشخصية الى استغلال الفلاحين الى أقصى
حد يفرض الضرائب الإضافية غير القانونية عليهم وتحصيل أقصى ما يمكن
تحصيله منهم من الأموال والغلال زيادة على المقدار المفروض عليهم لأن
هذه الزيادة كانت تتبقى للملتزمين بعد تسديد المال الميرى .

وانتشرت هجمات الأعراب فى كل مكان وهرب الفلاحون الى المدن
وتعذر على الحكومة اعادتهم بالرغم من قانون نامة السلطان سليمان (١) .

نص على أنه من واجب رجال الإدارة تتبع الفلاحين الفارين من
أرضهم والبحث عنهم واعادتهم لقراهم ومعاقبتهم واجبارهم على العمل
فى أراضيهم بالقوة .

ولكن لضعف سلطات الحكم فشلت فى ذلك وأصبح اقفار الأرض
مشكلة حادة (٢) .

نصيب القبائل فى الفلاحة والأرض فى الصعيد

وقد قام بزراعة معظم القرى فى الصعيد الفلاحون ورجال القبائل
العربية المنتشرة به ، وقد اتخذ شيوخ هذه القبائل مركز الملتزمين ،
وكانوا أكثر قدرة على حماية فلاحهم من هجمات العربان من ملتزمى
الوجه البحرى وتميزت المساحات المعطاة للملتزمين فى الصعيد باتساعها
عن نظيراتها فى الوجه البحرى لسيطرة العصبية القبلية على الالتزام
فى الصعيد وفى الصعيد ولم يكن عمل الفلاحين شاقا كالوجه البحرى
حيث قاسى الفلاحون أشد أنواع الظلم والعذاب وتعرضوا لمظالم كثيرة .

فقد بلغ من ظلم الملتزمين فى الوجه البحرى أنهم كانوا يأخذون
أبناء الفلاحين (حتى ولو كانوا مشايخ بلد) رهينة عندهم حتى يفى

H. A. R. Gibb and Harold Bowen Islamic society Vol. 1, p. 260. (١)

S. J. (Shaw) : The financial and administrative organization ... (٢)
p. 56.

آباؤهم بما عليهم من أموال متأخرة (١) وكانوا يفرضون عليهم المغارم القاسية ومنها •

غرامة الأكل (أو الوجبة) (٢) وهى عبسارة عن الزام الملتزم ورجاله من صراف ومشد للفلاحين بتقديم المأكول والمشرب لهم طوال مدة اقامتهم فى القرية ، وكانوا يكلفون الفلاحين فى هذا أكثر من طاقتهم لأنهم لا يرضون منهم الا بأطيب وأغلى أنواع المأكولات التى كان الفلاح نفسه محروما منها •

وهذه الغرامة لم تكن موجودة فى الوجه القبلى لأن الملتزمين كانوا من شيوخ العرب الأثرياء المقيمين فى الصعيد دائماً ولا يلزمهم أن يفرضوا على الفلاحين مثل هذه المغارم ومن المغارم الأخرى التى عانى منها فلاحو الوجه البحرى غرامة البطالين •

أى استخدام الفلاحين بغير أجر فى العمل فى أرض الملتزم الخاصة الوسية •

وكان يصحب تحصيل الأموال فى قرى الوجه البحرى الحبس والضرب والأهانات البالغة للعاجزين عن سداد الخراج الذين يضطرون الى اقتراض المال بالربا أو بيع ماشيتهم أو رهن حلى زوجاتهم وان لم يفلحوا فى ذلك كان الصراف يأخذ أبناءهم رهينة حتى سداد ما عليهم أو يأخذ أخوتهم ان لم يكن لهم أولاد أو أحد أقاربهم •

وقد عانى فلاحو الوجه البحرى الكثير من العناء من استخدامهم سخرة فى حفر السواقي وزراعة أرض الوسية الخاصة بالملتزمين •

فكان المشد يأمر الحفير بالمناداة على الفلاحين ببدء العونة يا فلاحين العونة يا بطالين ويبدأ بعد هذا فى جمع الفلاحين بالقوة للعمل سخرة فى أرض الوسية •

وكان الفلاحون يعتبرون هذه السخرة (العونة) مصيبة كبرى لأنها كانت تعطلهم عن عملهم نفسه (٣)

بالإضافة الى تعرض الفلاحين فى الوجه البحرى لهجمات الأعراب القاسية الذين كانوا يسلبونهم حاصلاتهم ويستحوذون عنوة على أجود أطيانهم (٤) •

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٩٠ •

(٢) الشربيني : هن القحوف فى شرح قصيدة أبى شذوف • ج ٢ ص ١٨٦ •

(٣) الشربيني - هن القحوف ٠٠٠٠ ج ٢ ص ٢٢٠ •

(٤) Girard : description de L'Egypte Vol. 17, p. 43. (٤)

وكان فلاحو الوجه القبلى أسعد حالا من فلاحى الوجه البحرى لأنهم كانوا معافين من كثير من الرسوم والضرائب غير القانونية التى كان يدفعها فلاحو الوجه البحرى مثل ٠٠٠٠ البرانى الجديد (١) .

وقد اتسع نفوذ الملتزمين من صيوخ العرب فى الصعيد لما كانوا عليه من ثراء وعصبية قبلية لتمتعهم بالالتزامات الواسعة .

ففى ولاية جرجا سسيطر الهوارة على مساحات واسعة من أراضى الصعيد بحيازتهم للالتزامات الزراعية مما أدى الى إعادة النفوذ والسيطرة اليهم وكان ذلك ناتجا عن اتساع سلطة الملتزم عامه فى القرن الثامن عشر حيث غدا الملتزم فى أراضيه هو صاحب السلطة والممثل للدولة وحاكم المنطقة ومديرها ماليا وإداريا ويتضح ذلك تماما فى عهد الشيخ همام الذى تمكن من السيطرة على معظم أراضى الصعيد بالتزاماته لمساحات واسعة من الأراضى امتدت من المنيا الى أسوان (٢) .

وفى تلك المنطقة بسط الشيخ همام نفوذا واسعا غدا حاكمها الفعلى وسيدها المطاع .



(١) البرانى القديم والجديد :

وقد عرفنا باسم : مضاف قديم ، مضاف الجديد .

ولم يكن هناك نص صريح لفرض هذين الرسمين اللذين لم يكونا فى الأصل الا نوعا من الاكراميات أو المنح التى كان الفلاحون يؤدونها مقابل قضاء مصالحهم أو جريا على العرف .

ويرجع تحصيل البرانى القديم الى عهد بعيدا جدا وقد غدا قانونيا مثل المال الحر الاصل .

وفد فرض البكوات المماليك البرانى الجديد منتحلين لانفسهم نفس الأسباب التى ارتكزوا عليها فى فرض البرانى القديم . وجمع قيم هذين النوعين توفى نقدا .

Estève : Description de l'Egypte Vol. 12, p. 64.

(٢) دفاتر الالتزام القلمة : دفتر رقم ١٨ لسنة ١١٨١هـ عين ٨ مخزن تركى .

الفصل الرابع

شيخ العرب همام

نشأته ، أسرته ، علاقتها بالمنطقة ،
بالحكام ، العوائل التي ساعدت على ظهور
همام ، دوره كملتزم ، حكومته ، نفوذه ، أثر
سيطرته في جرجا على الحياة الاقتصادية
والسياسية فيها .

شيخ العرب همام بن يوسف

فى قرية فرشوط (١) بمحافظة قنا كان مولد شيخ العرب همام ابن يوسف فى تاريخ لا نعرف تحديده بالضبط ، ولكننا اذا أخذنا برواية الرحالة فانه يقع حوالى ١٧٠٩م / سنة ١١٢١هـ (٢) أما وفاة الشيخ همام فتاريخها محدد فقد حددها الجبرتي (٣) باليوم الثامن من شهر شعبان سنة ١١٨٣هـ نوفمبر سنة ١٧٦٩م وتؤيد دفاتر الالتزامات بالقلعة وقوع وفاة همام فى هذا العام أيضا ، فقد ورد بدفتر رقم ٥٣٥ لسنة ١١٨٣هـ عين ٨ مخزن تركى أن أولاد الشيخ همام وهم درويش وشاهين وعبد

(١) زار الرحالة بروس فرشوط فى يناير سنة ١٧٦٩ وذكر عنها انها مدينة تقع فى سهل زراعى واسع على ارتفاع ٩ أميال أسفل الجبل ، وتشتهر بزراعة القمح وقصب السكر وأنه كان بها دير للرهبان الايطاليين يتبع دير أخميم ، وان هذه الديرية قد أنشأت لترويد المسافرين بين مصر وأثيوبيا بالمساعدات وتقديم التسهيلات الممكنة لهم ، ولكنه أضاف ان كرم مشايخ العرب الأغنياء فى مصر العليا ، والنسائيتهم ومعاملتهم الكريمة للغرباء جعلت وجود هذه الديرية عديمة الفائدة .

Bruce : Travels to discover the Source of the Nile Vol. 2, p. 22.

وفرشوط الآن قرية كبيرة من محافظة قنا وتقع غربى النيل تنبع مركز نجع حمادى

(٢) زار بروس فرشوط وقابل شيخ العرب همام فى يناير سنة ١٧٦٩م وذكر انه

يقدر سن همام حينئذ بما لا يزيد عن ستين عاما .

Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 23.

(٣) الجبرتي عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٤ .

الكريم قد حلوا في بعض الترامات والدهم المرحوم الشيخ همام بنسأ
على بيورلدى صدر من على بك قائمقام مصر في ذلك الوقت وكان ذلك
٢١ رمضان سنة ١١٨٣هـ / ديسمبر سنة ١٧٦٩م أى في الشهر التالى
لشهر شعبان الذى توفى فيه الشيخ همام كما ورد برواية الجبرتى .

وقد نشأ همام فى بيت ورث الثراء والمكانة أبا عن جد فقد كان
همام ابنا للشيخ يوسف بن الشيخ أحمد محمد همام الذى آلت اليه
زعامة قبائل الهوارة فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى / السابع
عشر الميلادى .

وقد تمتع الهوارة عامة بثناء واسع ، وكان معظم شيوخهم على
جانب كبير من الثراء ، فمنذ نزل الهوارة الى الصعيد واستقروا فى جرجا
امتدت سطوتهم فيها ، واتسع ثراؤهم ، وكان كبيرهم الذى يتولى رياستهم
يقيم فى فرشوط ، وله نفوذ فى الصعيد كله ، وقد ظلت لشيوخ الهوارة
رئاسة الصعيد والسيطرة على الحكم فيه حتى عام ٨٩٣هـ / سنة
١٥٧٥م (١) .

وقد كانت الاسرة التى انحدر منها الشيخ همام وهى أسرة الهمامية
على صلة طيبة بالفلاحين فى الصعيد ، فقد استطاعت بما توفر لها من
عصبية قبلية قوية حماية فلاحى الصعيد من المظالم التى كانت تلحق
بباقى الفلاحين فى أنحاء مصر الأخرى .

وقد كانت علاقة أسرة همام بالحكام فى العصر المملوكى علاقة
يغلب عليها طابع العداء شأن كل العرب القاطنين فى مصر للكرهية
العنصرية بين العرب والمماليك .

وفى العصر العثمانى المملوكى تابع الهوارة سياسة العداء ضد
السلطات الحاكمة فى صورة تمرد وامتناع عن تقديم الأموال والغلال
المطلوبة منهم ، ولا شك أن أسرة همام وخاصة جده الشيخ محمد أحمد
همام كان مع الهوارة الذين تمردوا على السلطات الحاكمة ورفضوا تقديم
الأموال والغلال المطلوبة منهم للدولة سنة ١١٠٧هـ / سنة ١٦٩٥م عندما
قاد عيسد الرحمن بك حاكم جرجا الحملة (٢) التى سيرتها الحكومة
ضدهم ، فقضت على تمردهم ، واعادتهم الى حظيرة الطاعة ، وأعيدت اليهم
التزاماتهم (٣) التى رفعتها عنهم الدولة أثناء هذا التمرد ، وكان أبرز

(١) على مبارك - المخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٣٥٠ .

(٢) من حملة عبد الرحمن بك على الهوارة انظر ص ٤٥ من الفصل الأول .

(٣) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة دفتر رقم ١٣٦ لسنة ١١٠٧هـ ع ٣٠ .

الملتزمين من الهوارة حينئذ الشيخ يوسف بن أحمد محمد همام والد
الشيخ همام بن يوسف ، الشيخ أحمد بن محمد همام جد الشيخ همام
ابن يوسف .

وقد ساعدت نشأة همام في بيت ورت النراء والمكانة أبا عن جد
على ظهوره كشخصية هامة تولت زعامة الصعيد بالإضافة لضعف السلطة
الحكومية في عصره ، اذ كانت سلطات الحكم العثماني في مصر قد
وصلت الى درجة كبيرة من التدهور ، وحفل العصر بمنازعات العصبية
الملوكية ، وتنازعها على السلطة مما أدى الى تدهور قوتها أيضا ، وترك
الباب مفتوحا أمام ذوى العصبية القبلية ليظهروا على مسرح الاحداث
السياسية ، ويبسطوا نفوذهم ويسيطروا على مناطقهم .

وقد ورت همام عن أبيه الشيخ يوسف التزامات واسعة شملت
معظم أراضي الصعيد من النبا الى أسوان ، وقد آلت هذه الالتزامات الى
الشيخ يوسف وراثته عن أبيه الشيخ أحمد بن محمد همام الذي كانت
التزاماته تمتد من المنيا الى أسوان (١) فقد أخذ شركة مع اقاربه
التزامات أراضي :

حرجه الحرازة ، بخانس وقصير بخانس ، عرب قصاص ، هو ،
بهجورة ، فرشوط ، الكوم الأحمر ، قوص ، سنابة ، أولاد ما من ،
الحارفة ، الروافع ، كوم بدار ، أولاد شلول ، جرف أبو عميرة ، أرض
وقف ملك أشرف برسباي ، العسيرات ، أولاد جامع ، جزيرة المواردنة ،
أرض طباطبا ، شيخه ، خلجان ، قرأى وريفه بأسسيوط ، ادفا وبني مزار ،
تصيرية وصعايدة ، وأبنوب .

وقد ورت الشيخ يوسف عن أبيه زعامة قبائل الهوارة لانه كان
أكبر ابائه وأبرزهم ، وكذلك كان الحال بالنسبة للشيخ همام فقد كان
أكبر أبناء الشيخ يوسف فألت اليه وراثته عن أبيه كل تلك الأراضي
الشاسعة ، وزعامة قبائل الهوارة في الصعيد .

وقد توفرت للشيخ همام شخصية ساحرة استطاعت ان تنمي
ما ورت من ثراء وأن تحتفظ بزعامة الهوارة ، بل وأن تمتد تأثير تلك
الزعامة الى آفاق أوسع وأعظم مما كان لها في عهد أبيه وجده .

(١) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة دفتر رقم ١٥ لسنة ١١٠٦هـ عي ٢ .
مخزن تركي .

وبتولى الشيخ همام الوظيفة المنزوم وحسن استغلاله لها ولما ورثه من ثراء ومن عصبية قبلية ، وصفات شخصية كالذكاء والكرم والطموح استطاع أن يتزعم عرب الصعيد ، وإن ينشئ الصلات الواسعة المتعددة الجوانب مع حكام مصر وعلمائها ومع الدولة العثمانية نفسها فقد ذكر الرحالة BRUCE (١) الذى زار همام سنة ١٧٦٩م / سنة ١١٨٣هـ أن الشيخ همام كان على صلة طيبة بالدولة العثمانية نفسها وكان يطلب منها ما يريد مباشرة مما أثار عليه غيرة بكوات القاهرة ، مجددا ما كان من طيب العلاقات بين أجداده (٢) وبين الدولة العثمانية .

وقد لعب الشيخ همام دورا هاما فى حياة الصعيد بل وحياة مصر كلها فى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى ونحو عشرين عاما من النصف الثانى منه .

وكان من أهم العوامل التى ساندت همام وساعدته على القيام بدوره ثراؤه الطائل الذى هيأته له التزاماته لمعظم أراضى الصعيد ، وقد هيا نظام الالتزام للحوارة عامة فرصة عظيمة لاستعادة نفوذهم وسلطانهم اللذين تمتعا بهما فى العصر السابق للعصر العثمانى .

وقد بدأت سيطرة همام على أراضى الصعيد تبرز ابتداء من عام ١١٠٥هـ سنة ١٦٩٣م (٣) ، وكان أبرز المتزمنين منهم كما قدمنا الشيخ أحمد بن محمد همام جد الشيخ همام بن يوسف الذى سيطر على أراضى واسعة امتدت من المنيا الى أسوان أى سيطر على معظم أراضى الصعيد بالإضافة لعدد من المتزمنين الآخرين من أقاربه ومن المماليك ومن العرب الآخرين .

وقد شارك الشيخ يوسف والده أحمد بن محمد همام فى تولى التزام أراضى الصعيد .

وابتداء من عام ١١٣٤هـ / ١٧٢١م (٤) ظهر اسم الشيخ همام يوسف كملتزم لأول مرة وأشهر اليه فى دفاتر الالتزام باسم : همام ولد الشيخ يوسف أحمد حيث اشترك مع والده وأقاربه فى التزام أراضى : هو ، بهجورة ، والكوم الأحمر وتوابعها .

(١) Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 23.

(٢) عن صلة أولاد عمر بالعثمانيين انظر ص ٤٢ ، ٤٣ من الفصل الأول .

مخزن تركى .

(٣) دفاتر التزامات الولايات القبلية القلعة دفتر رقم ١٨ لسنة ١١٠٥ هـ عين ٢

(٤) دفاتر الالتزام بالقلعة دفتر رقم ٢٢٣ لسنة ١١٣٤هـ عين ٤ مخزن تركى .

وكانت السيطرة على أراضى الصعيد قبل ظهور الشيخ همام
ابن يوسف للهوارة يليهم الماليك يليهم العرب الآخرون وتركزت أراضى
الماليك والعرب الآخرين فى :

• أسيوط ، طهطا ، طما ، أخميم ، مدينة جرجا نفسها •

وتركزت أراضى الهوارة فى :

• قنا والأقصر ، أسوان •

حيث كانت تتركز القوة الفعلية للهوارة ، وحيث كانت تنتشر
منازلهم وقراهم فمعظم فروع قبيلة الهوارة وأكثرها فاعلية وقوة كانت
وما زالت حتى الآن تقطن محافظة قنا •

فقد سيطر الهوارة على معظم أسهم تلك المقاطعات •

« أسيوط ، أبو تيج ، أبو مقروفة ، نخيله ، فاو الكبرى ، وطهطا ،
وشندويل ، شرق أخميم ، منشأة أخميم ، وطما » •

أى سيطروا على عشر مقاطعات من مقاطعات ولاية جرجا الاحدى
والعشرون •

أما المقاطعات التى كانت تقع جنوب ذلك وعددها احدى عشرة
مقاطعة وهى مقاطعات خولجان ، بخانس ، عرب قصاص ، الأقصر ،
بياضية ، برديس ، فرشوط ، هو وبهجورة وتوابعا ، حراجية قنا ،
قوص •

فقد سيطر الهوارة على معظم مقاطعات :

ونشأت الملتزمين فى ولاية جرجا قبل ظهور الشيخ همام موجودة
بالملاحق (١) •

ومنذ ظهر الشيخ همام بن يوسف كملتزم بصورة رسمية فى سنة
١١٣٤هـ/سنة ١٧٢١م وهو يواصل زحفه على أراضى الملتزمين الآخرين
فى الصعيد من هوارة ومماليك وغيرهم وقد اختفى اسم الشيخ يوسف
والد همام من دفاتر الالتزام منذ عام ١١٥٠هـ/سنة ١٧٣٧م واستقل
همام بأراضيه وبدأ يزحف على معظم أراضى الملتزمين الآخرين ويحصل على
أراضيهم بإشراف الدولة ورضائها •

(١) ملحق رقم ٤ ص ١٦٢ - ١٦٦ •

وقد بدأت سيطرة الهوارة على أراضى الصعيد بالالتزام منذ عام ١١٤٢هـ/سنة ١٧٢٩م فقد ضم اليه فى هذا العام التزامات معظم أراضى بلسفورة وأخميم .

• وفى عام ١١٤٥هـ/سنة ١٧٣٢م ضم اليه معظم أراضى طهطا واسنا وفى عام ١١٤٦هـ/عام ١٧٣٣م زحف على أراضى المنيا فى بنى مزار وأخذ عدة قرى من مقاطعة أسيوط .

وما ان أتى عام ١١٦٣هـ/عام ١٧٤٩م حتى وجدنا أن الشيخ همام وأقاربه من الهوارة وشركائه (من وكلائه مثل الحاج عبد الرحمن ، الحاج ابراهيم الخضرى) قد سيطروا على معظم مقاطعات ولاية جرجا فأخذوا التزامات مقاطعات :

برديس ، فرسوط ، هو وبهجورة ، عرب قصاص ، الأقصر قوص ، قنا وتوابعها ، بخانس ، خليجان ، بياضية .

أى سيطروا على عشر مقاطعات كاملة من أصل احدى وعشرين مقاطعة كانت تتكون منها ولاية جرجا وهى :

- ١ - مقاطعة أسيوط وتوابعها .
- ٢ - مقاطعة أبو تيج .
- ٣ - مقاطعة أبو مقروفة .
- ٤ - مقاطعة نخيلة وتوابعها .
- ٥ - مقاطعة فاو الكبرى .
- ٦ - مقاطعة طهطا وتوابعها .
- ٧ - مقاطعة شندويل .
- ٨ - مقاطعة شرق أخميم .
- ٩ - مقاطعة منشأة أخميم .
- ١٠ - مقاطعة برديس .
- ١١ - مقاطعة فرسوط وتوابعها .
- ١٢ - مقاطعة هو وبهجورة وتوابعها .
- ١٣ - مقاطعة خليجان .
- ١٤ - مقاطعة قنسا .
- ١٥ - مقاطعة طما وتوابعها .

- ١٦ - مقاطعه قسوص .
- ١٧ - مقاطعة بخانس .
- ١٨ - مقاطعة عرب قصاص وتوايعها .
- ١٩ - مقاطعة الاقصر .
- ٢٠ - مقاطعة بياضية .
- ٢١ - مقاطعة حراجيه (١) .

وذلك بالاضافة الى أجزاء من المقاطعات الاخرى مثل أراضى :

القبيلية والبارس ، بنى جميلة ، سمهود ، شرق المرج القبلى ،
البحرى ، بنى وركان ، بياضة ، أرض المنقذية ، طوخ ، النفاوة ، أبنوب ،
جرف أبو عميرة ، أولاد شلول ، خارفة ، أولاد طوق ، جزيرة العنبرية ،
أولاد مامن ، جراجوس ، بلاص ، سنابسة ، ادفو .

ثم بدأ الشيخ همام بعد ذلك ينفرد بمعظم أراضى الصعيد ، وينحى
عنها ملتزميها من المماليك ومن أقاربه أيضا ومن العرب الآخرين .

وما ان أتى عام ١١٧٤هـ/ عام ١٧٦٠م (٢) حتى لم يبق فى ولاية
جرجا ملتزمون سوى الشيخ همام وعدد قليل جدا من أقاربه الذين
يكملون أسمه فى مقاطعاته ، وعدد قليل جدا من المماليك بالتزامات
ضئيلة .

وقد استولى همام على أراضى أسرة الاخميمى أقوى الاسر العربية
المنافسة للهوارة فى الصعيد فاخفى اسم آخر رجالها وهو الأمير عيسى
كمالى الاخميمى من دفاتر الالتزام الخاص بولاية جرجا سنة ١١٧٤هـ/
١٧٦٠م (٣) ، وقد زال نفوذ هذه الاسرة وتلاشت مكانتها من حياة
ولاية جرجا بعد ذلك (٤) .

(١) دفاتر الالتزام بالقلعة : دفتر أصول عوايد مقاطعات : رقم ٣٣٧ لسنة
١١٥١هـ عين ٥ مخزن تركى .

(٢) دفاتر الالتزام بالقلعة - دفتر رقم ٣٤٣ لسنة ١١٧٤هـ عين ٨ مخزن تركى .

(٣) دفاتر الالتزام بالقلعة - دفتر رقم ٥١٨ لسنة ١١٨٨هـ عين ٨ مخزن تركى .

(٤) Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 8.

وما أن أتى عام ١١٨١هـ/عام ١٧٦٧م حتى تمت للشيخ همام السيطرة على معظم أراضي الصعيد من المنيا الى أسوان .

فقد كان فى التزام الشيخ همام فى ذلك العام التزام المقاطعات الآتية كاملة وهى :

مقاطعات برديس ، قنا ، الأقصر . بياضية ، شرق أحميم ، هو وبهجورة وتوابعا ، عرب قصاص ، خليجان وسمهود ، طهطا ، حراجية ، شندويل ، منشأة أحميم ، فرشوط ، طما ، قوص ، بخانس .

وقد انفرد الشيخ همام بهذه الالتزامات وسيطرة على التزامات ١٦ مقاطعة كاملة من ٢١ مقاطعة كانت تتكون منها ولاية جرجا أما المقاطعات الخمس الباقية وهى : —

أسيوط ، أبو تيج ، أبو مقروفا ، نخيلة وتوابعا ، فاو الكبرى .
فقد كانت لهما أجزاء كثيرة فى بعضها ولأمراء الممالك وللعرب الآخرين باقى أجزائها .

فكان للشيخ همام فى مقاطعة أسيوط التزام

شرق بويط بقدر ١٢ ط ، بنى وركان ١٢ ط ، ادفا وبنى مزار ٢٤ ط . قرأى وريفة ١٢ ط .

وكان له فى منطقة أسوان :

منطقة ادفو بقدر ٢١ ط ، نصيرية وصعاينة ١٨ ط وقد بقيت هذه الالتزامات للشيخ همام حتى وفاته فى سنة ١١٨٣هـ/سنة ١٧٦٩م بل لقد وصلت قوة همام وقبل بدأ النزاع الأخير بينه وبين على بك الى حصوله على جزء كبير من أراضي على بك نفسه فى ناحية بنى نصر بمنقلاوط بمقاطعة ابى تيج (١) .

وتفصيل زحف الشيخ همام على أراضي الصعيد منذ بدء ظهوره كملتزم سنة ١١٣٤هـ/سنة ١٧٢١م حتى وفاته سنة ١١٨٣هـ/سنة ١٧٦٩م موجودة فى الملاحق (٢) .



(١) هذا التنازل وارد بالحجة المنشورة بالملاحق ملحق رقم ٢ ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) ملحق رقم ٥ ص ١٦٢ - ١٦٦ .

ثراؤه .. حكومته .. نفوذه

قدمت سلطة الملتزم للشيخ همام ثراء طائلا ونفوذا واسعا فقد ادى تدهور السلطة المركزية فى القرن ١٨ الى اتساع نفوذ الملتزم وحلوله محل الادارة الحكومية فى الاقليم الذى يتولى التزام اراضيه قائما فيه بحفظ الأمن وتحصيل الاموال الأميرية من الفلاحين وفض المنازعات بينهم سواء أكانت تلك المنازعات مدنية أو متعلقة بزراعة الأرض أو جنائية .

وبسيطرة الشيخ همام على معظم أراضى الصعيد توفرت له ثروة طائلة (١) أفاض الجبرتى فى وصفها فذكر أنه كان لهما :

(برسم زراعة قصب السكر اثنا عشر ألف ثور وهذا بخلاف المعد للحرث ودراس الغلال والسواقي والطواحين والجواميس والابقار الحلابة ..)

(وأما شئون الغلال وحواصل السكر والتمر بأنواعه ، فشيء لا يعد ولا يحد)

وانه كان لدى همام الكثير من الأرقاء وأنه كان ينعم بالجوارى والعبيد والسكر والغلال (٢) .

ولشراء همام الواسع وكرمه الشامل كان يمد بعض الناس بالمؤونة التى تكفيهم طوال العام .

وسيطرة الشيخ همام على معظم أراضى الصعيد وبخيازته لتلك الأراضى الواسعة الممتدة من المنيا الى أسوان بالالتزام كان عليه أن ينظم ادارة دقيقة لتلك الأراضى بما تضم من فلاحين وعمال وموظفين .

لذا أقام همام حكما اداريا دقيقا لتنظيم شئون اراضيه والعاملين فيها .

فكان لديه دواوين (مجالس ادارة) تضم جيشا من الكتبة ومعظمهم من الأقباط (لمهارتهم فى الشئون الحسابية) (٣) .

(١) الحشاش : تاريخ حوادث وقعت بمصر من سنة ١١٢٠هـ/سنة ١٧٠٨م الى دخول الفرنسيين نسخة مصورة من خزانة باريس سنة ١٣٤٣هـ - دار الكتب المكتبة التيمورية رقم ٢١٠٧ تاريخ ص ٧٦ .

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار : ج ١ ص ٣٤٣ .

(٣) لجبرتى : عجائب الآثار : ج ١ ص ٣٤٣ .

وكان هؤلاء يعملون فى دأب متواصل أثناء النهار وأطراف الليل لانجاز حسابات همام الواسعة والمتعلقة بمعاملاته مع فلاحيه وشركائه .

وكانت تلك الحسابات تتعلق بأموال الخراج التى يقدمها الفلاحون للشيخ همام ما يقدمونه له منها وما يعتدرون عن تأخيرها ، وما يعجزون عن سدادها . ثم طلبات الفلاحين من طلب قروض لمساعدتهم على زراعة أراضيهم مقابل تقديم جزء منها كرهينة للشيخ همام حتى تسديد القرض فى العام القادم .

وكان ذلك يتم بتقديم اقرار شخصى من الفلاح المقترض أمام الشيخ همام وموظفيه . أو أمام قضاة الاقليم وبحضور موظفى همام الذين كان عليهم أيضا تسلم الغلال والأموال التى يقدمها الفلاحون لهمام وعمل الحساب الخاص بها أى توزيعها حسب تعليمات الشيخ همام ما هو مخصص منها للدولة وما هو مخصص للشيخ نفسه وحساب نفقات وايرادات ومصروفات ادارة همام الواسعة .

وكان الشيخ همام يباشر كل أعمال موظفيه يراجع حساباتهم ويمليهم أوامره وتعليماته ومكاتباته . . ومن تلك الأوامر ما يتعلق بمنازعات أبناء المنطقة سواء أكانت مدنية أو جنائية أو متعلقة بشئون الزراعة .

فقد اعتاد همام عقد مجالس عامة (١) جريا على عادة شيوخ القبائل المعروفة لسماع شكاوى أهالى المنطقة من الفلاحين وعرب لتنظيم ادارة أراضيهم الواسعة .

وفى تلك المجالس كان الشيخ يستمع بنفسه الى الشكاوى وبعد دراستها والتحقيق فيها كان يصدر حكمه عليها ويمليه لاحد كتابه ليسجل أمر الشيخ بما يراه فى الشكاوى .

وكانت تلك الأوامر تصدر على أوراق صغيرة بحجم كف اليد وتحمل فى نهايتها ختم همام وتوقيعه .

وفى أحد تلك الأوامر نجد الشيخ همام يأمر شخصا يدعى حسن

(١) الجبرتى : عجائب الآثار : ج ١ ص ٣٤٣ .

الأمير من أهالي فرسوط بأن يسلم شخصا آخر اسمه على عبد الرحيم ما يخصه من مساحة في منزل تحت يده (١) .

فهناك هنا يفض نزاعا (مدنيا) بملكية منزل ويطلب من حسن الأمير تنفيذ ذلك الأمر الذي (يقتضيه حكم الشرع) .

ومن الأمثلة الأخرى الخاصة بالمنازعات (المدنية) أمر آخر من الشيخ همام لمحمد على اسماعيل يأمره فيه بمنع رجاله من التعرض للأمير محمد اسماعيل الذي يريد بناء مسكن لخفير عنده بجوار جامع مهلم خاص بأسرة الأول ولكن البناء سيكون في أرض الشاكي ولذا يأمر الشيخ همام محمد على اسماعيل بمنع رجاله من التعرض له وتركه يقيم البناء الذي يريده (٢) .

ومن المنازعات الخاصة بالزراعة والتي كان الشيخ همام يتولى أمرها أيضا ويصدر أوامره لتنظيمها .

الأمر الذي أصدره لعبد الرحمن اسماعيل الأمير يأمره فيه بسداد مقدار خمسين تليسا من الغلال ثلثها قمح وثلثها فول ايجار الرزقة التي يستأجرها من الحاج عمر والتي هي موروثة له عن والده وأن على عبد الرحمن اسماعيل الأمير ان يدفع له وللمستحقين الآخرين ذلك القدر من الغلال سنويا لاستحقاقهم له (٣) .

وفي أحد الأوامر الأخرى من هذا القبيل (٤) يأمر الشيخ همام أحد اقاربه وهو الشيخ أبو بكر أحمد بمنع رجاله من التعرض لشخص اسمه غزالي الأمير (من أسرة الأمير) اشترى من همام ثلاثة قرايط ونصف وسدد له ثمنها كاملا ، ولكنه أي الشيخ أبو بكر أحمد حرض عليه رجاله لمضايقته وحجز قطعة من هذه الأرض .

ويذكره همام في هذا الأمر بأن هذه الأرض من أرضه شخصيا (الغفارة من أصلها لنا) .

(١) هذا الأمر والأوامر الواردة في الصفحة التالية من الأوراق التي حصلت عليها من زيارتي لأحفاد الشيخ همام بفرسوط وهذا الأمر منشور بالملاحق الملحق رقم ٣ ص ١٦٠ .

(٢) هذا الأمر منشور بالملاحق ملحق رقم ٣ ص ١٦٠ .

(٣) هذا الأمر منشور بالملاحق ملحق رقم ٣ ص ١٦١ .

(٤) هذا الأمر منشور بالملاحق ملحق رقم ٣ ص ١٦١ .

وقد ضمت ادارة الشيخ همام بالاضافة للعديد من الكتب عددا من المباشرين الأقباط الذين كانوا يمثلون الصرافين ويعرفون فى الصعيد بالعمال ويختصون بتوزيع الضرائب على الفلاحين وتحصيلها منهم .

وكان أشهر هؤلاء المعلمين فى عهد همام المعلم بولص بن منقريوس الذى كان يقوم بتسديد الأموال والغلال المطلوبة من الشيخ همام لحكومة القاهرة .

وقد أوردت دفاتر الالتزام بالقلمة (١) أمثلة كثيرة لهذا منها ما كان من قيام المعلم بولص نيابة عن الشيخ همام بتسديد العوايد (الضرائب الخاصة ببعض قرى همام وهى) : -

٥٣	أولاد جاد الغربى
٥٣	أولاد جاد الشرقى
٥٣	بنى وركان
٥٣	قباله شربه
١٦	قرية حراجية
٨	كوم بدار
<hr/>	
٢٣٦	بارة

وكان هؤلاء المعاونون ينوبون عن الشيخ همام أحيانا فى حضور عمليات تنازل الأمراء المماليك له عن أراضيهم بولاية جرجا ، ويسلمونهم الثمن الذى يدفعه الشيخ همام مقابل ذلك أمام محاكم القاهرة .

مثال ذلك ما كان فى قيام المعلم بولص بن منقريوس بحضور عملية تنازل الأمير محمد جاويش مستحفظان القازوغلى فى ١٩ ذى القعدة سنة ١١٧٣هـ/ سنة ١٧٥٨م (أول يولييه) عن حصته بناحية طهطا بولاية جرجا للشيخ همام .

وقام المعلم المذكور بتقديم الثمن الذى دفعه همام مقابل حصوله على هذه الأرض (٢)



(١) دفتر قيود عوايد وتقاسيط لسنة ١١٧٧هـ برقم ٤٨٩ عين ٨ مخزن تركى .

(٢) هذه الحجة من الأوراق التى قدمها لى أحفاد همام بفرشوط .

جيش همام

ولكي يحمي همام أراضيه الواسعة ويدفع عنها شر هجمات الأعراب وأطماع الأمراء المماليك كون جيشا كبيرا من الهوارة أقاربه ومن المماليك الفارين الى الصعيد هربا من وجوه منافسيهم وكان أكثر هؤلاء من بقايا فرقة القاسمية التي شهد عام ١١٤٢هـ/سنة ١٧٢٩م هزيمتها وتشتت معظم رجالها الى الصعيد حيث التحق الكثيرون منهم بخدمة الشيخ همام وانضموا الى صفوف جيشه .

وقد قدر جيرار عدد رجال جيش همام بـ ٣٥ ألف مقاتل (١) .

ومما لا شك فيه أن هذا الجيش لم يكن له من حسن الاستعداد والتدريب والمهارة الحربية ما يماثل الجيوش المملوكية وهذا ما يفسر الانهيار السريع لقوات همام أمام قوات علي بك الكبير أثناء القائهما في معركة أسبوط (٢) . والتي سنتناولها بالتفصيل في الفصل السادس الخاص بالصراع بين الشيخ همام وعلي بك الكبير .

وقد اهتم الشيخ همام بالعلماء واشتهر بتقريبه لهم واکرامهم ومقابلتهم بما يستحقون من احترام وتقديم الهدايا العظيمة لهم اذا ما قصدوه في موطنه .

ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين زاروا الشيخ همام في موطنه الشيخ مرتضى الزبيدي المشهور بمرتضى الحسيني الزبيدي الذي نشأ باليمن (ولد بها سنة ١١٤٥هـ/سنة ١٧٣٢م وارتحل في طلب العلم وحج مرارا . واجتمع بأشهر علماء عصره الذين أجازوه ثم حضر الى مصر سنة ١١٦٧هـ/سنة ١٧٥٣م وسكن بحى الصاغة وبدأ التأليف واشتهر أمره وأخذ عنه كثير من شيوخ ذلك العصر كالجوهري ، و الحنفى .

وسافر الى الصعيد ثلاث مرات واجتمع بأعيانه وعلمائه وزار الشيخ همام الذي أكرمه أكراما كبيرا وقدم له هدايا كثيرة (٣) .

ومن أشهر العلماء الذين كانوا يعيشون في أرض الشيخ همام الشيخ علي بن صالح الشاوري المالكي مفتي فرشوط والذي تلقى علومه بالأزهر ثم عاد الى فرشوط وتولى افتاء المالكية بها .

(١) Girard : Discription de L'Egypte Vol. 17, p. 39.

(٢) محمد رفعت رمضان - علي بك الكبير ص ٥٢ .

(٣) المجبوتى - عجائب الآثار - ج ٢ ص ١٩٦ .

وقد اهتم به الشيخ همام اهتياها كبيرا وأكرمه اكراما كبيرا وكان يقبل وساطته فى أى أمر مما أدى الى أشتهاار أمره ولما زار الشيخ مرتضى الزينى فرشوط قدمه الشيخ الشاورى لهمام .

وبعد وفاة همام غادر الشاورى فرشوط وحضر الى القاهرة وظل بها حتى وفاته سنة ١١٨٥هـ/سنة ١٧٧١م (١) .

وقد اشتهر الشيخ همام بالتقوى والورع فكان يؤدى الصلاة فى أوقاتها وقد أوقف أوقافا كثيرة على المساجد فى الصعيد وقام بكثير من الاصلاحات فيها مثل ما قام به من اصلاح فى مسجد سيدى عبد الرحيم القنائى أشهر اولياء الصعيد . . فقد جدد همام المسجد والمقام . وأنشأ خلفه مخزنا ودورة مياه وأوقف عليه أوقافا كثيرة (٢) .

وقد أنشأ همام مسجدا خاصا فى موطنه فرشوط فى الجانب الشرقى منها عام ١١٧١هـ/سنة ١٧٥٧م وهو مسجد فخم (٣) .

وما زال هذا المسجد قائما فى فرشوط فى حالة جيدة وتقام به شعائر الصلاة وقد كتب على واجهته :

لجامع همام بن يوسف رونق .

به لاذت العباد من كل وجهة

عليه علامات القبول لوايح .

وقد طاب من أرجائه كل بقعة

فيا داخلا بالباب ادع لمنشى .

وارخ يسد الله سر المنية .

وعلى جدران المسجد كتبت قصيدة نهج البرده .

وقد أوقف الشيخ همام تسعة عشر فدانا بفرشوط للانفاق منها على هذا المسجد (٤) .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٦٧ .

(٢) حجة شرعية صادرة من محكمة قنا وقصر بتاريخ ١٢ شعبان سنة ١١٧١هـ وموجودة حاليا بدفتر خانة المحكمة الشرعية بقنا محفوظة رقم ١ حجة رقم ٨٨٨ .

(٣) زوت هذا المسجد أثناء تجولى فى فرشوط .

(٤) حجة شرعية من محكمة فرشوط باقامة ناظرين على هذا المرقف من أولاد العجيل بفرشوط والحجة بتاريخ أول رمضان سنة ١١٧٤هـ وهى من الحجج التى سلمها لى أحفاد الشيخ همام بفرشوط .

نفوذ

رأينا فيما سبق كيف تمتع الشيخ همام ببراء طائل وحكومة منظمة دقيقة وقد اتسع نفوذ همام اتساعا كبيرا فقد تمكن الشيخ بشرائه الطائل وشخصيته القوية وسيطرته على معظم أراضي الصعيد من الدخول فى علاقات قوية مع كبار الامراء المماليك وكبار الموظفين العثمانيين فقد كان همام على صلة وثيقة بالأمير عثمان أغا وكيل دار السعادة بالقاهرة وقد كان هذا الأمير يقوم بعقد جميع الاتفاقات الخاصة بالشيخ همام مع أمراء المماليك بالقاهرة والخاصة بتنازل هؤلاء الأمراء عن أراضيهم للشيخ همام وكان الأمير عثمان أغا هو الذى يقدم نيابة عن همام الثمن اللازم لذلك ويقبل التنازل أمام محاكم القاهرة نيابة عن همام الذى كان قد أعطاه توكيلا رسميا بذلك .

ولنفوذ همام الواسع تمكن من مصادقة بعض كبار الأمراء المماليك مثل الأمير عثمان بك ، الفقارى ، صالح بك القاسمى حاكم جرجا وتحدى بعضهم مثل الأمير ابراهيم جاويش .

وتمكن أيضا من ارغام الكثيرين من كبار الأمراء المماليك على التخلي عن أراضيهم فى الصعيد والتنازل له عنها ، فقد رأى هؤلاء الأمراء أنه من المصلحة أن يتنازلوا عن تلك الأراضي للشيخ الصعيد الذى كانت الدلائل كلها تشير الى أنه ستكون له وحده السيطرة على معظم أراضي الصعيد .

وستتناول هذه العلاقات بالتفصيل فى الفصل التالى الخاص بعلاقة همام بالأمراء المماليك .

أثر سيطرة همام فى ولاية جرجا على الحياة الاقتصادية والسياسية فيها

تمكن الشيخ همام من حفظ الأمن فى الصعيد بكسبه ود القبائل العربية الأخرى المقيمة فيه مثل قبائل العليقات الذين ناط بهم الشيخ همام حراسة طريق القصير (١) .

(١) العليقات :

قبيلة عربية من ذرية مسلم بن عبد الله بن محمد بن عقيل ، وقد هاجرت تلك القبيلة من الجزيرة العربية الى الشام ثم دخلت الى مصر بعد الفتح العثمانى مباشرة واستقرت أولا فى سيناء ثم دخلت القليوبية ثم هاجر فرع منها الى قنا وأسوان .
وقد اشتغل غالبهم فى خفارة طريق القوافل من قنا للقصير وطريق التجارة السودانية (الدرب الأربعينى) .

ومثل قبائل العبابدة التى كانت تسكن منطقة كوم أمبو فى أسوان
والتي كانت دائما وقبل عهد همام مثيرة للشغب ، وكانت تهاجم مزارع
الفلاحين فى الصعيد وتسلبهم محاصيلهم ، فاستطاع الشيخ همام أن
يستميل هذه القبائل وأن يجعلها تستقر بجوار نهر النيل - لأول مرة
فى حياتها - وأن تكف عن أعمال السلب والنهب التى كانت تمارسها
من قبل (١) .

هكذا أدت سيطرة همام على الصعيد الى سلب سائر القبائل
العربية المقيمة به النفوذ الذى كان للعرب على الفلاحين فى أرجاء مصر
الآخري .

وبفضل النظام الذى وضعه الشيخ همام للأمن أثناء سيطرته على
الصعيد تمكن البكوات البعيدون عنه والذين لهم التزامات فيه من الحصول
على إيرادات أراضيهم كاملة بعكس الأقاليم الآخري التى لم يتمكنوا من
الحصول على إيراداتهم فيها لما كان يسودها من فوضى واضطراب لم
يرهما الصعيد فى عهد الشيخ همام .

وقد استراحت الدولة عامة الى تولى الشيخ همام ادارة أراضى
الصعيد ، فقد كفاها همام متاعب كثيرة فى تحصيل الأموال بتسديده
الدائم لما عليه من خراج .

وينوه كتاب ذلك العصر بأن الصعيد كان سعيدا فى عهد سيطرة
همام وقد حفظ أهله من فقير وغنى ومسلم ومسيحي لهمام أكرم
الذكرى .

وقد أدى النظام الذى وضعه الشيخ همام للأمن والعناية التى كان
يبدلها لصيانة الترع والجسور الى ازدهار الزراعة وتحقيق الرخاء للاهالى
مما جعلهم يبدون أسفهم لانتهاء هذا النظام بعد وفاة همام (٢) .

(١) BRUCE : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, p. 49.

(٢) زار جيرار الصعيد سنة ١٧٩٩ وتجول فى ثنا وجرجا وقابل أهالى الصعيد واستمع
منهم شخصيا لقصة حياة الشيخ همام وسيطرته على الصعيد وحالة الصعيد فى عهده وقد
ذكر جيرار هذا فى :

GIRARD : de L'Egypt Description Vol. 17, p. 40.

مازالت أخبار همام وما كان له من سيطرة ونفوذ فى الصعيد وما كان عليه همام
من كرم تملأ أسماع الناس فى الصعيد وقد لمست ذلك كثيرا أثناء تجولي فى محافظات
أسيوط وسوهاج وقنا بحثا عن وثائق تفيدنى فى دراسة موضوع الشيخ همام .

فما أن انتهت أيام همام حتى غدا الصعيد نهبا لبكوات القاهرة
المنتفعين . . الذين لم ينل الصعيد على أيديهم أدنى تقدم إذ لم يكن لهم
هم الا استعادة سلطاتهم مسخرين أرض الصعيد وثرواته وفلاحيه لخدمة
مآربهم الشخصية وقد بدأت تلك الفترة بغد وفاة همام بقليل في عهد
على بك نفسه الذي طرد قائده محمد أبا الذهب فلجأ الى الصعيد محاولا
استغلال أهله لاستعادة مركزه .

ثم كان النزاع بين مراد بك وإبراهيم بك وبين زميلهما اسماعيل
بك على رئاسة مصر ، وما كان من لجوء كل فريق تلحقه الهزيمة من
الفريقين الى الصعيد يستولى عليه ويسوم أهله سوء العذاب مما أدى الى :
• تدهور الزراعة واضطراب الأمن في الصعيد (١) .

• وان كانت سيطرة همام قد أدت الى ضعف وتلاشى السلطة الحكومية
المركزية في الصعيد ، وقضت على كل نفوذ فعلي لحاكم جرجا .
فان تلك السيطرة وفرت للصعيد وأهله أمنا واستقرارا وازدهارا
للزراعة لم ينعم بهم الصعيد وأهله قبل همام أو بعده .

★ ★ ★

Girard : Description de l'Égypte Vol. 17, p. 41.

(١)

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ٢ ص ٨٣ .

الفصل الخامس

علاقة الشيخ همام بالأمراء المماليك

علاقة الهوارة بالأمراء المماليك - نمو قوة
همام - تحديه لبعض الأمراء المماليك مثل الأمير
إبراهيم جاويش - أسباب النزاع بينهما -
توسع همام في أراضي الصعيد - تنازل الأمراء
المماليك عن أراضيهم لهمام - علاقة همام
الودية بصالح بك القاسمي *

علاقة الشيخ همام بالأمراء المماليك

تمتعت قبيلة الهوارة التي ينتمى اليها الشيخ همام بسيطرة واسعة على الصعيد وقد ظلت لشيوخ هذه القبيلة رئاسة الصعيد والسيطرة على الحكم فيه حتى عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م حيث عزل العثمانيون الهوارة عن الحكم في الصعيد كما قدمنا . ولكن السيطرة والنفوذ عادا ثانية الى الهوارة حينما ادخل نظام الالتزام الى مصر في الربع الأول من القرن ١٧م وقام نفوذ الهوارة حينئذ على أساس الاعتراف الرسمي بهم كملتزمين أى جامعى ضرائب للسلطان (١) Tax-Farmers

وقد ساعد على تدعيم نفوذ الهوارة ما كان لهم من هبة موروثية ، وعصبية قبلية ، و ثراء طائل وصلات متعددة بالحكام وتدخل مستمر فيما كان يجرى من أحداث بين أمراء مصر وفقا لما تمليه عليهم مصالحهم وقد استمر الهوارة في تدعيم نفوذهم ومد سيطرتهم على أراضي الصعيد بحيازتها بالالتزام وقد شهد القرن الثامن عشر أقصى مراحل نمو ونفوذ الهوارة وسيطرتهم على الصعيد ، وقد غدا الهوارة من القوة بحيث أمكنهم تحدى عبد الرحمن بك حاكم ولاية جرجا في عام ١١٠٧هـ/١٦٩٥م .

حيث تمردوا عليه ورفضوا ان يقدموا له ما عليهم من أموال و غلال للدولة ولم يستطع عبد الرحمن بك أن يرجعهم عن تمردهم الا بعد أن

(١) Holl (P.M.) : gypte and the Fertile Crescent 1516-1922, London, 1966, p. 70.

أرسلت له الحكومة بالقاهرة حملة قام بقيادتها ضد الهوارة الذين منوا بالهزيمة أمامه وفروا هاربين الى الجبل ثم عادوا الى طاعة الدولة (١) .

وقد لعب الهوارة دورا كبيرا فى المنازعات التى كانت تدور بين أمراء المماليك بالقاهرة وحاولوا استغلال هذه المنازعات لصالحهم وكانوا عاملا هاما فى اذكاء حدة الصراع بين كثير من كبار الأمراء المماليك .

فبعد عزل عبد الرحمن بك من ولاية جرجا بسعى منافسيه ذهب الى القاهرة وأثار عليه غضب زملائه لخروجه من فرقة الفقارية فرقتهم الأصلية وانضموا الى الفرقة المنافسة لها وهى فرقة الفقارية ، وقد تحمل عبد الرحمن بك بسبب تصرفه هذا عداء زملائه بالإضافة لعداء الباشا الذى كان يضمّن فى نفسه الكراهية لعبد الرحمن بك لاشتراكه فى عزل الباشا السابق له والذى كان هو كتحده .

وقد انتهز الهوارة هذه الفرصة واستغلوا الصراع الدائر بين عبد الرحمن بك وزملائه للانتقام منه لمحاربته السابقة لهم فكتبوا للباشا قوائم بما ذهب لهم من (خيول ، وجمال ، وعبيد ، وجوار ، وغلال ، وأخشاب وفرش ونحاس) (٢) وثمانها بثلاثمائة كيس واتهموا عبد الرحمن بك بأخذ هذه الأشياء وأنابوا عنهم وجاق الانكشارية فى خلاص ذلك منه فرفع هؤلاء الأمر الى الباشا فأمر باحضار عبد الرحمن بك فرفض الحضور وانتهر اعداؤه هذه الفرصة واتفقوا على محاربته ان أصر على عدم تسليم الهوارة ما أخذ منهم خلال حملته عليهم ، ولما استمر عبد الرحمن بك على موقفه من عدم الاعتراف بما اتهمه به الهوارة حاربه منافسوه حيث كان متحصنا فى منزله ومعه اتباعه وانتهى الأمر بمقتله سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م ونجح الهوارة فى الانتقام من عبد الرحمن بك مستغلين فرصة النزاع بينه وبين زملائه وكان تدخل الهوارة هو الذى زاد من اشتعال حدة ذلك النزاع ووصل به الى اخطر مدى له .

وعندما اندلعت أحداث فتنة افرنج أحمد بالقاهرة سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م اشترك الهوارة فيها اشتراكا فعليا بحضورهم الى القاهرة بصحبة محمد بك حاكم ولاية جرجا حينئذ (٣) .

فعندما ارسلت الدولة حملة بقيادة محمد بك قطامش سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م لمعاقبة الهوارة لاشتراكهم فى أحداث فتنة افرنج أحمد

(١) عن حملة عبد الرحمن بك على الهوارة انظر ص ٤٥ من الفصل الاول .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) عن فتنة افرنج أحمد انظر ص ٦٦ من الفصل الثانى .

وَمَا قَامُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ تُخْزِيهِمْ خِلَالَهَا سِوَاءَ فِي الْقَاهِرَةِ أَوْ فِي انْحِصَاءِ الصَّعِيدِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ سَيْطَرَةِ مُنَافِسِيهِمْ لَمْ يَنْقُذِ الْهَوَارَةَ مِنْ غَضَبِ الْبُؤْلَةِ - (بعد هزيمتهم أمام هذه الحملة واعتصامهم بالجبل) - إلا صديق لهم من أكبر الأمراء المماليك بالقاهرة حينذاك وهو الأمير إبراهيم أبو شنبه (١) الذي لجأ إليه الهوارة طالبين منه التوسط لهم لدى الباشا وأخذ أمر منه بالعفو عنهم وتأمينهم في ديارهم وفعلا تم لهم ذلك عن طريق هذا الصديق .

وأثناء الصراع بين فرقتي القاسمية والفقارية (١) استعان القاسمية بالهوارة في صراعهم ضد الفقارية .

(١) عن ترجمة الأمير إبراهيم بك أبو شنبه انظر ص ٦٩٠ من الفصل الثاني .
(٢) اختلف المؤرخون في كيفية وتاريخ ظهور هاتين الفرقتين فأورد الجبرتي عن أصلهما روايتين .
الرواية الأولى ترجع ظهور هاتين الفرقتين الى أوائل العصر العثماني أثناء اقامة السلطان سليم بالقاهرة .
والرواية الثانية ترجع ظهورهما الى سنة ١١٩ هـ / ١١٠٧م على أثر النزاع الذي قام بين قاسم بك الدفتردار ومنافسه ذى الفقار بك الكبير أمير الحج .
وقد رجح الكثير من المؤرخين الرواية الثانية لأنه لم يرد ذكر للرواية الأولى يؤيدها في كتابات المعاصرين للفتح العثماني كما ابن زبيل وابن لياس .
ومن التنافس بين فرقتي القاسمية والفقارية نشأت البيوت المملوكية. التي ملا النزاع بينها تاديع مصر في العصر العثماني .
فمن القاسمية نشأت بيت الايوزية وأبى شنبه .
ومن الفقارية نشأت بيوت :
بليا ، رضوان ، الصابونجي ، الحناب ، الجلفية ، القازوغلية ، الابراهيمية ، العلوية ، المجيدية .

وقد كان البيت المملوكي ينشأ بتفوق أحد البكوات المماليك على زملائه فيطمع في تولي رئاسة المماليك جميعا بالتضياء على شيخ البلد الموجود بالدسيسة أو بالقتال فإذا ما نجح في ذلك وصل الى منصب شيخ البلد وإذا ما فشل فر الى الصعيد أو الشام حيث يجمع الأمراء المنفيين ويستعين بالمرتزقة ويعود لمواصلة الصراع وقد يقتل ويذهب ضحية أطماعه فيسول رياسة ممالكه ابنه أو خازناده فيفتح بيت أبيه أو أستاذه ويكون برئاسه بيتا جديدا قد تنشأ الأطماع بن أعضائه فيتنازعون ويحاول بعضهم من الأعضاء البارزين تكوين بيوت خاصة بهم .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٤ .

Holt (P.M.) : A1 GABARTI's introduction of the history of ottoman Egypt..

Bulletin of the school of oriental and African studies Vol. XXV, p. 1, 1962.

ففى أثناء اشتداد الصراع بين هاتين الفرقتين هرب محمد بك جركس أكبر زعماء فرقة القاسمية الى الصعيد حيث أعاد تنظيم صفوفه واستعان بمن كان لاجئا الى هناك من أفراد فرقة القاسمية واستعان بالهواراة الذين صحبوه فى طريقه للتقدم الى القاهرة ولكنه قتل على أيدى منافسيه بالجيزة .

وبموته انتهى الصراع بين الفقارية والقاسمية الذين هزموا وتشتتوا فى البلاد سنة ١١٤٣هـ / ١٧٢٩م .

وقد لجأ الكثيرون من أفراد هذه الفرقة الى الهواراة حيث عملوا عندهم كجنود واختلطوا بهم وعاشوا فى بلادهم .

وخاصة فى عهد الشيخ همام فقد انضم اليه الكثيرون من هؤلاء الرجال وعملوا بين صفوف جيشه (١) .

وقد وصل الهواراة الى ذروة القوة والسيطرة على الصعيد فى عهد الشيخ همام بن يوسف الذى وصل الى حد من القوة والنفوذ مكنه من مصادقة الكثيرين من كبار الأمراء المماليك بالقاهرة يلجأ اليهم لمساعدته على تحقيق أغراضه ، ومكنته تلك القوة أيضا من الوقوف موقف التحدى من بعض كبار الأمراء المماليك مثل الأمير ابراهيم جاويش .

وعن طريق سيطرة الشيخ همام على معظم أراضى الصعيد من المنيا الى أسوان بالالتزام توفرت له سلطة واسعة ونفوذ كبير .

وقد بدأ اسم الشيخ همام يظهر كملتزم لبعض أراضى الصعيد كما قدمنا ابتداء من سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢٢م (٢) .

ومنذ هذا العام والشيخ همام يواصل زحفه على أراضى الصعيد فقد شهدت الأعوام التالية لهذا العام نموا سريعا للأراضى التى أخذها همام بالالتزام واستمر فى تنفيذ سياسته بتوسيع أراضيه وتنحية الملتزمين الآخرين لأراضى الصعيد من المماليك ومن اقاربه الهواراة ومن العسرب الآخرين (٣) .

وقد أدى هذا التوسع الى اصطدام الشيخ همام ببعض كبار الأمراء المماليك الذين كانت لهم أراض أخذوها بالالتزام فى ولاية جرجا والتى كان بعضها يجاور أراضى همام مباشرة .

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ .

(٢) انظر ص ١٠٤ من الفصل الرابع .

(٣) عن هذا التوسع انظر ص ١٠٦ من الفصل الرابع .

وقد اضطر بعض هؤلاء الأمراء للتنازل للشيخ همام وشركائه (من اقاربه) عن معظم أراضيهم في الصعيد فلم يكن أمام هؤلاء الأمراء مجال للاختيار أمام قوة شيخ الصعيد ونمو نفوذه المطرد ، وكانت الدلائل كلها تشير الى انه ستكون له السيطرة على معظم أراضي الصعيد .

ومن هنا اضطر الكثيرون منهم للتخلي عن أراضيهم للشيخ همام بل وصل الأمر ببعضهم الى حله الحضور بنفسه الى فرشوط مقر الشيخ همام لتسجيل تنازله عن أرضه لهمام أمام محكمة فرشوط مثال ذلك ما كان من : تنازل الأمير عثمان جلبي بن أخى حسن قهوجى عن حصته فى ناحية بلصفورة بولاية جرجا للشيخ همام وشريكه (عمه عيسى أحمد محمد همام) نظير ثمن معين وقدره اثنا عشر كيسا وذلك بتاريخ ١٢ ربيع أول سنة ١٩٤٦هـ/سنة ١٧٣٣م (١) .

وقد كان الأمير ابراهيم جاويش (٢) أهم الأمراء الذين اصطدم بهم الشيخ همام فى محاولته لمد سيطرته على أراضي الصعيد وأخذ معظمها بالالتزام .

فقد كان للأمير ابراهيم أراض واسعة أخذها بالالتزام فى منطقة قنا من ولاية جرجا حيث كانت تلك المنطقة المعقل الأساسى لهمام ولقبيلته .

(١) هذا التنازل وارد بحجة شرعية صادرة من محكمة فرشوط أمام القاضي ابراهيم عثمان على بتاريخ ١٢ ربيع أول سنة ١١٤٦هـ .

(٢) ابراهيم جاويش :

وكان يطلق عليه أحيانا ابراهيم كتخدا كان تابعا للأمير سليمان كتخدا القازوغلى. وقد عمل جاويشا لفرقة المستحقين وقاد اماره الحج أثناء رئاسة عثمان بك ذى الفقار سنة ١١٥١هـ/سنة ١٧٣٨م وفى تلك السنة بدأ العداء بينهما باطنا لأن ابراهيم جاويش كان شديد المراس قوى الشكينة وكان يطمع لتولى رئاسة مصر بدلا من عثمان بك .

وبعد عودته من الحج لما ذكره وذاع صيته وانشغل بتدبير المؤتمرات ضد عثمان بك حتى أوقع به وأزاله من رئاسة مصر سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م .

وانتهى اليه رئاسة مصر بدلا من عثمان بك وشاركه فى الرئاسة زميله رضوان كتخدا ونفذت كلمتهما واهتم ابراهيم جاويش بالسيطرة على الحكم وتسلم الأموال الأميرية. وتوجيهها كأوامر الدولة التى رضيت عنه كل الرضا بينما انشغل زميله بملذاته فقط .

وقد أستكثر ابراهيم جاويش من شراء المالكين وتقليدهم الامربات والمناصب ومن أشهر ممالكه على بك الكبير .

وقد توفى ابراهيم جاويش سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م .

المجربى : عجائب الآثار ج ١ ص ١٩٢ .

وما كان الشيخ همام - وهو بصدد تنمية أراضيه ومحاولة توسيع نطاقها - اليرضى عن بقاء أراضى الأمير ابراهيم جاويش وكان للأمير ابراهيم من قوة الشكيمة ومن عظم النفوذ ما جعله يخوض معركة تحد ضد نفوذ همام وضد محاولاته للتوسع وضم أراضيه فى الصعيد .

وفى رواية الجبرتى أن الصراع بين الشيخ همام وبين الأمير ابراهيم جاويش بدأ يأخذ صورة واضحة ابتداء من سنة ١١٤٩هـ/ سنة ١٧٣٦م .

ففى هذا العام رهن الشيخ همام للأمير ابراهيم ناحية برديس مقابل قرض مالى على ان يكون من حق الأمير ابراهيم التصرف فى تلك الناحية لو تأخر الشيخ همام عن سداد المبلغ المقترض فى الموعد المحدد للسداد .

وقد رفض الشيخ همام تسديد المبلغ فى مواعده ومنع ابراهيم جاويش من تسلم ناحية برديس والتصرف فيها واستعان بصديق له من كبار الأمراء المماليك بالقاهرة حينذاك وهو الأمير عثمان بك الفقارى (١) الذى ايد موقف همام .

وقد لعب همام دورا كبيرا فى تصعيد حدة الصراع بين الأمير عثمان ذى الفقار والأمير ابراهيم جاويش فقد كان الصراع شديدا بين هذين الأميرين بسبب تنافسهما على رئاسة مصر ، فأدت استعانة الشيخ همام بالأمير عثمان لمساندته فى موقفه ضد الأمير ابراهيم جاويش الى استياء الأمير ابراهيم من الأمير عثمان وسعيه بكل قـواه لجمع كلمة زملائه وتحريضهم على مهاجمة عثمان بك وهو فى طريقه الى القلعة وتم لهم ذلك . وهرب عثمان بك أمامهم وفر الى الصعيد عند تابعه على بك حاكم ولاية جرجا حيث معقل الشيخ همام ومهد قوته ونفوذه .

(١) عثمان بك الفقارى :

من أتباع الأمير ذى الفقار تقلد الامارة والصنحية سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م وتقلد عدة مناصب وكشوفيات الاقاليم وقد غدا من كبار الأمراء المماليك واشتهر بمحاربته للقاسمية .

واقد انتهت اليه رئاسة أمراء مصر سنة ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م وكان قوى الهمة حسن السياسة وكان كما وصفه الجبرتى فطنا عادلا محبا للحق ولم يكن عيبه سوى حدة الطبع والناد ما جعله يختلف مع زملائه وأهمهم ابراهيم جاويش وقد قام الصراع بينهما على رئاسة مصر والسيطرة على مقاليد الامور فيها وقد انتهى الأمر بتغلب ابراهيم جاويش وخروج عثمان بك من مصر الى استانبول سنة ١١٥٧هـ وبقاؤه بها حتى وفاته سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م ولجلال شأنه وعظمته جعل أهل مصر عام خروجه منها تاريخا لاخبارهم ومواليدهم . ووقائهم فيقولون جرى ذلك سنة خروج عثمان بك او يده يكذا سنة او شهر او كان عمرى شئ ذلك الوقت كذا سنة .

الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ١٧٨ .

وهكذا كان همام سببا في احتدام الصراع بين أكبر أميرين في هذا الوقت وهما عثمان بك الفقاري وابراهيم جاويش وبالرغم من انتهاء هذه الجولة بخروج الأمير عثمان من مصر الى استانبول (١) .

وبالرغم من وصول الأمير ابراهيم جاويش الى مركز السيطرة على مصر فانه لم يتمكن من ارغام الشيخ همام على تسليمه ناحية برديس .

فقد بقيت تلك الناحية في اراضي همام التي أحرزها بالالتزام حتى وقت وفاته سنة ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م (٢) وكانت هي ادار الذي سيبدأ منه على بك . التحرش بهمام كما سنرى في الفصل التالي : -

وتفسير موقف همام من ابراهيم جاويش ورفضه تسليمه المبلغ المقترض أو الأرض المرهونة أمر يسير .

فالشيخ همام كان صاحب ثراء طائل فلم يكن في حاجة لاقتراض مال من الأمير ابراهيم ، وقد اشتهر الشيخ همام بالنبل والكرم فلو أن الأمر كان متعلقا بقرض عادي ورهن عادي لكان همام أول من ينفذ هذا الاتفاق ويرد المبلغ لصاحبه أو يعطيه حرية التصرف في الأرض المرهونة .

ولكن الأمر كان وراءه سر آخر فقد كانت للأمير ابراهيم كما قدمنا أراض واسعة أخذها بالالتزام في ولاية جرجا في نواحي الحرجة وكوم الباسكية والشغب والشيخية وبيج القهرمون ، وقوص ، والحراجية (٣) وكلها في منطقة قنا مهد نفوذ همام ومقله .

ولابد أن الشيخ همام قد ساء كثيرا ان تبقى تلك الأراضي للأمير ابراهيم في هذه المنطقة ولعله بمحاولته عدم تنفيذ الاتفاق الذي كان بينه وبين الأمير ابراهيم كان يريد ارغامه على التخلي عن تلك الأراضي والتنازل له عنها .

ولعل تداخل هذه الأراضي مع أراضي همام أدى لتداخل المصالح المالية بين همام وابراهيم جاويش وربما أراد همام أن يأخذ المبلغ المقترض من ابراهيم جاويش ربما أراد بذلك الحصول على حقوق مالية كانت له لدى هذا الأمير وأن عملية الرهن كانت شكلية في نظر همام الذي كان

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ١٨٣ .

(٢) دفاتر الالتزام بالقلمة دفتر رقم ٣٥ لسنة ١١٨٣هـ عين ٨ مخزن تركي .

(٣) دفاتر التزامات الولايات القبلية بالقلمة دفتر رقم ٤٠٧ لسنة ١١٥٤هـ عين ٧ .

مخزن تركي .

يعرف أن له من القوة والمنعة والنفوذ ما يمكنه من منع إبراهيم جاويش من التصرف في ناحية برديس .

ولعل هذا ما يفسر عبارة الجبرتي عند ما أشار الى أن الشيخ همام لم ينفذ اتفاقه مع إبراهيم جاويش بالرغم من استعانتة بكثير من الأمراء فقد وصف الجبرتي موقف همام بقوله (ويحتج عليه بأشياء وشبه قوية وحسابات وحوالات ونحو ذلك) (١) .

فرفض همام تسديد المبلغ الذي اقترضه من الأمير إبراهيم جاويش ربما كان لتخليص حقوق مالية كانت لهما لدى هذا الأمير ورفض همام تسليم الأمير إبراهيم ناحية برديس كما نص على ذلك في الاتفاق الذي كان بينهما كان ذلك الرفض بهدف دفع الأمير إبراهيم للتنازل عن أراضيه في ولاية جرجا للشيخ همام ما دام ليس في إمكانه وضع يده على الأرض التي له الحق فيها مثل ناحية برديس وهذا ما حدث فعلا في السنوات التالية فقد شهد عام ١١٥٤هـ / ١٧٤١م تنازل الأمير إبراهيم جاويش عن حصته وقدرها ١٢ ط من أصل ٢٤ ط في ناحيتي سمهود وخلصان تنازل عن الحصص السابقة لشريك همام الشيخ عيسى أحمد محمد همام الذي قام بدوره بالتنازل عن هذه الحصص للشيخ همام الذي ذكرت عنه الحجة .

انه بضم الجزء السابق صار له التزام ناحية سمهود وخلصان بالكامل لأنه كان له من قبل نصف تلك الناحية .

ويبدو ان العداء بين الشيخ همام وبين إبراهيم جاويش كان قد وصل الى أقصى مدى له في تلك الاعوام فان الأمير إبراهيم لم يقدم تنازله عن تلك الناحية للشيخ همام مباشرة وانما تنازل عنها لشريك همام عيسى أحمد محمد همام الذي قام بدوره بالتنازل عنها للشيخ همام كما قدمنا (٢) .

وفي عام ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م (٣) ضم الشيخ همام أراضى إبراهيم جاويش التي كانت له في قوص ، الحراجية .
وفي عام ١١٦٧هـ / ١٧٥٣م (٤) ضم الشيخ همام لأراضيه ما كان

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) هذه الحجة من الأوراق التي سلمها الى أحفادهما بفرشوط وهي صادرة من محكمة فرشوط وأمام قاضيهما على عثمان في ١٠ رجب سنة ١١٥٦ .

وهي منشورة بالملاحق ملحق رقم ٧ ص ١٧٢ .

(٣) دفاتر الالتزام بالقلمة دفتر رقم ٤٣٢ لسنة ١١٦٣ عي ٨ مخزن تركي .

(٤) دفاتر الالتزام بالقلمة دفتر رقم ٤٣٦ لسنة ١١٦٧ عي ٨ مخزن تركي .

لإبراهيم جاويش من أراضى فى نواحي الشطب ، الحرجة ، الباسكية ،
الشيخية ، بيج القهرمون .

وهذا يوضح الى أى مدى وصلت قوة همام وسيطرته على الصعيد
بالرغم من ان ابراهيم جاويش كان وقتها فى قمة نفوذه وسيطرته على
الحكم .

فانه اضطر أمام قوة شيخ الصعيد (نزولا على حكم الواقع الى التنازل
عن أراضيه فى الصعيد والابتعاد عن منطقة نفوذ همام) .

وقد استمر الشيخ همام فى تدعيم نفوذه وبناء قوته بدفع كبار
الأمراء المماليك واحدا تلو الآخر للتنازل له عن أراضيه فى الصعيد .

فى عام ١١٧٣ هـ // ١٧٥٩ م ، وأمام محكمة الباب العالى بالقاهرة
تنازل الأمير محمد جاويش مستحفظان القازد على عن حصته وقدرها ٢ ط
بناحية طهطا وتوابعها للشيخ همام نظير ثمن معين وقدره عشرون كيسا
قدمها نيابة عن همام وكيله المعلم بولص (١) .

وواصل الشيخ همام اجلاء امراء المماليك الآخرين الذين كانت لهم
أراضى فى ولاية جرجا وخاصة من كانت أراضيهم تتداخل مع أراضيه .

فى عام ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م (٢) تنازل الأمير خليل بك القازد على
الدفتردار عن نفسه وعن وكيله وشريكه حمزة بك القازد على عن ١٨ ط
من أصل ٢٤ فى كامل أراضى ناحية منشأة اخميم (الحرزات والزوك
والكواهل وأولاد مامن وتوابعها من ولاية جرجا) .

وتم التنازل أمام محكمة الباب العالى بالقاهرة نظير ثمن دفعه همام
وقدره مائتا كيس .

وفى عام ١١٨١ / ١٧٦٧ م ، اضطر أمير آخر هو عثمان بك أبو يوسف
صارى عسكر الخزينة العامرة وقتها الى التنازل عن نفسه وعن موكله عن
٢ ط حصتهم فى ناحية نفس اخميم ، قيراط فى أراضى شرق اخميم
وتوابعها ساقلته ، سفلاق صوامعه طوايل بولاية جرجا نظير مبلغ
٢٧ كيسا .

(١) هذه الحجة من الأوراق التى سلمها لى أحفاد الشيخ همام بقنسا وهى بتاريخ
١٤ ذى القعدة سنة ١١٧٣ هـ . . .
(٢) هذه الحجة موجودة بدفترخانة المحكمة الشرعية بشبرا بالقاهرة - مادة رقم ١٣٩
ص ٩٩ من سجلات محكمة الباب العالى سجل رقم ٢ .

ونم التنازل أيضا أمام محكمة الباب العالى بالقاهرة فى ١٢ رجب سنة ١١٨١ هـ (١) ديسمبر سنة ١٧٦٨م .

وكان يذكر فى كل تنازل من هذا القبيل ان الأمير المتنازل عن اراضيه للشيخ همام تنازل عنها له .

(لما علم لتمامه فى ذلك من الحظ والمصلحة) وكان التنازل عن الأرض فى جميع الحالات من الأمراء المماليك للشيخ همام هو تنازل عن الأرض الزراعية فقط وليس عما بها من الفلاحين والحيوانات والاشياء الأخرى وكان همام يدفع دائما تمن ما يأخذه من أرض هؤلاء الأمراء .

وكان متوسط ما يدفعه همام من نقود ثمنا للتنازل عن القيراط أحد عشر كيسا مصرية (ولم يكن القيراط فى ذلك الحين يعنى $\frac{1}{4}$ من الفدان وإنما كان يعنى $\frac{1}{4}$ من أرض المقاطعة الزراعية فقد كانت كل مقاطعة تقسم الى ٢٤ قيراطا أى جزء ولم يكن الشيخ همام يضادر الصعيد الى القاهرة لحضور عمليات التنازل هذه بل كان ينيب عنه وكلاء للقيام بذلك وتسلم الأرض المتنازل عنها ودفع الثمن اللازم لعملية التنازل ، وكان منهم المعلمون الاقباط الذين يعملون بأراضى همام فى الصعيد بمثابة مباشرين عنده ومنهم الأمير عثمان اغا العثمانى وكيل دار السعادة (٢) بالقاهرة والذي كان الشيخ همام قد اعطاه توكيلا شرعيا للقيام عنه بمثل هذه الأمور .

(١) هذه الطجة موجودة بدفترخانه المحكمة السريعة بشبرا بالقاهرة ٠٠٠ مادة رقم ١٥١ ص ١١١ من سجلات محكمة الباب المالى سجل رقم ٢ .

(٢) دار السعادة :

اسم أطلقه المماليك على دار الحكم التى يقيم فيها نائب السلطان فى الاقاليم التابعة للدولة .

وقد ذكر ابن طولون فى تاريخه مفاكهة الخلان ص ١٢ ج ١ هذا الاسم كثيرا بما يعنى ذلك المفهوم .

فقد ذكر ص ١٢ وصل خبر انعام السلطان على نائب دمشق قدقت البشائر فى دار السعادة .

وقد أطلق العثمانيون هذا الاسم على دار الحكم فى استانبول أبو المحاسن المنهل الصافى ج ١ ص ١٥٢ .

أما اغا اغاه وكيل دار السعادة فى مصر فهو كبير الأغوات الرئيسى للناب العالى والنزى كان يرسل الى مصر لتولى نظارة الاوقاف السلطانية العامة .

المجرتى : عجائب الآثار : ج ٤ ص ٧٧ .

S. J. SHaw : The financial and administrative organizon, p. 44.

الشيخ همام - ١٢٩

بل لقد وصلت سطوة همام ونفوذه وقوته الى حد أنه استطاع ان يرغم على بك الكبير اعظم الأمراء المماليك حينئذ وشيخ البلد والمسيطر على مقاليد الحكم فى مصر على التنازل له عن مساحات واسعة من أراضيه التى كان يحرزها بالالتزام فى الصعيد من ذلك ٠٠٠ ما كان من تنازل الأمير على بك الكبير للشيخ همام عن ٢٢ قيراطا من أصل ٢٤ قيراطا أى معظم ناحية بنى نصر بمنفلوط وكان ذلك أمام محكمة الباب العالى (١) بالقاهرة فى أول رجب سنة ١١٨٢هـ ١١ نوفمبر سنة ١٧٨٦م نظير مبلغ ٢٥٢ كيسا قدمها وكيل همام الأمير عثمان أغا .

ولعل على بك امتلأت نفسه حقدا على همام بعد وقوع تنازله هذا عن أراضيه لهما ولعل هذا التنازل هو وما وصل اليه همام من قوة ونفوذ حينئذ الذى أثار كوامن غضبه على همام وشكه فيه (٢) .

ففى منتصف هذا الشهر نفسه ١٥ رجب سنة ١١٨٢/٢٦ نوفمبر سنة ١٧٦٨ بدأ تجرشه بالشيخ همام بارساله حملة بقيادة محمد بك أبى الذهب لمطالبة همام بالتخلي عن جميع أراضيه شمال برديس وهى الحملة التى سنناقشها بالتفصيل فى الفصل التالى عند تناول المواجهة بين همام وعلى بك .

هكذا رأينا كيف تمكن همام بما اتيح له من قوة و ثراء ونفوذ وسيطرة على معظم أراضى الصعيد من الدخول فى علاقات قوية مع امراء المماليك

(١) محكمة الباب العالى

احدى ثلاثة عشرة محكمة كانت توجد بأقسام القاهرة وتوجد سجلاتها الآن بدفترخانة المحكمة الشرعية وغالبها حجج تسجيل المعاملات المالية والمواريث وهذه المحاكم هى :

- ١ - محكمة الباب العالى .
- ٢ - محكمة قوصون .
- ٣ - محكمة بابى سعادة والخرق .
- ٤ - محكمة القسمة العسكرية .
- ٥ - محكمة القسم الغربى .
- ٦ - محكمة الزيتى ببولاق .
- ٧ - محكمة مصر القديمة .
- ٨ - محكمة الصالحية .
- ٩ - محكمة طولون .
- ١٠ - محكمة قناطر السبع .
- ١١ - محكمة جامع الحاكم .
- ١٢ - محكمة باب الشعيرة .
- ١٣ - محكمة الزاهد .

(٢) بعد القضاء على شيخ العرب همام استعاد على بك أراضى ناحية بنى نصر هذه مرة ثانية فقد ورد بدفاتر التزامات القلعة دفتر رقم ٥٥٠ لسنة ١١٨٥ عين ٩ مخزن تركى ٠٠٠٠ ان ناحية بنى نصر بمنفلوط فى التزام على بك الكبير .

فتحدى بعضهم واضطره للتخلي عن أراضيه فى الصعيد وصادق بعضهم صداقة قوية ربطت حياته بحباتهم ومصيره بمصيرهم مثل صداقته للأمير صالح بك القاسمى الذى بلغ من صداقته له انه كان ينيبه عنه فى جميع مصالحه بالقاهرة والذى أيدته الشيخ همام بكل ما يحتاج اليه من رجال ومؤن وذخائر عندما فر هاربا الى الصعيد سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م عندما حاول على بك نفيه من مصر ليخلو له الجو لفرض سيطرته خالصة على مصر .

وقد بدأت صداقة همام مع صالح بك (١) منذ عام ١١٦٨ هـ ١٧٥٤ م حينما عين صالح بك حاكما لولاية جرجا ، فقد قبل هذا الامير صداقة الشيخ همام ربما لأنه من القاسمية ، وهم الرجال الذين غمرهم الهوارة عامة والشيخ همام خاصة بكرمهم ، وأفسحوا لهم ديارهم ، وقدموا لهم المأوى والأمان عندما انتهت دولتهم سنة ١١٤٢هـ/١٧١٩م وتعرضوا للتشتيت والنفى .

وربما أدرك صالح بك بناقب بصره أنه من الخير له أن يكسب ود وصداقة شيخ الصعيد للسيطر على معظم اراضيه ان أراد أن يضمن لنفسه حكم ولاية جرجا فقد وصل الشيخ همام فى تلك السنوات الى حد من القوة والسيطرة والنفوذ ما كان يجعله فى مركز يستطيع منه تحدى أى حاكم لولاية جرجا لا يكون على وفاق معه .

وسنرى فى الفصل التالى الخاص بالصراع بين على بك والشيخ همام تفصيلا للعلاقة بين الشيخ همام وصالح بك القاسمى وعلى بك الكبير نفسه .

(١) صالح بك القاسمى :

أصله مملوك مصطفى بك المعروف بالقرد ، ولما مات سيده تقلد الامارة عوضه ، وقد اشتهر ذكره ، وتقلد امارة الحج فى سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م وسار أحسن سيرة ، وقد التزم بالتزامات أسانذته واقطاعاتهم بالصعيد .

وقد أنشأ صالح بك دارا عظيمة بالقاهرة لم يكن لها نظير ، ولما نما أمر على بك ونفى زميله عبد الرحمن كتحدا الى السويس أرسله الى هناك يرفقه صالح بك القاسمى ، وأرسل خلفه فرمانا يتفقيه الى غزة ثم نقل منها الى رشيد ثم الى دمياط ومن هناك فر الى الصعيد الى حمى الشيخ همام وأقام بالنبيا وتحصن بها بمعونة همام ولما خرج على بك نفيا مع زملائه وذهب الى الصعيد انضم الى صالح بك بوساطة الشيخ همام ، وتقدم صالح بك مع على بك الى القاهرة واشترك معه فى تطهيرها من منافسيه ، ولكن ما أن تم الأمر لعلى بك حتى غدر بزميله صالح بك وقتله سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م .

وقد كان صالح بك أميرا جليلا ، لين الحريكة ، يميل الى الخير ويكره الظلم ولا يتطلع لما فى أيدي الناس .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣١٨ .

الفصل السادس

الصراع بين الشيخ همام وعلى بك

شخصية على بك الكبير - أسباب الصراع بينه
وبين همام - المواجهة بينهما - نهاية همام -
كيف أدار على بك الصعيد بعد وفاة همام
- أثر القضاء على سلطة همام في حياة
الصعيد .

الصراع بين الشيخ همام وعلى بك الكبير

لتحديد اسباب الصراع بين الشيخ همام وعلى بك الكبير ينبغي ان ندرس شخصية على بك وحركته وأهدافه منها .

ولد على بك سنة ١٧٢٨م / ١١٤١هـ ببلاد الأباظة من أعمال القوقاز العثماني حينئذ ، وكان والده داود أحد قساوسة الكنيسة اليونانية يأمل أن ينشئ ابنه يوسف تنشئة دينية ، ولكن القدر شاء غير ذلك ، فقد اختطف الابن بيد إحدى عصابات الطرق التي باعته الى كرد أحمد ، وهو من كبار تجار الرقيق ، فقصده به الى الاسكندرية حيث باعه الى مديري جمر كهـما الأخوين اليهوديين أسحق ويوسف اللذين قدماه هدية الى ابراهيم كـتخدا جاويش (الينكجـرى) تقربا اليه لأنه كان من أصحاب النفوذ في مصر .

وقد بدأت حياة على بك كما كانت تبدأ حياة غيره من المماليك بعد شرائهم فاعتنق الاسلام وسمى عليا ودرس تعاليم الدين الاسلامي ، ومبادئ القراءة والكتابة العربية والتركية ولما أبداه من ذكاء واردة وحزم تمتع بعطف استاذة الذي والاه بالترقية حتى وصل الى مركز خازن دار بيته ، وقد أخذ على نفسه بالتدريب الدائم على التمرينات البدنية ، وركوب الخيل ، واستعمال الاسلحة النارية فمهر في ذلك

مهارة فائقة اكسبته لقب الجن على ، اى النشيط الذى يغلب ولا يغلب (١) .

ولما توفي أستاذه ابراهيم جاويش سنة ١١٦٨ هـ / سنة ١٧٥٤ م تقلد الصنخية وبدأت شخصيته فى الظهور على مسرح الأحداث بالقاهرة ، وبدأ يسعى للحصول على منصب شيخ البلد أى الوصول الى زعامة الممالك جميعا والسيطرة على مقاليد الأمور فى مصر كلها .

وللوصول الى منصب شيخ البلد كان على بك أن يزيح من طريقه رضوان كتخدا الجلفى شريك استاذه ابراهيم كتخدا فى النفوذ والذى انفرد بعد وفاته بالنفوذ والسيطرة .

وكان من الطامعين فى مشيخة البلد أيضا عبد الرحمن كتخدا (٢) الذى تركه على بك يبدأ النزاع مع الامراء الآخرين حتى يمهدها الطريق ويخليه من المنافسين وفعلا ألب عبد الرحمن كتخدا ممالك ابراهيم كتخدا على رضوان الجلفى وأغراه به سنة ١١٦٩ هـ / ١٧٥٥ م حتى هاجموه وأطلقوا عليه الرصاص واضطروه للفرار الى الصعيد حيث توفي بأولاد يحيى (٣) بعد أيام من مهاجمته وفراره .

وانتهى بموته سلطان الجلفية أتباعه ، واستمر على بك فى إخفاء ما فى نفسه من تطلع لمنصب شيخ البلد وترك المتنافسين على ذلك

(١) محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ص ١٨ .

فولتى : ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام - ترجمة ادوارد البسانى بيروت ١٩٤٩

ج ١ ص ٨٠ .

(٢) عبد الرحمن كتخدا :

ابن حسن جاويش الغازوغلى أستاذ سليمان جاويش أستاذ ابراهيم كتخدا وكان من الانتكشارية وتقلد السردارية وحجج سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢ م وبقي بالحجاز حتى سنة ١١٦١ هـ / ١٢٤٨ م ثم عاد الى مصر وتولى كتخدا الوقت عامين وشرع فى بناء المساجد وعمل الخيرات وابطال المنكرات وبلغ عدد المساجد التى أنشأها وجردها ١٨ مسجدا خلاف الزوايا والأسبلة والمكاتب والأحواض والقناطر والربط للنساء الفقيرات ومن أهم المساجد التى بناها المشهد الحسينى والسيدة زينب ، وقد اشتهر بالجود ولقب بصاحب الخيرات والعمائر فى مصر والشام وود مهاد السبيل لعلى بك وأعانه على تولى مشيخة البلد ولكنه غدر به ونفاه الى الحجاز سنة ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م وبقي هناك حتى عاد الى مصر سنة ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م ، مات بعد أيام ودفن بالأزهر .

الجبرى : عجائب الآثار ج ٢ ص ٥ .

(٣) أولاد يحيى : قرية من قرى جرجا شرقى النيل كانت عامرة بالمساجد والنخيل

والضاييف ولأهلها كرم وشهامة . على مبارك المخطط ج ٩ ص ١٠٥ .

المنصب يسقط بعضهم بعضا ولم يستطع عبد الرحمن كتحدا أن يتقلد مشيخة البلد لانه برغم شهرته وفربه من نفوس الشعب لم يكن له من الأتباع والصناجق ما يوازى صناجق عثمان بك الجرجاوى (أول الصناجق الذين فلدهم ابراهيم كتحدا) والذي انتهى الأمر بتوليته مشيخة البلد فلم يحسن معاملة زملائه الذين نزعوه من الرياسة وتولى بعده حسين بك الصابونجى (١) أوائل سنة ١٧٥٧م/سنة ١١٧١هـ .

فاتبع سياسة أساسها تشتيت سمل الصناجق الابراهيمية (٢) الذين كان على رأسهم على بك فأصدر حسين بك أمرا بنفى على بك (٣) الى نوسا الغيط (من اعمال الدقهلية) ولكن خشداشينة تأمروا ضده واغتالوه سنة ١٧٥٧م/١١٧١هـ وتولى بعده على بك الغزاوى الذى سعى للقضاء على عبد الرحمن كتحدا مدبرا لذلك مؤامرة علم بها الأخير فعمل على اسقاطه من مشيخة البلد وانضم لذلك الى على بك الكبير وعقد معه أوامر الصداقة وبذل جهده حتى تمكن من جمع كلمة الأمراء على اختيار على بك شيخا للبلد فى أوائل عام ١٧٦٠م/١١٧٤هـ وظفر باقرار الباشا لذلك .

وهنا يحاول على بك بعد وصوله الى منصب شيخ البلد أن يحتفظ بهذا المنصب سبيله الى ذلك القضاء على من عساهم ينافسونه فيه وكان أهم هؤلاء ثلاثة :

عبد الرحمن كتحدا ، حسين بك كشكش ، صالح بك القاسمى حاكم جرجا .

وقد بدأ بعبد الرحمن كتحدا فاستصدر من الباشا أمرا بنفيه الى الحجاز سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م كما نفى الكثيرين من أنصاره .

(١) حسين بك الصابونجى :

من ماليك ابراهيم الصابونجى ، فر الى ابراهيم كتحدا فأواه ورباه ، تولى امانة الحج مرتين ١١٦٩هـ/١٧٥٥م والعام التالى له ثم توفى شيخا البلد ١١٧٨هـ/١٧٥٧م .

الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٦ .

(٢) بيت الابراهيمية : هو الحزب الذى كان ينتمى اليه ماليك ابراهيم كتحدا استاذ على بك الكبير .

(٣) الخشداش أو الخوشداش أو الخوجداش معرب اللفظ الفارسى خواجاتاش وهى الزميل فى الخدمة ، والخشداشية فى اصطلاح عصر الماليك بصر هم الأفراد الذين نشأوا عند استاذ واحد .

ثم اتجه على بك الى الايقاع بين حسين بك كشكش (١) وصالح بك القاسمي بتعيين الأول حاكما لجرجا ثم أصدر أمرا بنفى صالح بك الى رشيد ثم الى دمياط ولكن صالح بك لم يسند بل فر الى المنيا الى الصعيد موطن صديقه وحليفه الشيخ همام وجمع حوله (المنفيين) من فرقة القاسمية (٢) وتشتتهم سنة ١١٤٢هـ/ سنة ١٧٢٩م فلجأ الكيرون منهم الى الهوارة بالصعيد وفي عهد همام انضموا اليه وعملوا جنداً عنده ، وكانوا يلتفون حول الأمراء المماليك الفارين الى الصعيد ، ويخدمون في صفوفهم ، فلما فر صالح بك القاسمي (٣) الى المنيا لاجئاً الى حمى الشيخ همام فرارا من وجهه على بك تجمع القاسمية لتأييده ومساعدته .

وقد اهتم الشيخ همام بمساندة صديقه صالح بك ومساعدته مساعدة فعالة ، عملاً بما تقتضيه واجبات الصداقة من جهة وادراكاً لسوء نوايا على بك من جهة أخرى فلاشك أن مساعدة الشيخ همام لصالح بك كانت تحمل في ثناياها ادراكاً من همام لنزعة على بك وميله للقضاء على كل ذوى السلطان والنفوذ الذين يخشى منهم على نفوذه وسيادته ومن هؤلاء كان صالح بك الذي كان يستمد قوته من صداقته وارتباطه بالشيخ همام ، وقد أهد الشيخ همام صديقه صالح بك بكل ما يحتاج اليه من ذخيرة ومؤن ورجال لمقاومة الحملة التي وجهها اليه على بك بقيادة حسين بك كشكش .

وقد تمكن صالح بك بمعاونة الشيخ همام من قطع الاتصال بين الصعيد والقاهرة ، ومنع ارسال الغلال والأموال الأميرية .

وقد كان الشيخ همام يقف بكل قوته وراء صالح بك ، وبحسن سياسة الشيخ همام وبعد نظره فشلت حملة على بك ضد صالح بك ، فلا شك أن الشيخ همام بمساندته القوية لصالح بك نبهه الى حقيقتة

(١) حسين بك كشكش :

من ممالك ابراهيم كتحدا ثامر (أى ولى) فى حياة أستاذ وكان شجاعاً معادماً
اشتهر بالفروسية وخرج أميراً للحج أربع مرات دون أن يجرؤ العرب فى الطريق الى
الحجاز على التعرض له يل هابوه وخافوا منه وكانوا يخفون بذكره أطفالهم وكان ذا عزيمة
ماضية ونفس طموحة مما جعل على بك يخشاه ولا تهدأ نفسه الا بالقضاء عليه فسله بطناً
سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م .

الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣١٧ .

(٢) عن القنارية والقاسمية انظر ص ١٢٠ ، ١٢١ من الفصل الخامس .

(٣) عن ترجمة صالح بك انظر ص ١٢٩ من الفصل الخامس .

نوايا على بك ضده واهدافه من ارسال حملة اليه بقيادة زميله حسين بك بهدف ايقاع الشقاق بينهما .

وفعلا حدث عكس ما توقع على بك وسرعان ما اتفق صالح بك ، وحسين بك كشكش ضد على بك الذى سارع باصدار أمر بنفى حسين بك الذى لم يمثل للأمر وأسرع بدخول القاهرة عنوة فحاول على بك دس السم له فاكشف هذه الخديعة فاضطر على بك الى الهرب الى الشام سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م وسيطر حسين بك على القاهرة واستعاد صالح بك حكم ولاية جرجا ، ولكن على بك لم يلبث أن عاد من الشام ودخل القاهرة مظهرا الندم والتوبة فانخدع زملاؤه بمظهره وأعطوه حكم نوسا الغيط لابعاده عن القاهرة ولكنه ما أن وصل الى هناك حتى دبر مؤامرة للقضاء على زملائه الذين اكتشفوا هذه المؤامرة وفرروا نفيه هذه المرة الى أسيوط وكانت جزءا من ولاية جرجا التى يحكمها خصمه صالح بك .

هكذا وجد على بك نفسه مضطرا للجوء لأقوى منافسيه صالح بك - حليف شيخ العرب همام - للاستعانة به فى محاوله العودة الى القاهرة والقضاء على منافسيه بها ، وقد كانت أهمية صالح بك فى ذلك الوقت تأتى من محالفته وصداقته لشيخ مصر العليا وسيدها المطاع الشيخ همام الذى كان له النفوذ الفعلى فى الصعيد حينئذ ، فقد كان همام وقتها يسيطر على معظم اراضى الصعيد من المنيا الى أسوان ويملك ثروة هائلة وقوة عسكرية ضخمة وأسلحة وذخيرة هائلة . وقدر على بك بثاقب بصره أن فى تحالفه مع صالح بك ما يضمن له الحصول على قدر هائل من القوة التى يتمتع بها الشيخ همام والتى كان لا يضمن بتقدير الكثير منها لصديقه صالح بك .

ولكن صالح بك رفض كل محاولات على بك للصلح معه متائرا بما كان من سوء العلاقات بينهما ومحاولة على بك ابعاده الدائم عن القاهرة تارة بنفيه الى رشيد ، وتارة أخرى بنفيه الى دمياط .

ولجأ على بك الى الاتصال مباشرة بالشيخ همام عله يقنع صديقه وحليفه صالح بك بالتحالف معه ، وارسل اليه رسلا بذلك واستخدم الرسل فى ذلك كل سبل الخديعة والقول المعسول والوعود البراقة ملوحين للشيخ همام بعزم على بك تأييد سلطته ونفوذه من الصعيد لو تم له النصر وكذا تثبيت مركز صالح بك كحاكم لولاية جرجا فى ظل سيطرة همام ، واستمروا فى ذلك حتى قبل الشيخ همام أن يتم الاتفاق بينه وصالح بك من جهة وبين على بك من جهة أخرى .

ويبدو أن الشيخ همام لم يقبل مساندة على بك إلا أنه أدرك خفايا شخصية على بك ، وأنه يملك من العزيمة ما سيمكنه من هزيمة زملائه ، وإحراز السيطرة على مصر كلها ، ورأى همام في مساندة على بك ما قد يعود عليه ، وعلى صديقه صالح بك بالنفع لو تم النصر لعل بك وفاز بالسيادة ثانية .

وفعلا تم الاتفاق بينهم ، وقبل صالح بك الانضمام الى صفوف على بك الذى سر كثيرا بهذا الاتفاق الذى سيكفل له الحصول على أكبر قدر من الأموال والرجال والعتاد من الشيخ همام .

وقد وعدهم على بك بأنه اذا ما تم له النصر ثبت صالح بك فى حكم ولاية جرجا مدى الحياة (١) أى ثبت نفوذ همام وسلطته فى الصعيد مدى الحياة أيضا فصالح بك كان هو الحاكم لجرجا شكلا ولكن النفوذ الحقيقى فيها كان لشيخ العرب همام ، وبمساعدة صالح بك وبمعونة همام تقدم على بك فى طريقه الى القاهرة بجيش جرار حيث التقى بمنافسيه سُمالى بنى سويف فى جمادى سنة ١١٨١ هـ أكتوبر سنة ١٧٦٧ م. حيث دارت المعركة الفاصلة التى انتصر فيها على بك نصرا تاما ودخل القاهرة حيث ثبتت أقدامه هذه المرة فى امانة مصر ورياستها وحيث بدأ فى تنفيذ سياسته التى كانت ترمى الى :

(قتل المتمردين وقطع المعاندين وتشيت شمل المنافقين) (٢) وقد بدأها بالقضاء على حسين بك كشكش وزميله خليل بك سنة ١١٨٢ هـ سنة ١٧٦٨م ثم التفت الى صالح بك حليفه الذى ساندته فى صراعه الهام ضد منافسيه والذى كانت له بمساعدة صديقه همام اليد الطولى فى حصول على بك على نصره المؤزر على زملائه .

ولكن على بك فى سبيل التخنص من زملائه الذين يخشى من منافستهم له غدر بصالح بك بأن أغرى به بعض أتباعه فاغتالوه ليلا أثناء سيرهم معه قرب سويف عصفور ببولاق بعد خروجهم من اجتماع ضمهم وعلى بك فى منزله فى ١٨ ربيع الثانى سنة ١١٨٢ هـ / ١١ سبتمبر سنة ١٧٦٨م (٣) وبذلك تخلص على بك من آخر صنجق قوى كان يمكن أن ينافسه على مشيخة البلد ، ولعل من أهم الأسباب التى جعلت على بك يعجل بالقضاء على صالح بك خوفه من خطورة صالح بك لاستناده

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ٢٥٧ .

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٣٠٧ .

الى حليفه القوي المسيطر على الصعيد شيخ العرب همام ، ولكن على بك كان سريع الخطأ ، بعيد النظر فقضى على صالح بك قبل أن يترك له فرصة نتيج له القيام بأى عمل ضده .

وبذا استقرت الأمور لعل بك الذى غدا سيد مصر الفعلى ، وتطلعت نفسه الى الانفراد بشئون الحكم فى مصر كلها وكان لابد له لتثبيت مركزه من تعبيد الطريق ، ازالة ما به من عقبات كان أهمها كسب ثقة الباب العالى باطاعة أوامر السلطان والتقرب الى ممثله فى مصر واستصدار فرمانات من الباشا لتنفيذ ما يتخذ من قرارات ونجح على بك فى ذلك نجاحا تاما (١) .

وكان عليه أيضا أن يقضى على ما بقى من قوة الحامية العثمانية فى مصر ، فهى وان كانت قد ضعفت وأصبح معظم رجالها من أرباب الحرف ، الملتزمين (٢) ولم تعد هيئات قوية منظمة ، الا أنها كانت موجودة وللانفراد بالسلطة فى مصر كان على بك أن يقضى على كل قوة لها ، ولذا اتبع سياسة التخلص منها باهلاك رجالها فى الحروب الداخلية ومنع العناصر غير المرغوب فيها من بين ضباطها من التزام الأراضي ومصادرة أموال البارزين من قادتها أو اعدامهم .

وبعد أن أمن على بك جانب السلطان وقضى على المتمردين والمنافسين له من البكوات المماليك وبعد أن شل نفوذ الحامية العثمانية وركز السلطتين الادارية والحربية فى يده أصبح فى مركز يسمح له بالقضاء على آخر القوى الخطيرة التى يمكن أن تهدد سلطانه ونفوذه وهى :

القبائل العربية المنتشرة فى الوجهين البحرى والقبلى .

وقد أظهر على بك أنه بمحاولته القضاء على سلطة تلك القبائل انما يهدف الى اقرار الأمن الداخلى (٣) .

ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك فقد كان على بك يهدف من تحطيم سلطة القبائل العربية فى مصر الى دعم مركزه وفرض سيطرته الخاصة على مصر كلها .

ومحاولة على بك للقضاء على القبائل العربية فى الوجه البحرى قد تكون محاولة صادقة منه لاقرار الأمن فقد كثر عبث الحبايبية بشرق

(١) محمد رفعت رمضان : على بك. الكبير ص ٢٦ .

(٢) فولنى : ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام - ترجمة ادوارد البستاني ج ١

ص ١١٠ .

الدلتا وأصبحوا أخطر العرب الموجودين بالوجه البحرى وأكثرهم نفوذا وسيطرة وهم ينتسبون الى حبيب بن سعد أعظم مشايخ العرب قدرا بالقليوبية خاصة والوجه البحرى عامة .

وقد وفد الحبايية أصلا من الحجاز واستقروا فى سبطب بأسىوط ثم نزحوا الى الدلتا ، وكان ظهور جدهم حبيب فى أوائل القرن الثامن عشر وقد تولى رياستهم فى عهد على بك سويلم ابن حبيب الذى ورث عن أبيه حبيب وعن شقيقه سالم شهرة تردد صداها فى انحاء الوجه البحرى وقد انتهت الى سويلم زعامة جميع القبائل العربية هناك وهابه الجميع لجرأته وشدة بأسه .

وقد احيطت اعماله بهالة من الخيال حتى لقد (قوموه وفرسسه بألف خيال) .

وقد انتهت اليه خفارة (حراسة) الملاحة النيلية بين بولاق وكل من دهايط ورشيد ، غير أنه رغم ثروته الطائلة وضياعه الواسعة تجبر وطفى وأصبح لا يفترق فى شىء عن قطاع الطرق فزاول القرصنة النيلية وأعد مراكب خاصة لذلك تخرج الى النيل وعليها رجال غلاظ ومزودة بالسلاح فاذا مرت بهم سفينة صاعدة الى الوجه القبلى أو حادرة الى الوجه البحرى أوقفوها فان خضعت لهم اخذوا منها ما يشاءون وان عصتهم أو حاولت الهرب منهم تتبعوها وضيّقوا عليها الخناق حتى تقمع بين أيديهم وحينئذ يأخذون منها أضعاف ما كانوا سيأخذونه منها لو سلمت لهم من أول الأمر .

ورغم تكرر الشكاوى من سويلم فان حكام مصر لم يكونوا يحركون نحوه ساكنا فقد كانت هداياه الفخمة الدائمة لهم تلجم أسنتهم وكان له من امراء المماليك واتباعهم اصدقاء كثيرون يحمون ظهره .

وقد وصل نفوذ الحبايية اقصى اتساع له فى عهد على بك فقد أصبحت معظم بلاد القليوبية والشرقية تحت حماية سويلم بن حبيب وحماية أقاربه وأولاده وأصبح الملثمون فى تلك النواحي تحت رحمته يتدخل فى كل أعمالهم بالاضافة لتحكمه فى الطريق بين القاهرة وموانى القطر الشمالية .

وما كان على بك يسمح لتلك الفوضى بالبقاء فى عهده وما كان يستطيع أن يغمض عينيه عن خطورة سلطة ابن حبيب على نفوذه فى مصر ، لذا وجه اليه حملة بقيادة محمد بك أبى الذهب ، وأيوب بك للقضاء عليه

وفى رواية الجبرتي (١) ان على بك احتج فى ارسال تلك الحملة بما كان من اكرام ابن حبيب لمنافسه حسين بك كشكش وتستره عليه أثناء مطاردة على بك له .

وعندما وصلت الحملة الى دجوه - (قرية صغيرة بالقليوبية تقع على الضفة الشرقية لفرع دمياط) - لم يكن سويلم موجودا بها وعندما علم بحضورها أسرع الى البحيرة والتجأ الى عرب الهنادى ، فاكتمفى محمد بك بنهب دياره وأمواله وعاد الى القاهرة سنة ١١٨٢هـ / سنة ١٧٦٨م .

ولكن على بك لم يكتف بذلك بل جرد عليهم حملة أخرى بقيادة اسماعيل بك استطاعت هذه الحملة أن تهزم الحبايبية والهنادى أيضا فانكسروا شر كسرة ، وقضى على سويلم وأتباعه وزال خطر هذه القبائل العربية نهائيا ولم تقم لها قائمة بعد ذلك (٢) .

وبعد أن تخلص على بك من أخطر عرب الوجه البحرى اتجه للقضاء على عرب الهوارة بالصعيد واستخلاصه من أعظم مشايخ العرب قدرا ونفوذا واتباعا وهو شيخ العرب همام بن يوسف الهوارى .

وفى محاولة على بك القضاء على الشيخ همام ونفوذه بالصعيد تبدو رغبته فى دعم مركزه بالقضاء على كل ذى نفوذ يمكن أن يهدد نفوذه وسيطرته على مصر .

وترجع اسباب النزاع بين الشيخ همام وعلى بك الى سنوات بعيدة الى عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م حين تحدى همام الامير ابراهيم كتخد (جاويش) استاذ على بك وسيده ذلك التحدى والعداء الذى لم ينته الا بنهاية الشيخ همام وقد أشار الجبرتي الى هذا المعنى بقوله :

(وأما النفرة التى لم يندمل جرحها فهى دعوة برديس وفرشوط (٣) فقد رهن الشيخ همام لابراهيم جاويش ناحية برديس (٤) نظير اقتراضه منه مبلغ من المال بشرط أن يتصرف ابراهيم جاويش كيفما

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٠٨ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٤٥ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ١٨١ .

(٤) كان نظام رهن الأرض حاجة صاحبها الى المال نظاما جرى به العرف فى مصر العثمانية وعرف برهن الفاروق أى الرهن المؤقت الذى تعود فيه الأرض لصاحبها بعد تسديد المال الذى اقترضه عليها . وقد ذكر الجبرتي أمثلة كثيرة لرهن البكوات المالكين جزءا من أراضيهم منهم على بك الهندى الذى كان قد رهن بلدا لبك آخر - ج ١ ص ١٣٦ - وفى الترجمة للخواجى محمد الداده الشرايى ذكر عنه الجبرتي - ج ١ ص ٨٧ أنه كان يقترض المال لقاء رهن البلاد عنده .

يشاء فى ناحية برديس ان لم يسدد له الشيخ همام المبلغ الذى اقترضه منه
فى الوقت المحدد لسداده .

ولكن همام رفض تسديد هذا المبلغ فى اوانه وتكرر رفضه حتى
اضطر ابراهيم جاويش لان يشكوه لعثمان بك الفقارى صديق الهواره
وزعيم المماليك فى مصر حينئذ ولكن عثمان بك (١) أيد الشيخ همام
ورفض اجباره على تنفيذ الشروط التى اتفق عليها مع ابراهيم جاويش
الذى غضب لذلك أشد الغضب وتآمر ضد عثمان بك الذى خسر الموقف
وفر هاربا الى استانبول ، وفقد همام بخروج عثمان بك عن مصر أعظم
صديق له من بين الامراء المماليك الكبار ورغم ذلك فقد عجز ابراهيم
جاويش عن أن يستخلص ناحية برديس من الشيخ همام الذى كان قد
بدأ فى السيطرة على الصعيد والاستحواذ على أراضيه الواسعة .

جرى هذا الصراع بين الشيخ همام و ابراهيم جاويش على مرأى
ومسمع من على بك الذى كان تابعا لابراهيم جاويش وأحد مماليكه
المخلصين .

ولا بد أن موقف همام من ابراهيم جاويش أستأذ على بك قد ترك
اثرا سيئا فى نفس على بك ولا بد أن هذا التحدى من همام - لأحد كبار
الأمراء المماليك أصحاب النفوذ فى مصر حينئذ - قد نبه على بك الى
ما يتمتع به همام من قوة ونفوذ يخشى خطرهما على من تكون له
السيطرة على مصر .

ولعل على بك قد أسر فى نفسه حينئذ انه متى سيطر على مقاليد
الأمر لا بد وأن يقضى على الشيخ همام وعلى نفوذه فى الصعيد حتى
لا يتطلع الى فصله عن الوجه البحرى متحديا اياه كما تحدى أستأذه
من قبل .

ثم أدت الصداقة المتينة التى ربطت بين صالح بك القاسى - حاكم
جرجا ومنافس على بك - وبين الشيخ همام الى زيادة الشكوك فى نفس
على بك ضد همام وضد ما قد يحاوله من تحد له ولحكمه وسيطرته
على مصر .

وأدرك على بك بعد قضائه على صالح بك انه لا بد وأن يزيل من
الصعيد نفوذ همام وسيطرته الواسعة حتى لا يفكر همام فى القيام بعمل
ضده انتقاما منه لغيره بصديقه صالح بك ونقضه ما كان بينهما من
عهود وتحالف تم على يد همام وبرأيه ووساطته بينهما .

(١) عن ترجمة الامير عثمان بك - انظر ص ١٢٣ من الفصل الخامس .

وقد كان طبيعيا أن يستنكر الشيخ همام غدر على بك بصديقه وحليفه صالح بك ، وأن يظن إلى أنه لم يعد هناك مطلب لعل بك سوى القضاء عليه هو الآخر بعد أن قضى على جميع منافسيه وعلى القوى التي كانت تهدد نفوذه في مصر .

وقد سارع على بك ببدء النزاع ضد همام عقب التخلص من صالح بك فوجه على همام حملة بقيادة محمد بك أبى الذهب سارت إلى الصعيد في ١٥ رجب سنة ١١٨٢ هـ / ٢٦ نوفمبر سنة ١٧٦٨ م لفرض شروط على بك على الشيخ همام وهي الشروط التي كانت تقضى بأن يقصر الشيخ همام منطقة نفوذه وسيطرته على أراضي الصعيد ابتداء من برديس (قرية بجوار مدينة جرجا تقع بحرى فرشوط مقر همام) وهي القرية التي سبق النزاع بشأنها بين همام ، وإبراهيم جاويش أستاذ على بك .

أى أن تلك الشروط كانت تقضى بأن يقصر همام نفوذه على المنطقة التي كان يتركز فيها الهوارة في قنا وأسوان وليس على الصعيد كله .

وقد كان على بك وقتها في مركز يسمح له بتحصى شيخ الصعيد وأملاء أوامره عليه فقد أصبح على بك شيخا للبلد وسيد مصر الفعلي . وكانت الدلائل كلها تشير إلى أنه سيكون الحاكم المطلق لمصر كلها .

لذا أثر الشيخ همام الخروج من الجولة الأولى بدون اشتباك كان يدرك مقدما أنه سيخسره ، وقبل همام شروط على بك بتحديد منطقة نفوذه ابتداء من برديس ، وترك الأراضي الواقعة شمالها إلى المنيا - والتي كانت من قبل تحت سيطرة همام - لعل بك يتصرف فيها كما يشاء (١) .

ولا شك أن الشيخ همام قد قبل هذه الشروط بدون مقاومة وانسحب مؤقتا حتى يجد له منفذا آخر ولكن كلا من الطرفين لم يكن ينوى حقيقة تنفيذ هذا الاتفاق فقد بقيت تلك الأراضي في التزامات الشيخ همام (٢) وكان قبول همام للاتفاق ما هو الا تقدير منه لخطورة الموقف فقط. وقوة الخصم الذي يقف أمامه فآثر الانسحاب ريثما يعيد النظر في موقفه ولكي يغري محمد بك أبا الذهب بالعودة وربما ليستميله ويجعله يشئى على بك عن نية القضاء عليه تنازل له عن التزام ناجية برديس هدية منه له - أى بدون أن يقبض ثمنها لهذا التنازل بمناسبة مولود ولد لمحمد بك .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٠٨ .

(٢) دفاتر الالتزام بالقلمة : دفتر رقم ٥٣٢ لسنة ١١٨٢ هـ عين ٨ مخزن تركي .

وقد كانت تلك هي الجولة الأولى بين همام ، وعلى بك تلك الجولة التي أكدت لهمام أن :

على بك قد عقد العزم نهائيا على القضاء عليه وعلى سيطرته الواسعة على الصعيد .

٨ ولم ينخدع على بك بالانسحاب الهادئ الذي قدمه الشيخ همام يتنازله الظاهري عن أراضيه ، ولم ينس على بك أيضا الشكوك التي كانت ما تزال تؤرقه من ناحية الشيخ همام وما يربطه أي همام من صلات الود بالدولة العثمانية نفسها التي سمحت له بمدة نفوذه على أراضى الصعيد من المنيا الى أسوان بأذنها فقدم كان همام كما قدمنا يحصل على كل أراضيه بالالتزام بأذن الدولة ورضائها .

وعاد التحرش من جديد واستأنف على بك الصراع حتى لا يترك لهمام فرصة للتفكير أو العمل فأرسل اليه يطلب منه طرد الأمراء المماليك المعادين له والمقيمين بأراضيه عربونا لأقراره لشروط الاتفاق التي جرت بينه وبين محمد بك أبى الذهب .

وهنا تأكد لهمام بما لا يدع مجالا للشك رغبة على بك فى القضاء عليه وأنه لن يتركه يهتأ بما كان له من سيطرة ونفوذ فى الصعيد لذا قرر همام فى هذه المرة أن يقوم بعمل ايجابي لمقاومة محاولة على بك للقضاء عليه ، ولكنه لم يعلن عداؤه صراحة لعلى بك ولم يقاومه وجها لوجه بل لجأ الى الأمراء المماليك خصوم على بك والموجودين فى أراضيه مثل :

أتباع صالح بك القاسمى وباقي القاسمية وأتباع كثير من البيوت المملوكية التي قضى عليها على بك مثل بيوت :

الحشاب ، الفلاح ، الجلفية ، مناو ، السكرى ، أنباع كشكش بك .

وكان هؤلاء يمثلون عددا كبيرا من الأمراء والأنباع فنرضهم همام واتفق معهم على ان يتقدموا للاستيلاء على أسيوط وانتزاعها من أتباع على بك تمهيدا لتقدمهم الى القاهرة لاجلاء على بك عنها والقضاء على حكمه لمصر واسترجاع ما كان لهم من نفوذ وسطوة على أن تبقى له سيطرته على الصعيد ، ففعلا وافقه الأمراء على ذلك ، فاندفع همام بالرجال من كبار الهوارة ومن أهالى الصعيد فتكون لهم جيش كبير قدم له همام كل ما يحتاج اليه من أموال وذخائر ومؤن .

وانتهى الأمر باستيلاء الأمراء حلفاء همام على أسيوط ووصل الخبر الى على بك الذى كان قد أرسل حاكما جديدا لجرجا من خاصة صنাজقه وهو أيوب بك فى محرم سنة ١١٨٣هـ / مايو سنة ١٧٦٩ م وأمره بالتوجه الى جرجا لتولى منصبه ، وخرج أيوب الى الصعيد متوجها الى جرجا ومعه عدد كبير من الجنود والاتباع ، ولكنه وجد أن الصعيد فى قبضة همام وحلفائه ووجه أن سلطان على بك على مصر يتهدد بالخطر من شيخ الصعيد وحلفائه فأرسل يطلب مددا من على بك لمواجهة الموقف .

وقد أدرك على بك أهمية المعركة القادمة وأنه لتثبيت سيادته على مصر لا بد وأن ينتصر فى هذه المعركة ولا بد وأن يقضى قضاء نهائيا على الشيخ همام الذى أصبح منبعا للخطر الداهم يتهدد به نفوذه وبقاؤه فى الحكم .

لذا جهز على بك وبسرعة فائقة جيشا ضخما حشد فيه الى جانب جنده المماليك مجموعة كبيرة من رجال الفرق العسكرية كلها وعلى رأسهم اثنان من بكواته الذين يشق فيهم وهم :

خليل بك القاسمى وابراهيم بك .

وأرسل هذا الجيش بسرعة للانضمام لجيش أيوب بك حاكم جرجا لمحاربة همام وحلفائه .

وقد حشد على بك لهذه المعركة كل قواه فلم يكتف بما أرسله بل أرسل حملة ضخمة بقيادة قائده المظفر محمد بك أبى الذهب ومعه رضوان بك ومجموعة من الأمراء والصنাজق أتباع على بك وضمت هذه الحملة أعدادا ضخمة من :

المماليك والمرزقة من الدلاء والدروز والمتاولة والشوام .

وانضم الجميع الى جيش أيوب بك الذى كان معسكرا خارج أسيوط التى كانت ما زالت فى أيدي حلفاء همام .

وتقديرا من على بك لأهمية هذا الصراع وخطورة المعركة القادمة استمر فى ارسال الامدادات والذخائر المتوالية الى رجاله الذين أصبحوا يضمون جيشا ضخما مكونا من ثلاثة جيوش وهم جيش أيوب بك وجيش خليل بك وجيش محمد بك أبو الذهب الذى تزعم الجميع .

وأمام أسيوط دارت المعركة الحاسمة التى كتب النصر فيها لقوات على بك بعد قتال عنيف قتل فيه الكثيرون من أعداء على بك من الأمراء المماليك وفرت فلول المهزومين الى قرشوط مقر الشيخ همام .

وقد كان من العائبي أن ينتصر رجال على بك على حلفاء همام فقد كان رجاله يمثلون قوة الدولة وقد هيا لهم على بك الوسائل التي تضمن تفوقهم من تزويدهم بالأعداد الهائلة من الرجال والأموال والمؤن والأسلحة.

بينما كانت قوة همام أقل عددا وأضعف استعدادا لأن حلفاءه من المماليك لم يكونوا أكثر من جماعة من الأمراء اللاجئين إلى الصعيد بعد فقدهم كل قوتهم ونزواتهم التي جردهم منها على بك وما قدمه لهم الشيخ همام من رجال لم يكن لهم من المهارة الحربية ومن التدريب والتسليح وحسن الاستعداد ما يضمن لهم التغلب على الجند المماليك والطوائف العسكرية الأخرى التي كانت تتألف منها قوات على بك وبعد انتصار على بك الساحق على حلفاء همام ورجالهم في معركة أسيوط أمر قائده محمد بك أبي الذهب بالزحف فورا إلى فرشوط لمحاربة الشيخ همام والقضاء عليه .

وقبل أن يجهز همام مخرجا من هذا الموقف ، وقبل أن يتقدم رجاله لمواجهة جيش محمد بك لجأ محمد بك إلى سلاح العصر وهو سلاح الخيانة والخديعة فأغرى ابن عم همام الشيخ اسماعيل أبو عبد الله بخيانة همام وأخذه يستميله وأعدا آياه برئاسة الصعيد بدلا من همام إذا ما تقاعس عن القتال في صفوف همام ونشر فكرة التخاذل بين جنده (١) .

وبهذه الوعود البراقة استثار محمد بك جوانب الضعف الانساني والانانية الشخصية التي جعلت الشيخ اسماعيل يتخذ بحيلة أبي الذهب ويخون ابن عمه الشيخ همام ويتراجع عن القتال معه بل ويضم إلى صفوفه الكثيرين من رجال همام .

ويبدو أن الشيخ همام كان يعقد أهمية كبيرة على وجود ابن عمه هذا بين صفوفه ، لذا قصمت هذه الخيانة ظهره وفشت في عضده إذ أدرك أنه لن يبقى له شيء بعد أن خانتته عشيرته وتخلي عنه أقرب الناس إليه ، لهذا أدركه حزن قاتل واضطر إلى التقهقر وخرج من مسقط رأسه وموطنه وعاصمة نفوذه ومجده فرشوط ومات (مكموذا مقهورا قرب اسنا في قرية قمولة) (٢) .

في ٨ شعبان سنة ١١٨٣هـ / أول نوفمبر سنة ١٧٦٩م (٣) وكان في نحو الستين من عمره .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار - ج ١ ص ٣٣٦ .

(٢) قمولة (أو قمولا) قرية كبيرة تقع غربى النيل وتتبع مركز قوص وقد قسمت في سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م إلى ثلاث نواح وهي : البحرى قمولا والأوسط قمولا وهي الأصلية والقبلى قمولا وأصبحت كل ناحية منها قائمة بذاتها من ذلك التاريخ .

محمد رمزي : القاموس الجغرافى ج ٤ ص ١٨٣ .

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٤ .

وبوفاة همام انتهت حياة تلك الشخصية الفريدة فى عصرها وتقرر
النصر النهائي على بك الذى تخلص من آخر قوة كانت تؤرق مضجعه ،
وتقف عقبة فى سبيل فرض سيادته الخالصة على الصعيد فغدا على بك
يموت همام سيد مصر كلها وصاحب النفوذ المطلق فيها .

بعد خروج الشيخ همام من فرشوط دخلها محمد بك أبو الذهب
ورجاله ونهب ما بها من أموال همام وأخذ ما كان بدياره وديار أقاربه
وأتباعه من ذخائر وغلال ثم رجع الى القاهرة وبصحبته درويش أكبر أبناء
همام الذى قدمه الهوارة وأشاروا عليه بمقابلة محمد بك ففعل .

وقد نفرق الأمراء حلفاء همام بعد وفاته لفقدهم الأمل فى مقاومة
على بك فمنهم من ذهب الى درنه ومنهم من ذهب الى تركيا ومنهم من
ذهب الى الشام .

وأما درويش فبعد أن قابل محمد بك طلب منه أن يحصل له على
العفو من على بك فرحب محمد بك بذلك وأخذه معه الى القاهرة وأسكنه
بجوار منزله (١) ولعله قصد بذلك تحديد إقامته حتى تهدأ الأمور وبقي
الشيخ درويش بمصر فترة كان يقوم فيها بالتجول فى القاهرة لرؤية
معالمها وزيارة أوليائها والتنزه فيها وكان الناس يعدون خلفه لمشاهدته
والنظر اليه لجماله ووجاهته ولما سمعوه عن أخبار أبيه الشيخ همام .

وبشفاعة محمد بك منح على بك درويشا التزام أراضى فرشوط .

كيف ادار على بك الصعيد بعد وفاة همام

استولى على بك وقائده محمد أبو الذهب على معظم الالتزامات العامة
والتي كانت للشيخ همام من قبل وأصبح اسمهما هو الذى يرد أمام هذه
النواحى وسجلت دفاتر الالتزام اسمهما بدلا من اسم همام .

فى دفتر رقم ٥٣٩ لسنة ١١٨٤ هـ عين ٨ .

ورد أن على بك أخذ أراضى طهطا ، شندويل ، شرق بويط ، منشأة
أخميم ، وشرق أخميم ، برديس ، قنا ٠٠٠٠٠ شركة مع محمد بك أبى
الذهب .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٣٦ .

ونرك على بك لأبناء همام ، درويش وشاهين وعبد الكريم(١) أراضى
محدودة فى محافظة قنا .

ووزع باقى أراضى همام بين الأمراء المماليك مثل :

اسماعيل بك أمير الحج ، ومصطفى بك حاكم جرجا وأيوب بك ،
وقيطاس بك ، ومراد بك ، وإبراهيم بك ، ومجموعة أخرى من البكوات
المماليك .

ومجموعة من أقارب همام مثل :

الشيخ اسماعيل عبد الله عيسى .

إبراهيم عيسى أحمد همام (٢) .

صالحة زوجة همام ، وابنته شريفة (٣) .

وقد تولى درويش بن همام مشيخة الهوارة بعد وفاة والده وبعد
أن توسط له محمد بك أبو الذهب الذى على بك الذى وافق على عودته الى
فرشوط وأعطاه التزامها .

ولكن درويشا لم يحسن ادارتها وجعل كل همه مضايقة من كانوا
يعملون فى خدمة أبيه بمصادرة أموالهم وانتهى أمره بالفشل وعاد ثانية
الى القاهرة لاجئا الى محمد بك أبو الذهب الذى أحسن استقباله واکرمه
وأنزله بمنزل مجاور لمنزله أيضا .

ويبدو أن محمد بك كان يحسن معاملة الشيخ درويش لاكتسابه
ود الهوارة استعدادا للرحلة القادمة ضد سيده وولى نعمته على بك وهو
ما وقع فعلا فعندما تمرد محمد بك على سيده خرج الى الصعيد ولحق به
درويش بن همام وسأله الهوارة ضمه على بك .

وبتوزيع أراضى الصعيد بين ملتزمين من المماليك تعرض أبناءه
لأنواع عديدة من المظالم التى كان يتعرض لها الفلاحون من باقى أنحاء
مصر من نهب الأعراب وظلم الملتزمين وانقال كاهل الفلاحين بالضرائب
الجائرة .

(١) دفتر رقم ٥٣٥ لسنة ١١٨٣ عي ٨ مخزن تركى .

(٢) دفاتر التزام الولايات القبلية القلعة ، دفتر رقم ٥٣٩ لسنة ١١٨٤م عي ٨ -

مخزن تركى .

(٣) دفاتر التزام الولايات القبلية القلعة - دفتر رقم ٥٧٣ لسنة ١١٨٥ لسنة

١١٨٥م / ١٧٧١م عي ٩ مخزن تركى .

أثر القضاء على سلطة همام في حياة الصعيد

بعد القضاء على سيطرة همام على الصعيد واجهت أسرته متاعب كثيرة فقد قُتل ابنه درويش كما قدمنا في تولى رئاسة الهوارة لضعف شخصيته وسوء سياسته .

وأما ابنه الآخران شاهين وعبد الكريم فقد استمرا يشتغلان بالزراعة حتى قتل شاهين على يد مراد بك سنة ١٢١٤هـ (١٧٩٩م)
لأمر نقمها منه أيام الفرنسيين ومات عبد الكريم قريبا من هذا التاريخ .

ولما تولى إبراهيم بن محمد على حكم الصعيد ساء هذه الأسرة أقسى أنواع العذاب إذ جردها من كل ما بقى لها من التزامات وأوقاف سنة ١٢٢٣هـ / ١٨١٣م مما أدى الى تدهور حالتها ، ولجوء أفرادها وعلى رأسهم زوجة عبد الكريم بن همام الى القاهرة لرفع شكواهم الى محمد على عليه يرفق بهم ولكن محمد على تجاهلهم ولم يستمع لشكواهم فعادوا الى بلادهم فى أسوأ حال (١) .

وكان ذلك لحرص محمد على على القضاء على العصبية العربية وعلى كل ما كان لها من نفوذ .

وقد تابع الهوارة بعد همام التدخل فيما كان يجرى من أحداث سياسية بين أمراء المماليك ولكنهم فقدوا الأهمية التى كانت لهم فى عهد همام واستهان بهم أمراء المماليك وأصبح رؤساؤهم من المهانة بحيث يروحون ويحيثون فى ركب الأمراء المماليك المتنازعين مع زملائهم بالقاهرة واللاجئين الى الصعيد .

وفقد الهوارة ما كان لهم من مكانة يحترمها الجميع وغدا شيوخهم ينتقلون بين أطراف النزاع تارة ينضمون الى مراد بك وتارة ينضمون الى خصمه اسماعيل بك مما أدى الى استهانة مراد بك بشيوخهم اسماعيل أبو علي فأمر بقتله ومصادرة أمواله سنة ١١٩١هـ / ١٧٧٧م (٢) .

وبنهاية همام أصبح الصعيد ملجأ للأمراء المماليك الذين نفوا واحدا تلو الآخر وظل هدفهم دائما أن يعودوا ليحكموا القاهرة .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٤ ص ١٨٣ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٢ ص ١٥ .

فلما طرد على بك محمد آبا الذهب لجأ الى الصعيد (١) رجع حوله
الهوة والأمراء المنفيين واستغلهم فى تدعيم موقفه • وزجفه على القاهرة
للاقاة سيده على بك •

وبعد وفاة محمد بك وقيام الصراع بين أفراد بيته الذين انقسموا
الى فريقين :

١ - فريق يتزعمه حسن بك وإسماعيل بك •

٢ - فريق يتزعمه مراد بك وإبراهيم بك •

وسقط الفريق الأخير فى البداية فى الصراع فانسحب رئيساه الى
الصعيد سنة ١١٩١هـ / ١٧٧٥م واستمرا يعودان الى القاهرة ثم
بخرجان الى الصعيد حتى انتهى الأمر باستقرارهما بالصعيد من ١١٩٩هـ /
١٧٨٤ م : ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م (٢) وقد أذاق أهل الصعيد فى هذه
المدة سوء العذاب واقتلواهم بضرائب فادحة ففقد استولى مراد بك وزميله
إبراهيم على أرض الصعيد وأصبحا يأخذان الأموال الأميرية بدلا من الحكومة
ومنعا وصول الغلال الى القاهرة واشتطوا فى نهب أموال الفلاحين
وأبقارهم وأغناهم •

حتى أنه عندما عادا الى القاهرة صحبها معهما أشياء كثيرة من هذا
القبيل (٣) •

وقد أثرت سيطرة هؤلاء الأمرء على الصعيد أسوأ الأثر • فقد
فرضت أثناء هذه السيطرة على أهل الصعيد ضرائب لم يكونوا يخضعون
لها قبل مثل رسوم رفع المظالم وهى ضريبة أنشأها محمد بك أبو الذهب
وصرح للحكام بتقاضيتها بدلا من زياداتهم المستمرة لضرائب الكشوفية •

وتعرض أهالى الصعيد أيضا لدفع رسم جديد عرف باسم •

فرده التحرير •

(١) الحشاب : مخطوط تاريخ حوادث وقعت بمصر من ٧٧ •

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ج ٢ ص ١٩ •

(٣) الجبرتى : عجائب الآثار ج ٢ ص ٥٩ •

وهو رسم فرضه مراد بك وإبراهيم بك وهذه الرسوم كان أبناء
الصعيد معافين منها أيام همام (١) .

وأثناء منازعات هؤلاء الأمراء تعرض الصعيد لدلهجمات الأعراب
القاسية ينهبون المسافرين ويوقعون بهم أقسى أنواع الإهانة .

وبهذا لم يتسن للصعيد فى ظل حكم البكوات المنفيين بعد وفاة
الشيخ همام أن ينال على أيديهم أدنى تقدم وانتهت أيام الصعيد الزاهرة
التي نعم فيها فى عهد همام بالأمن والاستقرار .

(١) Estéve (M.R.) Memoire sur les Finances de l'Egypte ... in
description De L'Egypte Vol. 12, p. 61.

خاتمة

اختلفت نظرة المؤرخين والكتاب الى الشيخ همام وتاريخه وأعماله كل الاختلاف فالجبرتي (١) صور الشيخ همام كزعيم لقبيلة الهوارة بالصعيد واهتم بما كان عليه همام من كرم شمل القريب والبعيد ، وما كان له من ثراء طائل وان كان لم يعن بالبحث عن مصادر هذا الثراء ، وسجل الجبرتي ما كان من صراع بين علي بك والشيخ همام ولكنه لم يقدم لنا تحليلا وافيا لأسباب هذا الصراع .

ومن الكتاب من نسب الى الشيخ همام أعمالا رائدة فهو في نظرهم منشىء الجمهورية في الصعيد ، وهو الذى وزع الأراضى على الفلاحين ، وأقام حياة نيابية (٢) ومنهم من تحامل على همام ونفى انه أقام حكومة أو امارة في الصعيد (٣) وبينما أفاض بعض الرحالة الأجانب فى وصف ما كان عليه همام من تواضع وما كان يربطه من صلات طيبة بالدولة العثمانية وما كان له من حكومة واسعة فى الصعيد (٤) فان البعض الآخر حاول التقليل من شأن همام فوصفه بأنه أمير ضئيل الشأن (٥) .

ان همام كان شخصية مغايرة للشخصيات العربية التى ظهرت فى مصر العثمانية قبل أيامه ويعددها ، كان شخصية احاطتها حالات من التمجيد ، وذاع صيتها فى أنحاء الصعيد خاصة ، ومصر كلها عامة ،

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ج ١ ص ٣٤٣ .

(٢) د . لويس عوض : المؤثرات الأجنبية : ج ١ ص ٣ من المقدمة .

(٣) سليمان عبد الرحمن : لقب أمير الصعيد : البلاغ ١٥/١/١٩٣٤ .

(٤) Bruce : Travels to discover the source of the Nile Vol. 2, 23.

(٥) فولنى : ثلاثة أعوام فى مصر وبر الفال . ترجمة ادوار البستاني ح ١

ولم تكن شهرة همام وليدة أساليب البيان وسحر البلاغة ، كما لم تكن الهالات التي أحاطت بسيرته وليدة الخيال وانما هي شهرة ومجد استمدا وجودهما من الواقع الذي لا يخطئ .

لقد أحال الشيخ همام الصعيد من منبت للفتن ومسرح للصراع بين الأمراء المماليك المهزومين أمام زملائهم في القساهرة ومطاردتهم المنتصرين ، الى منطقة استقرار ورخاء وأمن وازدهار وبهذا وضع أساس مجده وخلد ذكره .

وقد ظهر همام في وقت كان الصعيد فيه في أمس الحاجة الى وجود رجل مثله ، يقر الأمن ، ويحمي الفلاحين من ظلم الادارة ومتاعب الأعراب من نهب وسلب وتهديد .

نشر همام العدالة بين أبناء الصعيد ولم يكن يفرق في المعاملة بين أبناء قبيلته من الهوارة وبين الفلاحين أو العرب الآخرين فالجميع أمامه سواء .

فاذا ما عجز أحد العاملين في أرضه من الهوارة عن تقديم الخراج المطلوب منه في موعده سامحه همام وأجل له السداد للعام القادم كما حدث . بالنسبة لحمد محمد حمد علام الهواري (١) الذي تأخر عليه للشيخ همام مبلغ ٢٠ شريف ذهب من خراج عام ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م .

وكذلك كان الأمر بالنسبة للشيخ محمد عيسى علم الدين القليعي (من العرب الآخرين) الذي تأخر عليه لهمام مقدار ١٣٣ (تليسا) من الغلال من خراج عام ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م (٢) .

وأحمد نوفل من فلاحى قنا الذي تأخر عنده لهمام مبلغ ١٨٧ ريالاً من خراج سنة ١١٦٥ هـ / ١٧٥١ (٢) .

لقد أجل همام السداد بالنسبة للجميع سواء أكانوا هوارة أو عرباً آخرين أو فلاحين فالجميع عنده سواء .

وقد اهتم الشيخ همام بتنظيم الزراعة في الصعيد وأدار الحياة فيه بنشاط جم ، وكفاية فائقة ، وكان هدف همام أن يخلق من الفوضى نظاماً

(١) هذا التأجيل وارد باقرار شخصي من علام الهواري للشيخ همام وهو من الحجج التي سلمها لى أحفاد همام .

(٢) هذا التأجيل وارد بحجة شرعية صادرة من محكمة فرشوط .

(٣) هذا التأجيل وارد أيضاً بحجة شرعية صادرة من محكمة فرشوط .

يمكنه من نشر الرخاء بين فلاحي الصعيد . لذا اهتم برعاية الأمن فيه ، كما عمل على خلق شخصية بارزة له تحميه من ظلم المالك واستغلالهم .

وقد ساعدت الظروف القائمة وقتها الشيخ همام على مدة نفوذه وسيطرته على الصعيد فقد كانت السلطة العثمانية في مصر قد وصلت الى أقصى مراحل تدهورها ، والأمراء المالك قد انغمسوا في المنازعات بينهم ، وحاكم ولاية جرجا لم يعد يهتم بالبقاء فيها ، بل أصبح يقضى معظم وقته بالقاهرة .

لذا مدة همام نفوذه وسيطرته على الصعيد ، وشمل كل نفوذ لحاكم ولاية جرجا وأصبح هو المسيطر على مقاليد الأمور فيه من المنيا الى أسوان .

وقد اتقن همام دوره ، وأخذ في تنفيذه مضجيا بكل ما يملك من جهده ومال ورجال ولم يكثر بما كان يبذله من تضحيات ، وما يلاقيه من جهل وعناء .

وقد وصل همام الى درجة كبيرة من القوة والسيطرة على الصعيد ، مما اضطر كبار الأمراء المالك للتنازل له عن أراضيهم التي كانت لهم فيه وأصبح هو المسيطر على معظم الأراضي هناك بالالتزام من المنيا الى أسوان وقد مكنته سلطته كملتزم لهذه الأراضي الواسعة من بسط نفوذه وسيطرته على الصعيد في وقت غدا فيه الملتزم هو كل شيء في منطقته ، فهو ممثل الحكومة ، ومدير الاقليم ماليا واداريا .

وبلغ همام من القوة والنفوذ حدا جعله يؤثر في تصعيد حدة الصراع بين كبار الأمراء المالك بالقاهرة وهو باق في مكانه في الصعيد ، لم يذهب الى القاهرة ولم ينتقل من معقله ومهد نفوذه كما حدث أثناء الصراع بين أكبر أميرين في مصر وهما الأمير عثمان ذو الفقار ، وإبراهيم بجاويش (١) .

وقد اتصف همام بحسن تقديره للمواقف فعندما أدرك أن المستقبل لعل بك ، وأن سيادة مصر ستكون بيده قدر أنه لا فائدة من الوقوف في وجهه فساعده وتحالف معه عن طريق صديقه صالح بك القاسمي ودعم هذا التحالف بامدادهما بكل ما يحتاجان اليه من أموال ورجال لازاحة منافسي على بك من القاهرة .

(١) الجبرتي : عجائب الآثار : ج ١ ص ١٧٨ .

كان همام رجلا عظيما وصاحب شخصية جديرة بالبحث والدراسة
ولو لم تتحالف عليه قوى أكبر من طاقته لكان له فى تاريخ الصعيد شأن
أعظم وأكبر مما كان له .

وقد كانت حركة همام آخر الحركات القوية التى قامت بها العصابات
القبلية فى مصر . فقد فضى محمد على كل قوة لهذه العصابات بتجريدتها
من أراضيها وأسباب قوتها (١) فلم يشهد الصعيد بعد همام أى حركة
لهذه العصابات .

وقد ازدهر الصعيد فى عهد الشيخ همام ونعم أهله بالأمن
والرخاء الأمر الذى جعلهم ييكون هماما بعد وفاته أمر بكاء ، ويترنمون
بأخباره ويتمنون عودته فى مواويلهم الشعبية التى تغنوا بها قائلين :
قم يا همام واسعى وروح سنار وازرع وقوت عيالك
فرشوط قادت عليك نثار والبنى عندى وجالك (٢)

وفى موضع آخر تغنى أهل الصعيد بعظمة همام قائلين :

هياك يا باب هياك بس ضبتك غيروها
تسعين أوضه وشباك فى تلا يلك كسروها (٣)
وما زال أهل الصعيد يحفظون أجمل الذكرى للشيخ همام ويرددون
أخباره ومآثره .

-
- (١) الجبوتى : عجائب الآثار : ج ٤ ص ١٨٥ .
(٢) فى هذا الموال يتمنى القائلون لو أن الشيخ همام كان قد تقهر امام حملة محمد
بك أبى الذهب وذهب الى سنار ، وأقام مزارع جديدة لاتباعه ثم يذكرون ما كان من
حسرة فرشوط - مسقط رأسه ومهد نفوذه - على همام عندما خرج منها وغادرها لأول مرة
على اثر مجيء (البى) أى محمد بك أبى الذهب .
(٣) هذا الموال يشير الى قصر همام بفرشوط وقد ذكر لى أخفاده أن هذا القصر كان
قصرا كبيرا به ٩٠ حجرة وهذا الموال يشير الى هذا القصر الذى لحق التدمير والتخريب
بحجراته التسعين وما كان بها من نوافذ بسبب حملة محمد بك أبى الذهب .

الملاحق

ملحق رقم (٢)

حجة رقم (١)

أول رجب سنة ١١٨٢ هـ

الأمر حسبها حرر فيه

ختم رب وفق أمور أحمد

نمقة الفقير اليه جل شأنه الحاج أحمد القاضي بمصر المحروسة
بالباب العالي أعلاه الله تعالى وشرفه بمصر المحروسة لدى سيدنا
ومولانا شيخ مشايخ الاسلام ملك العلماء الاعلام قاموس البلاغة ونبراس
الافهام الناظر في الأحكام الشرعية قاضى القضاة يومئذ بمصر المحمية
الموقع خطة الكريم أعلاه دام علاه أمين أشهد على نفسه قدره الأمراء
الكرام كبير الكبر الفخام صاحب القدر والمجد والاحتشام المقر الكريم
العالي والكوكب المنير المتلألئ وصاحب العلم المنيف الخاقاني مولانا
الأمير على بك أمير الحجاج المصرى سابقا وشيخ البلد حالا دام عزه أمين
يخط يده كل من قدره الأكابر وعمده الأعيان أولى الشأن الفخام
الجناب العالي حازر رتب المفاخر والمعالى مولانا الأمير عثمان أغا وكيل
دار السعادة العظمى بمصر حالا وقدوة الأعيان العظام عين أولى الشأن
الفخام الجناب العالي الأمير سليمان باش جاويش طائفة مستحفظان
قلعة مصر المحروسة سابقا دام مجدهم شهوده الأشهاد الشرعى وهو
يكامل الأوصاف المعتبرة شرعا اذ فرغ وترك وأسقط حقه لفخر ذوى
المحامد العظام المجلس العالي شيخ العرب همام بن المرحوم يوسف أحمد
همام شيخ عربان موارة بالوجه القبلى المشمول بوكالة مولانا الأمير
عثمان اغا (١) وكيل دار السعادل المومى اليه اعلاه الثابت تاكيله عنه
فى ذلك لدى مولانا شيخ الاسلام المومى اليه اعلاه بشهادة كل من تابع
الوكيل المومى اليه اعلاه هو قدوة الأمائل وعمدة الاعيان الجناب العالي
الأمير حسن اغا من اعيان امراء الانجاريشبة وفخر الكتاب المعتبرين عمدة
الحساب والمحربين نتيجة الاصلاح المفخمين القاضى سراج الدين عمر بن
المرحوم الشيخ أحمد الكاين هو بمنزل مولانا الأمير عثمان اغا المومى
اليه اعلاه ثبوتا شرعيا من التصرف والتحدث والالتزام والتقسيط
بجميع الحصة التى قدرها اثنان وعشرون قيراطا من أصل أربعة وعشرين.

(١) القراءة كما جاءت فى الأصل تماما ، ومن الملاحظ أن الاسلوب الذى كانت تكتب
به الحجج الشرعية جرى المقال الهمزات .

قيراطا شايما ذلك فى كامل اراضى ناحية بنى نصر وغيره تابع ولاية المنفلوطية المعلوم ذلك عندها شرعا والجارى كامل اراضى الناحية المسقط منها الاثنان وعشرون قيراطا المذكورة فى تصرف وتحدث والتزام وتقسيط مولانا الأمير على بك المسقط المشار اليه اعلاه يشهد له بذلك الانتقسيط الديوانى المكمل بالختم والعلامة والصح على العادة فى ذلك المركب على اسمه المتضمن لكامل ناحية بنى نصر المسقط منها الاثنان وعشرون قيراطا المذكورة المؤرخ فى ثالث شهر ذى القعدة الحرام سنة أحد وثمانين ومائة وألف ولمولانا الأمير على بك المسقط المومى اليه اعلاه ولاية فراغ ذلك وسقاطه عن نفسه بدلالة ما شرح اعلاه وبالتصاق على ذلك فراغا ونزولا واسقاطا شرعيا ثابتا ذلك خاليا عن رهن ووعد ووبا من غرة شهر توت القبطى افتتاح سنة اثنين وثمانين ومائة وألف الخراجية انعقد بينهما فى ذلك يوم تاريخه بايجاب وقبول شرعيين عن طيب وانشراح صدر لما علم السقط المومى اليه اعلاه لنفسه فى ذلك من الحظ والمصلحة باعترافه بذلك لشهوده ومن سمي اعلاه فى يوم تاريخه الاعتراف الشرعى وصدقه على ذلك مولانا الأمير عثمان اغا الوكيل المومى اليه اعلاه وقبل ذلك منه لوكله شيخ العرب الشيخ همام يوسف المسقط المومى اليه اعلاه تصديقا وقبولا شرعيين وذلك فى نظير ما قبضه مولانا الأمير على المسقط المشار اليه اعلاه لنفسه من مولانا الأمير عثمان اغا الوكيل المشار اليه اعلاه من مال موكله شيخ العرب الشيخ همام يوسف المومى اليه اعلاه عن حلوان ذلك وقدره من الاكياس المصرية الديوانية اثنى عشرة كل كيس منهم خمسة وعشرون ألف نصف فضة ديوانى ما يتاكيس اثنان وخمسون كيسا مصرية ديوانية قبضا شرعيا بتمام ذلك وكما له باعترافه بذلك لشهوده ومن سمي اعلاه فى يوم تاريخه الاعتراف الشرعى ولم يتاخر لمولانا المسقط المشار اليه اعلاه قبل الوكيل المومى اليه اعلاه ولا قبل شيخ العرب همام المسقط له المرقوم من كامل ذلك ولا من بعضه مطالبة ولا شى قل ولا لال وبمقتضى ذلك وبما شرح اعلاه صار الشيخ همام يوسف الموكل المسقط له المرقوم مستحق التصرف والتحدث والتقسيط والالتزام بجميع الحصة التى قدرها اثنان وعشرون قيراطا المسقط المرقومة من ناحية بنى نصر وغيره المذكورة من ابتداء السنة المذكورة بطريق البت الشرعى الخالى عن الرهن والوعد والوبا فى نظير مبلغ الحلوان المقبوض منه اعلاه دون مولانا الأمير على بك المسقط المومى اليه ودون كل احد الاستحقاق والتصرف الشرعى بالطريق الشرعى المشروح اعلاه وتصادقا على ذلك وثبت الأشهاد بذلك لدى مولانا شيخ الاسلام

المومى اليه بشهادة شهوده ثبوتاً شرعياً تاماً مرعياً وشهد وحرر فى غرة
شهر رجب الأصم الأحب من شهور سنة اثنين وثمانين ومائة وألف
خارجية .

شهود

امضاء امضاء امضاء امضاء امضاء امضاء

ملحق رقم (٣)

أمر رقم (١) من الشيخ همام لحسن الأمير
المحترم حسن الأمير

بعد السلام وعليه لم يخفاه ان حضر لنا على عبد الرحيم وعرفنا
ان له معاك حصة في بيتين وانت له معاه حصة في بيت طالب وتأخذ
مخصصك الذي عنده والمذكور طالب يأخذ مخصصه الذي في بيوتكم
وانك تندفع معاه للشرع والذي يقتضيه (١) الشرعى
تمشوا عليه .

الفقير همام يوسف



أمر رقم (٢)

القدر الأجل المحترم الشيخ أبو بكر أحمد

بعد السلام عليه وكثرة الأشواق اليه لم يخفاه قضيت الثلاثة
قراريط ونصف الذين اشتراهم غزالي الأمير ودفع لنا ثمنهم بالكامل فانه
عرفنا ان أحمد غريب وأبو فتحي حاجزين منه قطع من ضمن الثلاثة
قراريط ونصف وانك تعرضهم عليه ولم تعرفهم لم لك دعوة تمسك
لأنه دفع ثمنهم وبقوا اليه والغفارة (٢) من أصلها لنا وشركة مع
الأمير اسماعيل .

الفقير همام يوسف

(١) يباىء بالأصل ويرجع انه كانت مكتوبة به كلمة الحكم .
(٢) الغفارة : يرجع أنها الأرض التي كانت تقع بها الثلاثة قراريط ونصف المذكورة
بالأمر .

أمر رقم (٣)

الأجل المحترم محمد على اسماعيل

بعد السلام وعليه لم يخفاه ان الأمير اسماعيل محمد عرفنا ان قصده يبني قطعة بجوار شـمـوتة لأجل ما يسكن فيها واحد خفير والنعمانية عمالين يتعرضوا على الخرايب واذا تعرضوا تمنعهم وسابق كان كتبوا ورقة على الأمير اسماعيل ان لم يبني داخل بوابته وان ده كلام فارغ وان كان الأمر قبل حرم الجامع () (١) بعيد عن بنيانه .

الفقير همام يوسف

وعلى هامش الأمر كتب

وأما الجامع عارفينه ده بناء المرحوم الحاج على واهو الآن اتهد ولم جاعلين لهم همة في بنيانه والسلام .



General Organization of the Alexandria Library (GUAL)
Bibliotheca Alexandrina

أمر رقم (٤)

المحترم عبد الرحمن اسماعيل الأمير

بعد السلام وعليه لم يخفاه ان حضر لنا الحاج عمر وعرض علينا حجة الخريبات الأمير حسن بخمسين تليس غلال الثلث قمح والثلثاى قول من متحصل رزقهم وانه لسنة ١١٦٤ وانك تدفع لهم القدر المذكور فى كل سنة وتريحهم لأن ده استحقاق والدهم والسلام (٢) .

الفقير همام يوسف

(١) هذا البياض ناشئ من تمزق الأمر مما جعل من المتعذر قراءة ما بعد كلمة الجامع ويرجح أنه كان (الذى هو) .
(٢) جميع هذه الأمور مهبورة من الخلف بختم الشيخ همام بن يوسف بعبارة الفقير همام يوسف احمد محمد همام .

ملحق رقم (٤)

فئات المتزمين في ولاية جرجا قبل ظهور الشيخ همام بن يوسف

من دفاتر القلعة : دفتر رقم ٤٢ السنة ١١٢٠ هـ / سنة ١٧٠٨ م
عين ٣ مخزن تركي

مسلسل	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
١ -	أسيوط ، وريفة ودرنكه ، شطب	<p>١ ط ابراهيم عبد الله نسام</p> <p>١ ط محمد عبد الله مستحفظان</p> <p>١ ط علي عبد الله تابع محمد جليبي</p> <p>١ ط عمر تابع محمد جاويش</p> <p>٣ ط أحمد جليبي</p> <p>٦ ط يوسف عبد الله جاوشان</p> <p>٣ ط علي عزبسان</p> <p>١ ط أحمد تابع عثمان جليبي</p> <p>١ ط محمد عبد الله حسن تابع</p> <p>١ ط قيطاس بك</p>	<p>ماليك</p> <p>هواره</p>
٢ -	أبو تيج وصدفا ومشايه	<p>٢ ط شيخ العرب ريان حماد</p> <p>٨ ط في أبي تيج</p> <p>٤ ط في صدفا ومشايه</p> <p>٤ ط شيخ العرب حمد حماد</p> <p>٥ ط شيخ العرب علي حماد</p> <p>١ ط اسماعيل عبد الله تابع شيخ حمد</p>	<p>عرب</p> <p>اتباع ماليك</p>

مسلسل	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
٣ -	أبو مقروفة	شيخ العرب ريان عايد ط٨ أحمد نام مستحفظان ط٤ علي سليمان عبد الله تابع ط٨ أحمد جلببي ط٨ يوسف أحمد جلببي ط٤	ماليك
٤ -	نخيلة	ابراهيم عبد الله تابع حمد حماد ط٣ شيخ مصطفى أبو شنب ط٤ شيخ حسن نصر ط٢ شيخ محمد علي ط٢ شيخ أحمد عبد الله ط٤ شيخ نصر حماد ط٣ شيخ علي أحمد ط٣ أحمد يوسف تابع علي كتحدا ط٣	عرب تابع ماليك
٥ -	فاو الكبرى	شيخ حماد الخضري ط٣ شيخ عثمان الخضري ط٣ محمد بك مير لواء ط٤ اسماعيل عبد الله مستحفظان ط١٢ عثمان عبد الله مستحفظان ط٢	ماليك
٦ -	طهطا وتوايعها	حسين عبد الله مستحفظان ط٤ أمير أحمد كمال اخميمي ط٨ عمر تابع حسن مستحفظان ط١٢	ماليك عرب ماليك
٧ -	شندويل وتوايعها	شيخ عمر محمد ط٣ أمين حسن اخميمي ط٦ عنبر تابع شيخ أحمد يوسف ط٤ ¼ علي تابع شيخ أحمد يوسف ط٤ ¼ علي عبد الله مستحفظان ط٦	عرب هواره ماليك

سلسل	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
٨ -	شرق أخميم وتوابعها	محمد تابع شيخ حسن أمير حسن أخميمي	عرب ط١٢ ط١٢
٩ -	منشأة أخميم	أمير حسن أخميمي سليمان تابع شيخ حسين عمر تابع شيخ حسين أحمد عبد الله كوكللويان عثمان عبد الله محمد بك ميراللواء حاكم ولاية جرجا	ممالك ط٤ ط٤ ط٤ ط٤ ط٢ ط٦
١٠ -	طما وتوابعها	علي عبد الله مستحفظان حسن عبد الله مستحفظان علي عبد الله تابع حسن جاويش شيخ عمران ابراهيم شيخ علي محمد شيخ صالح قنديل شيخ حمد مكي	ممالك عرب ط٣ ط٣ ط٦ ط٢ ١/٢ ط٢ ط٢ ١/٢ ط٥
١١ -	خولجان	حاج أحمد محمد همام حسين أبو بكر رامح يوسف همام يوسف موسى يوسف أحمد يوسف	هواره ط١٢ ط٣ ط٣ ط٢ ١/٢ ط٢ ١/٢ ط١

مسلسل	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
١٢-	بخانس وقصير بخانس	شيخ العرب الحاج أحمد محمد همام ط١٢ جوهر عبد الله تابع حاج أحمد ط٤ سليمان عنبر تابع حاج أحمد ط٤ سيد عبد الله تابع حاج أحمد ط٤	هواره وأتباعهم
١٣-	عرب قصاص	أحمد ابراهيم ط٦ ابراهيم تابع أحمد محمد همام ط٦ حسن أحمد ط٦ موسى يوسف ط٦	هواره وأتباعهم
١٤-	الأقصر	مصطفى تابع أحمد يوسف ط٦ اسماعيل تابع أحمد يوسف ط٦ جوهر تابع أحمد يوسف ط٦ أحمد تابع عثمان يوسف ط٦	هواره وأتباعهم
١٥-	بياضية	حسن تابع يوسف أحمد ط١٢ مصطفى تابع يوسف أحمد ط١٢	أتباع هواره
١٦-	برديس والبلينا	عبد الله تابع أحمد يوسف ط٤ ابراهيم عبد الله مستحفظان ط٤ اسماعيل عبد الله مستحفظان ط٤ سليمان عبد الله تابع أحمد ط٤ مستحفظان ط٤ سليمان عبد الله تابع حسن كتنخدا ط٤ سليمان عبد الله تابع مراد كتنخدا ط٤	هواره أتباع الماليك

مسلسل	المقاطعة	الملتزمون لها ونصيب كل منهم	نوعهم
١٧-	فرسوط وتوابعها	شيخ يوسف أحمد همام ط٤ شيخ محمد يوسف ط٤ شيخ محمد أحمد ط٤ شيخ أحمد عبد الله ط٤ شيخ عبد الله إبراهيم ط٤ شيخ حسين أبو بكر ط٤	هواره
١٨-	هو وبهجورة والكوم الأحمر وتوابعها	شيخ يوسف أحمد ط٤ شيخ علي عبد الله ط٤ شيخ حسين أبو بكر ط٤ شيخ محمد يوسف ط٣ شيخ عيسى أحمد ط٢ شيخ عبد الله إبراهيم ط٢ شيخ أحمد محمد همام ط٥	هواره
١٩-	حراجية	مصطفى تابع شيخ أحمد يوسف ط٦ حاج حمد محمد همام ط١٢ جوهر تابع شيخ أحمد يوسف ط٦	هواره وأتباعهم
٢٠-	قنا	عثمان تابع شيخ أحمد يوسف ط٦ حسن تابع شيخ عثمان يوسف ط٦ حاج أحمد محمد همام ط١٢	هواره
٢١-	قوص	حاج أحمد محمد همام ط١٢ شيخ رامي يوسف ط٣ شيخ حسين أبو بكر ط٣ عثمان تابع شيخ أحمد يوسف ط٦	هواره

ملحق رقم (٥)

صورة لزحف الشيخ همام على أراضى الصعيد من سنة ١١٣٤ هـ
الى سنة ١١٨٣ هـ من دفاتر الالتزام بالقلعة :

السنة	الأراضى التى أخذها همام بالالتزام
١١٣٤ هـ / ١٧٢١ م	فرشوط وعربان عرور وغضانة وأولاد سحيم وكوم شيخية بحق ٣ ط
١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م	هو وبهجورة والكوم الأحمر وتوابعها بحق ٣ ط قنا وبندر قصير ٦ ط ، بخانس ١٢ ط يضاف الى ما سبق :
١١٣٩ هـ / ١٧٢٦ م	سنابسة ٤ ط ، أبنوب ٨ ط ، كوم بدار ٩ ط + دشنا ٦ ط ، أرض المنقذية ١٢ ط ، أرض دنفيق بندوره ١٢ ط +
١١٤٢ هـ / ١٧٢٩ م	بلصفورة ٥ ط ، نفس أخميم ٢ ط +
١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م	طهطا ١٢ ط ، اسنا وتوابعها ١٢ ط ، جرف أبو عميرة ٨ ط ، شرق المرج البحرى ١٢ ط ، خلجان وسمهود ٤ ط الأقصر ١٢ ط +
١١٤٦ هـ / ١٧٣٣ م	ادفا وبني مزار ١٢ ط ، قرأى وريفة بأسيوط ١٢ ط العنبرية ٨ ط ، بلصفورة ٦ ط

السنة	الأراضي التي أخذها همام بالالتزام
١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م	<p>أولا شلول ٦ ط ، طوخ النقادة ١٢ ط برديس ١٢ ط</p>
١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م	<p>شرق المرج القبلي ١٢ ط ، الخيام أولاد طوق ١٢ ط</p>
١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م	<p>ادفا وبني مزار ١٢ ط ، القبيلة والبنارس ٨ ط قنا وتوابعها ١٢ ، فرشوط ٢١ ط ، جلاجيص ١٢ ط</p>
١١٦٣ هـ / ١٧٤٩ م	<p>قراي وريفة ٨ ط ، خلجان وسمهود ٨ ط</p>
	<p>خلجان وسمهود ١٢ ط ، بلصفورة ٦ ط</p>
	<p>شرق المرج القبلي ١٢ ط ، شرق المرج البحري ١٢ ط</p>
	<p>بني وركان (بالمينا) ١٢ ط ، بياضية ١٢ ط نقادة ١٢ ط ، الجرازة ١٢ ط ، عرب قصاص ١٢ ط</p>
	<p>قوص ١٦ ط ، بخانس ١٢ ط ، جراجوس ١٨ ط</p>
	<p>الحراجية ٢٤ ط ، خارفة ١٠ ط ، أولاد مامن ٣ ط</p>
	<p>بلاص ٢٢ ط ، أولاد جامع ١٨ ط ، الحمائية ١٢ ط</p>

السنة	الأراضي التي أخذها همام بالالتزام
١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م	أبو البدرى ١٢ ط ، رزقة أولاد العربى ١٦ ط ، طين وقف برسباى ١٨ ط ، أولاد جاد الغربى ١٢ ط ، شرق أخميم وتوابعها ٤ ط ، فاوجل ٨ ط ، رزقة أولاد الششيخ ٦ ط ، الشغب ٨ ط ، الباسكبة ١٢ ط ، الحرجة ١٢ ط ، ببيج القهرمون ١٢ ط ، الشيشية ١٨ ط +
١١٦٨ هـ / ١٧٥٤ م	طوخ الجبل ٨ ط ، جرف سقلته ٦ ط ، نخيلة ٤ ط +
١١٦٩ هـ / ١٧٥٥ م	العسيرات ١٢ ط ، عربان الحراكين ١٢ ط ، اعراب الساحل ١٢ ط ، كفر همام ٨ ط ، المساعيد ١٢ ط أولاد بهيج ١٢ ط ، أولاد حمد ١٢ ط أولاد عادى ١٢ ط ، قضائه الكبرى والصغرى ١٨ ط +
١١٧٠ هـ / ١٧٥٦ م	برديس ١٢ ط ، هو وبهجورة والكوم الأحمر ١٢ ط عرب قصاص ١٢ ط ، قوص ٨ ط ، قنا وتوابعها ١٢ ط ، بياضية ١٢ ط ، طهطا ١٠ ط ، بنى وركان ١٢ ط ، القبيبة والبنارس ١٤ ط ، طما ١٢ ط جزيرة عطا ١٢ ط ، شغب ١٦ ط ، جرف سقلته ٤ ط أولاد جاد الغربى ٥ ط أولاد جاد الشرقى ١٣ ط أولاد شلول ٦ ط ، ولاد طوق ١٢ ط ، أولاد مامن ٣ ط ، دشنا ١٦ ط ، رزقة المسافة ٦ ط ،

السنة	الأراضي التي أخذها همام بالتزام
	<p>قبالة الخميس ١٨ ط ، فادجلى ١٦ ط ، رزقة البوصة ١٨ ط رزقة الشيخ على ١٢ ط ، وقف الجيعانية ٨ ط ، جلاجيص ٦ ط ، طين زعيفة ومجنونة ١٥ ط ، نصيرية وصعايدة (بأسوان) ١٨ ط ، كفر الحمايدية ١٢ ط ، ادفوا ٢ ط</p> <p>+</p> <p>١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م شرق بويط (بأسويط) ١٢ ط ، طبا ١٢ ط طهطا ٢ ط</p> <p>+</p> <p>١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م منشأة أخميم ١٨ ط</p> <p>+</p> <p>١١٨١ هـ / ١٧٦٧ م نفس أخميم ٢ ط ، شرق أخميم ١ ط</p> <p>+</p> <p>١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م بنى نصر بمنفلوط ٢٢ ط</p> <p>١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م كان لهما التزم جميع أراضي السنوات السابقة .</p>

ملحوظة :

- أوردت السنوات التي حدث فيها تغير في التزامات همام فقط .
- + - تعنى اضافة أرض العام الجديد الى الأرض التي كانت لهما في الأعوام السابقة .

ملحق رقم (٦)

تقسيم رقم (١)

ختم بمحمد يرجو الأمان محمد فما يخاف وفي نوالك رغب

مقاطعة

حماية قرية سراجية تابع قوصية ١٢ ط تابع ولاية جرجا در عهدة شيخ العرب همام يوسف بقدر ١٢ قراط وجه التزام قيد شدة أول توت الواقع في ٥ ذى القعدة سنة ١١٦٠ من اسم اسماعيل عبد الله تابع محمد أحمد مستحفظان خربوطلى ملتزم بوجه ١٢ ط يضم قرأى مذكور كبيرة وقيد شدة بموجب بيورلدى شريف حضرة وزير ضمير روش محمد راغب باشا محافظ مصر آدام الله اجلاله الواقع في ١١ جمادى الأولى سنة ١١٦١ .

في سنة

١٥٠ قديم

٠٠٦ جديد

١٥٦

الشرط الأخير من التقسيط هو النصيحة التقليدية التى يوجهها الباشا عادة للملتزمين وتعريبها .

انت أيها الملتزم المذكور ، انه بموجب هذا التقسيط الديوانى المعطى لك قد أصبحت القرية المذكورة فى التزامك بحق ١٢ ط من مصلحة المذكور فبناء عليه تصرف فيها وعليك ان تؤدى المال الميرى المفروض عليك فى وقته مع التحرز من الظلم والتعدى .

توقيع

الدفتردار

محمد مصطفى

ملحق رقم (٧)

حجة رقم (٢) ١٠ رجب سنة ١١٥٦ هـ

المنسوب الى فيه صحيح الفقير عيسى أحمد همام ختم الفقير عيسى أحمد همام .

الحمد لله رب العالمين مانمقه وشرح فيه صدره الفقير على عثمان عقيق الدين القرشي المولى بفرشوط حالا عفى الله عنه .

سبب تحرير الحروف وباعت تسطيرها بين يدي الحاكم الشرعي الراقم خطه ومهره باسم الكريمين منه أعلاه نزل وفرغ وتخلي وأسقط حقه حضرة الجنب العالي الصدر الأجل المحترم شيخ العرب الشيخ عيسى الراضع اسمه وختمه فيه ابن شيخ العرب الحاج أحمد محمد همام لحضرة الجنب العالي الصدر الأجل المحترم شيخ العرب الشيخ همام يوسف أحمد محمد همام الجدة المشار اليه المسقط الجارى ذلك فى تحدث وتصرف والتزام وتقسيط الشيخ عيسى المشار اليه البعض بموجب تقسط ديوانى والبعض آل اليه بالفراغ والاسقاط سنه تاريخه من الأمير ابراهيم جاويش مستحفظان قازوغلى بموجب حجة من هذه المحكمة مشمولة بعلامة الحاكم الشرعى المشار اليه وله ولاية اسقاط ذلك وذلك عن جميع الحصص التى قدرها النصف اثنتى عشر قيراطا شايعا من أصل أربعة وعشرين قيراطا على ناحيتى سمهود والخلجان تابع ولاية جرجا وذلك فى غرة توت القبطى سنة ١١٥٦ وستة وخمسين ومائة وألف وما بعدها من السنين نزولا وفراغا واسقاطا تبأ وذلك فى نظير مبلغ الحلوان عن ذلك قدره من الآكياس للديوانية وثلاثة عشر كيسا ونصف كيس عبوة كل كيس منها خمسة وعشرين ألف نصف فضة ديوانى بحساب الشريف الغندقى مائة وستة وأربعين نصف فضة واعترف الشيخ عيسى المسقط المشار اليه بوصول ذلك اليه من الشيخ همام المسقط له المشار اليه بتمام ذلك وكماله بالاعتراف وبالتصادق على ذلك بموجب ذلك صارت ناحيتى سمهود والخلجان بالكامل فى تصرف وتحدث والتزام وتقسيط الشيخ همام المشار اليه من ابتداء سنة تاريخه وما بعدها من السنين النصف له أصلا والنصف الآيل اليه بالفراغ من عمه الشيخ عيسى المشار اليه واذنه اليه الشيخ عيسى فى وضع يده وتعاطى الناحيتين مال وغلل فى سنة تاريخه وما بعدها من السنين وإن يقوم بما عليها لجانب الديوان وأن تقسيطه ذلك باسمه واسم من يختار على العادة وحرر فى عاشر شهر رجب سنة ١١٥٦ ستة وخمسين ومائة وألف .

شهد بذلك
ابراهيم عثمان

شهد بذلك
محمد على

الحمد لله المير

بسم الله الرحمن الرحيم وعرفنا ان له ما ك حصه
في بيتين وانت لك ما ك حصه في بيت
وطالب اخذ منك الدرعه والمكثور
طالب باخذ حصه الدرعه في بيتكم
وانك تزدع ما ك النسخ والذي يقتضه
منه المير محمد علي

الشيخ
طاهر
يوسف

الحمد لله المخلص المخلص المخلص المخلص
لقد سمعنا بحمدك ولتكن المشرق لكبه كجاء قضيت
الله في قراريها ونقصه الذي استلزم غمنا الى انوار
مذمومنا منتمى باليلى فانه عكفنا اه قد عكف
وابو فعمل حاجتنا من قطع من عند الله في
ولقد وانك تحفر على يدك ونفوسهم المكون
نعم انه دمع منى ونسفو اليه (المقام)
ما اهلنا الى وشك له مع المبرر انما كنا دعوتهم
وهو انه ودينا

الوقت
ب

رأى رفسم (٤)

الحمد لله الذي جعل في
بطنه من دونه ما لا يحصى
التي هي من دونه ما لا يحصى
التي هي من دونه ما لا يحصى
والتي هي من دونه ما لا يحصى
والتي هي من دونه ما لا يحصى
والتي هي من دونه ما لا يحصى
والتي هي من دونه ما لا يحصى

(۱)

(تقسیط و قسم (۱)

بسم الله الرحمن الرحیم
 این سند منقول از دفتر اسناد رسمی
 شماره ۱۵۰۰ مورخه ۱۳۰۵/۰۵/۰۵
 و در آنجا ثبت گردیده است
 و این سند در تاریخ ۱۳۰۵/۰۵/۰۵
 در دفتر اسناد رسمی شماره ۱۵۰۰
 ثبت گردیده است
 ۱۵۰۰
 ۱۵۰۰

بسم الله الرحمن الرحیم
 این سند منقول از دفتر اسناد رسمی
 شماره ۱۵۰۰ مورخه ۱۳۰۵/۰۵/۰۵
 و در آنجا ثبت گردیده است
 و این سند در تاریخ ۱۳۰۵/۰۵/۰۵
 در دفتر اسناد رسمی شماره ۱۵۰۰
 ثبت گردیده است
 ۱۵۰۰
 ۱۵۰۰



المراجع

- (أ) وثائق غير منشورة .
- (ب) وثائق منشورة .
- (ج) مخطوطات .
- (د) مراجع عربية .
- (هـ) مراجع أجنبية .

(أ) وثائق غير منشورة

وثائق دار المحفوظات بالقلعة بالقاهرة :
وأهم الوثائق التى درستها فيها وأفادتني فى البحث :
دفاتر التزامات الولايات البحرية والقبلية :
وهى ...

دفاتر خاصة بالالتزام الزراعى فقط وعددها حوالى ١٥٠٠ سجل
تبدأ من سنة ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م الى سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م وهى
السنة التى بدأ فيها محمد على الغاء نظام الالتزام .

وقد تركزت دراستى على ...
دفاتر التزام الولايات القبلية :
وهى نوعان :

(أ) دفاتر من الحجم الكبير :

وهى سنوية وخاصة ببيان مقاطعات كل ولاية وتقسيمها بين
ملتزميها والمال المطلوب من كل منهم أى انها :

دفاتر حسابات خراج أى المطلوب من الملتزمين .. ولكل سنة
دفترها الخاص الذى يحوى حسابات الجهات التابعة لقلم ضرائب واحد ..

فولاية جرجا والفيوم والبهنساوية وأشمونين وابريم كانت حساباتها
تدون فى دفتر واحد لتبعيتها لقلم ضرائب واحد وهو قلم شهر ..

ويرد غالبا في أول هذا النوع من الدفاتر صورا للبيورلدات التي يصدرها الباشا بموافقته على انتقال الالتزامات من شخص لآخر أو موافقته على منح التزامات أراضى جديدة .

وأصول هذه البيورلدات (الأوامر) كانت تحفظ لدى الملتزمين أنفسهم كما تقرر الدفاتر . . وهذه البيورلدات مكتوبة بالتركية بحروف عربية وبعضها دون باللغة العربية فقط ، ويوضح بها اسم الروزنامجى والوالى في هذه السنة .

وفي آخر هذه الدفاتر . .

كانت تثبت الزيادات الجديدة في الضرائب على المقاطعات .

وبالنسبة لدفاتر ولاية جرجا :

كان يرد في أولها حساب المال المطلوب من قلم شهر كله ثم حساب كل مقاطعة بالتفصيل والجملة وتقسيم مواعيد السداد ثلث أول ، ثانى ، ثالث والمطلوب في كل منها . . كما يرد بها أيضا :

تقسم المال الميرى المطلوب من كل ولاية أى المخصص منه للخرينة والمخصص لحاكم الولاية ، مصاريف الولاية نفسها .

ما يستفاد من الدفاتر الكبيرة :

منها يمكن تتبع الزيادة في الضرائب على الأرض وكيف تطورت . . . ودور الدولة بالنسبة لانتقال الالتزام من شخص لآخر (وقد ثبت لى أن الشيخ همام كان يحصل على التزاماته بأمر الدولة وبرضاها . ومن الدفاتر الكبيرة أيضا يمكن معرفة الضرائب المقررة على كل ولاية وكل ملتزم .

النوع الثانى من دفاتر الالتزام

دفاتر صغيرة

وهي دفاتر تحصيل للمال الميرى في مواعيد سداده سواء أكان ثلث أول / أو ثان / أو ثالث ، صيفى ، أو شتوى فهي دفاتر تنفيذ فعلى .

ففى موعد كل سداد كان أفندية الروزنامة يثبتون في هذه الدفاتر :

أسماء الملتزمين نواحى التزامهم والمال الذى سدده كل منهم :

ولهذا النوع من الدفاتر صودتان

- (أ) دفاتر اثبات للمال الذى تم تحصيله من الملتزمين .
- (ب) دفاتر تحصيل للبواقي أى الأموال المتخلفة لدى الملتزمين قد تتراكم البواقي لمدة عشر سنوات .

تفيد هذه الدفاتر فى معرفة فئات الملتزمين

وهى أدق فى معرفة مالكو الالتزامات الجدد وعمن أخذوها أكثر من الدفاتر الكبيرة التى كانت تورده المال المطلوب أحيانا باسم الملتزم القديم بينما يكون ملتزم جديد قد حل فى الأرض بدلا من القديم وأصبح هو الذى يقوم بالتسديد فعلا كما توضح الدفاتر الصغيرة .

ومن الدفاتر الصغيرة نوع اسمه

(أ) دفاتر قيودات تقاسيطة وتحاويل تقاسيطة (فراغة) وهذه كانت ترد بها التقاسيطة (سندات التمكين) الجديده التى منحتها الدولة للملتزمين . . . التقاسيطة التى حصل عليها ملتزمون جدد بناء على فراغ للملتزمين آخرين ويتم ذلك بموافقة الباشا ومن الدفاتر الصغيرة أيضا .

(ب) دفاتر تربيعة (مساحة) للولايات : وهذه يذكر منها أقسام الولايات . . وعددها وقرى كل قسم وحدودها ومساحتها والأرض الصالحة للزراعة فيها . . ومنها أيضا دفاتر :

(ج) أصول عوايدات تقاسيطة : أى دفاتر أصول عوايد (ضرائب) المقاطعات وبها ترد . . مقاطعات كل ولاية والمال المطلوب منها القديم والمستجد .

ومن هذه الدفاتر يمكن . . تحديد عدد مقاطعات كل ولاية ، والمال المطلوب منها . . والانواع الثلاثة الأخيرة توجد بأعداد محدودة بدار المحفوظات فكثير من السنوات ليس لها دفاتر من هذه الانواع . . من الوثائق الأخرى التى اطلعت عليها فى دار المحفوظات .

دفاتر الرزق :

وهذه الدفاتر ترجع الى العصر المملوكى وتستمر فى العصر العثمانى أيضا وترد بكل دفتر أسماء قرى الولاية الموجود بها رزق .

وقد يرد بهذه الدفاتر أحيانا حجج شرعية باثبات انتقال الرزق من شخص لآخر . . ، والرزق مفردها رزقة .

وهى أرض معفاة من الضرائب وملك حر لأربابها بغير شرط ولا قيد اذ هى من بقايا الاقطاعات والارصادات التى كان السلاطين قد انعموا بها على بعض المقربين اليهم ومنحوهم حقوق التصرف المطلق فيها بمقتضى تقاسيط وعقود تمليك أعطيت لهم من مصلحة الروزنامة بنص صريح فيها على أن تكون رزقه بلا مال الى مشاء الله تعالى . . وهم بناء على ذلك أوقفوا ما أوقفوه منها على المساجد وغيرها من الأماكن الخيرية .

ودفاتر الالتزام الزراعى الموجودة بدار المحفوظات كتبت كلها بخط القرمة . الذى يشبه الخط العربى ولكن تستخدم به كثير من الرموز السرية وتستعمل فيه رسوم لا حصر لها فى اتصال حرفين وثلاثة . . وفك رموز هذا الخط هى أهم مشكلة تواجه الباحث فى تاريخ مصر العثمانية .

٢ - وثائق المحكمة الشرعية بالقاهرة شبرا : نقلت الى دفترخانة الشهر العقارى بالقاهرة . .

موجودة بدفتر خانة المحكمة . . وهى وثائق ذات أهمية من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية لتاريخ مصر العثمانية . . وتوجد بها معظم حجج المحاكم الشرعية الخاصة بالقاهرة فقط وهى محاكم متعددة تبلغ ثلاثة عشر محكمة خاصة بأقسام القاهرة مثل :

١ - محكمة الباب العالى .

٢ - محكمة قوصون .

٣ - محكمة بابى سعادة والخرق .

٤ - محكمة القسمة العسكرية .

ويمكن من دراسة قضايا تلك المحاكم معرفة الكثير : عن نظام القضاء فى العصر العثمانى ونظم جيازة الأرض من فراغ (تنازل) عنها ومعلومات كثيرة عن الالتزام وتوزيع مقاطعاته وتوارثها وصرة الحرمين وركب الحاج المصرى وايرادات الأوقاف العامة والخزنة المرسلة للأستانة وتحركات ومنازعات الأوجاقات العسكرية ووفاء النيل ووضع أهل الذمة وجزيتهم .

وقد وجدت بها كثير من الحجج الخاصة بفراغ أمراء مماليك لشيوخ العرب همام عن أجزاء كبيرة من أراضى الصعيد وذلك فى سجلات

محكمة الباب العالي وعددها ثمانية عشر سجلا من ١١٥٤هـ / ١٢١٩هـ ،
وحجج المحكمة الشرعية مرتبة في دفاتر على ورق مصقول ومذونة بالخط
العادى ٠٠ ولكن الدفاتر غير مفهرسة ولا منظمة تبعا للسنوات أو
الموضوعات مما يضطر الباحث لقراءة كل حجج الدفاتر ليعثر على ما يهمه
منها وهذا يسبب له إرهاقا شديدا .

٣ - وثائق دار الوثائق القومية بعابدين :

(قبل نقلها الى القلعة) . :

بالدار معظم الوثائق الخاصة بتاريخ مصر ابتداء من عهد محمد على
ولكن الموجود منها خاصا بالعصر العثماني ينحصر فى :

١ - حجج الالتزام .

٢ - حجج شرعية .

الفترة التاريخية لهذه الحجج تبدأ من القرن ١٢هـ الى منتصف
القرن ١٣هـ ٠٠ وهذه الأوراق كانت قد نقلت من دار المحفوظات بالقلعة
الى دار الوثائق بعابدين تمهيدا لتجميع الوثائق الخاصة بتاريخ مصر كلها
فى دار الوثائق القومية أو هو مشروع لم يستكمل بعد بالإضافة الى أن
ما نقل من وثائق لم يترجم ولم يعد أى اعداد يساعد الباحث فى بحثه .

وحجج الالتزام عبارة عن تقاسيط التزام أصلية مرفق بها حجج
فراغ (ما يعادل البيع الآن) من أصحاب الالتزام الأصليين الى ملتزمين
جدد ويوضح على التقسيط الأصلى اسم صاحبه الجديد ومنها :

(أ) طلبات مقدمة من أصحاب التزامات يريدون الفراغ عنها
وعليها أوامر عالية من الباشا وختم الدفتر دار بقبول الفراغ .

(ب) وطلبات أخرى رفعها أصحابها للحصول على موافقة الباشا
على وراثتهم لالتزامات أقاربهم .

وقد قمت بدراسة بعض الحجج الشرعية الخاصة : بطلب صرف
مرتبات مثل ٠٠ مرتب خزينة ، مرتب جوالى (بالمدينة المنورة) ، جمر ك
بولاق ، مرتب غلال باسم نظار وقف ، مرتب شمع لاهياء المولد النبوى
باسم خطيبى الأزهر ٠٠

المستفاد من حجج الالتزام :

والذى كان مهما بالنسبة لى :

لا تمس هذه الوثائق شخصية همام نفسها ولكنها تتعلق بنظام
الالتزام في عصره وقبله وبعده .

واتضح لي منها : أن نقل الالتزام من شخص لآخر كان يتم بتقديم
الشخصين المتنازل (البائع) والمتنازل له (المشتري) أو وكيلهما إلى
المحكمة الشرعية وأمام القاضى والشهود تتم عملية الفراغ (التنازل) .

وتبدأ حجة التنازل (الفراغ) بذكر اسم القاضى ثم الشهود ثم
اسم المتنازل والمتنازل له ثم حدود قطعة الأرض التى تم الفراغ عنها ،
وكيف كان يملكها صاحبها وأحيانا يذكر سبب تنازله عنها مثل
(خرابها أو تعطلها ...) .

ثم يذكر الثمن (الحلوان) الذى حصل عليه المتنازل لقاء تنازله
عنها . ثم يذكر فى النهاية أنه على المتنازل له الحصول على موافقة
الوالى على اتمام هذه الصفقة ، وعليه تسديد الضرائب المستحقة عليها من
الآن بصفته الحائز الجديد لها . ثم يرفق بهذه الحجة الشرعية التقييد
الأصلى للمتنازل وعليه البيانات المعتادة من حدود الالتزام والضريبة
المفروضة عليه وختم الباشا والدفتردار . . . والنصيحة الموجهة للمتنازل
باللغة التركية لأداء واجباته ، ثم توضح على هامشه حركة الانتقال
الجديدة واعتماد الدفتردار لها . . وكل البيانات فى التقييد مدونة
بخط القزمية . فيما عدا النصيحة الموجهة للمتنازل لأداء واجباته فهى
بالتركية .

وقد أمكن لي بمقارنة البيانات الخاصة بصاحب التقييد الأصلى
والواردة بخط القزمية فى تقييد التزامه مثل (اسمه ونسبه ، وحدود
التزامه) بنفس هذه البيانات الخاصة به والواردة باللغة العربية فى الحجة
الشرعية ، أمكن لي عن طريق هذه المقارنة حل الكثير من رموز القزمية :

من أمثلة ذلك :

تقييد خاص بزهرة بنت محمد جلبى محفظة رقم (٩)، بتاريخ
سنة ١١٢٧هـ ، وقد كان نظام الفراغ عن الأرض بتقديم طلب لأخذ
موافقة الباشا فى البداية مطبقاً بالنسبة للجميع حتى لشيخ الأيكة .

فى محفظة رقم (٦) ملف رقم (٨) لسنة ١١٨١هـ ورد طلب من
ملتزم مقاطعة قرية القطيعة وكفرها (بولاية أسيوط) بجرجا بخصوص
رغبته فى الفراغ عنها لعل بك مير لواء أمير الحاج سابق والعلاب مرفوع
باسمه للباشا برجاء إصدار فرمان باعتماد ذلك ثم دونت عليه موافقة
الباشا وختم الدفتردار .

واستمر الأمر كذلك حتى في عهد محمد علي ٠٠ محفظة رقم ١٦
ملف ٣٣٤ لسنة ١٢٤٤هـ وثيقة ٥ بتاريخ ٢٥ شعبان سنة ١٢٤٤هـ .

كان لمحمد علي باشا وإلى مصر التزام ٦ ط بقرية ابشويه الملق
وغيرها بالغربية والمنوفية ٠٠ وذلك مدون على تقسيط قديم كان باسم
آخرين ثم أخذ محمد علي منهم الأرض لنفسه ٠ فشاء الالتزامات وحيارتها
كانت لحكام مصر أيضا .

وتوضح حجج الالتزام الموجودة بعابدين حركة توارث الالتزامات :

وثيقة رقم ٢ ملف ٨٥ - ٢٧ ذو الحجة سنة ١١٨٧هـ قرية أبو
هدرى المعروفة ببني جلبة بجرجا وراثه عن والدهم وورد على الطلب
موافقة الباشا واصداره بيورلدى شريف برفع الملتزم الحالى وتسليمها
للورثة .

وقد كان للشخص أن يرث التزام زوجته أو معتوقى أقاربه مثل
(معتوقى عمه مثلا) أو أتباع أبيه .

وإذا كان طالب الوراثة من العلماء كان يأخذ تأشيرة من شيخ الأزهر
بتزكية طلبه ٠٠ وتمثل وثائق عابدين مصدرا كبيرا لتتبع نظام وراثة
الالتزام ٠٠ ومنها أيضا يمكن تتبع نظم أنواع الالتزام الأخرى : مثل
التزام الجمارك وأنواع الالتزام المدنية الأخرى ، وبالدور نوع آخر من
تقاسيط الأرض ولكنها ليست تقاسيط التزام بل تقاسيط خاصة بتمليك
الأبعاديات فى عهد محمد علي وصادرة من ديوان الروزنامجى ؛ ويحوى
التقسيط من هذا النوع ٠٠ انعام محمد علي بالأبعادية على الشخص
باعتبارها رزقه بلا مال ثم يرد به حدود قطعة الأرض المنعم بها ثم امضاء
الروزنامجى وختم محمد علي .

وهذه التقاسيط تفيد فى دراسة : نشأة وتطور الأبعاديات فى عهد
محمد علي حدودها ، مساحاتها ، الطوائف التى كانت تمنح لها (رجال
الجيش ، المديرون الأغوات ، العلماء ، شيخ الاسلام ، شيوخ الطوائف
« طوائف الحرف » ٠٠) .

٤ - وثائق احفاد همام بمحافظة قنا :

قدم لى أحفاد الشيخ همام فى فرشوط بمحافظة قنا وفى بهجورة
أيضا مجموعة من الحجج الخاصة بتاريخ همام ، وقد أبدوا أسفهم لانهم
أضاعوا مجموعات كبيرة منها نتيجة عدم إدراكهم لأهميتها .

والمجموعة التي قدموها لي عبارة عن :

- ١ - حجج شرعية صادرة من المحاكم الشرعية المحلية في الصعيد .
أو المحاكم الشرعية في مصر مثل محكمة الباب العالي ومحكمة سعادق وبابى
الخرق خاصة بالتنازل عن الأرض وشرائها .

٢ - حجج أخرى عبارة عن اتفاقات وإقرارات شخصية بشهادة شهود
ومنها :

- (أ) نوع خاص برهن الأرض .
- (ب) نوع خاص بالتنازل عن الأرض .

٣ - ونوع ثالث عبارة عن :

صورة لحجج شرعية صادرة من محكمة قنا بأوقاف الهوارة وأوقاف
الشيخ همام ونسب الهوارة . . . بالإضافة الى مجموعة من تقاسيط الالتزام
الخاصة بالشيخ همام وأولاده وأبيه .

وقد اتضح لي من دراسة هذه الوثائق أن التنازل والفراغ
عن الأرض كان يتم اما بحجة شرعية أمام المحكمة واما باقرار شخصي ،
وكان يجرى تبادل الأرض بين الشيخ همام وأقاربه والاشخاص الآخرين
في الصعيد أمام المحاكم المحلية في اسنا ، بهجورة وفرشوط ، ادفو . .

وقد أثبتت لي هذه الأوراق أيضا امتداد أراضي همام من بني مزاد
بالمنيا الى ادفو بأسوان ، وكان يذكر دائما في حجج الفراغ ان التنازل
تم برضى الطرفين وأن على الشخص المتنازل له تسديد المال الميرى ومصاريف
الولاية لجانب الديوان .

وصلت مساحة بعض الأراضي المتنازل عنها الى ٢٥٠ فدانا . . .
كان الفراغ يتم اما نظير مبلغ من المال أو نظير مبادلة أرض بأرض وأحيانا
كان الثمن يسدد غلالا .

ويلاحظ انه في بعض الحجج وردت عبارة أن الأرض المتنازل عنها
صارت ملكا وحقا للمتنازل له يتصرف فيها تصرف الملاك في املاكهم
وذوى الحقوق في حقوقهم مما يظهر لنا أن الحياة غدت ملكية في النصف
الثاني من القرن ١٨م / ١٢هـ .

كان الفلاح أحيانا يتنازل عن أرضه للشيخ همام عند ما يستدين
منه مالا ويرهن له الأرض ثم يعجز عن وفاء الرهن فيكمل له همام الثمن

ويشتريها منه ، وكان العرب فقط سواء آكانوا هواراة أو من القبائل العربية الاخرى يملكون أرضا عرفت (بالحطيطة) (وهى أرض أخذها اجدادهم عنوة وتملكوها) ٠٠ وكان هؤلاء يقترضون أحيانا مالا من الشيخ همام ويعجزون عن وفائه فيبيعون له قطعا من أرضهم هذه ، ويكون الرهن فى هذه الحالة ليس مقابل خراج على الأرض بل مقابل مال اقترضه العربى من همام وعجز عن ادائه .

من حجج الهواراة اتضح لى أن الشيخ همام كان يتنازل عن الأرض لغيره من الهواراة ويأخذ منهم أيضا ٠٠ وكان ذلك يتم أيضا بينه وبين الأمراء المماليك وفى هذه الحالة كان الفراغ يتم امام محكمة الباب العالى بالقاهرة ، وفى معظم هذه الحالات كان ينوب عنه فى عقد الاتفاق الأمير عثمان أغا وكيل دار السعادة بمصر وقد أعطاه الشيخ همام توكيلا رسميا بذلك .

وفى بعض الحالات كان ينوب عنه همام المباشرون الاقباط الذين يعملون عنده .

ولنمو قوة همام وسيطرته على معظم أراضى الصعيد اضطر على بك الكبير الى التنازل لهمام عن ٢٢ ط من أصل ٢٤ ط من التزامه من ناحية بنى نصر بمنفلوط وعثرت على حجة هذا التنازل بين أوراق الهواراة .

ب - وثائق منشورة

اجوية حسين أفندى الروزنامجى :

ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية للأجوبة كانت :

عن أسئلة وجهها استيف مدير الادارة المالية الفرنسية لحسين أفندى الروزنامجى الذى أجاب عليها فى ستة عشر بابا فى محرم سنة ١٢١٦ هـ / مايو سنة ١٨٠١ م .

وقد نشر تلك الاجوية وعلق عليها : المرحوم الأستاذ محمد شغيق غربال بعنوان (مصر عند مفترق الطرق) ٠٠

(١٧٩٨ م - ١٨٠١ م) فى مجلد كلية الآداب ٠٠ المجلد الرابع ح ١ . مايو سنة ١٩٣٦ .

الشيخ همام - ١٩٣ .

ج ، مخطوطات

١ - اسماعيل الخشاب :

مخطوط تاريخ حوادث وقعت بمصر من سنة ١١٢٠ هـ الى دخول
الفرنسيين .

نسخة مصورة من خزانة باريس سنة ١٣٤٣ هـ .

دار الكتب بالقاهرة المكتبة التيمورية رقم ٢١٠٧ تاريخ يتناول هذا
المخطوط الاحداث السياسية التى وقعت بمصر ابتداء من سنة ١١٢٠ هـ /
١٢١٣ هـ ، ، ١٧٠٨ م : ١٧٩٨ م .

وكاتبه الشيخ الخشاب كان معاصرا للجبرتي وصديق له وكان من
أشهر الكتاب وقد عمل فى الديوان الذى نظمه فى مصر واختص بكتابة
التاريخ .

٢ - مصطفى ابراهيم عزبان :

مخطوط تاريخ وقايح مصر القاهرة كنانة الله فى أرضه .

دار الكتب نسخة منقولة عن النسخة التيمورية سنة ١١٤٣ هـ برقم
٤٠٤٨ تاريخ - يؤرخ المخطوط لحوادث مصر من سنة ١١٠٠ هـ : ١١٥٠ هـ
سنة ١٦٨٨ م : ١٧٣٧ م وفيه تاريخ سياسى واجتماعى واقتصادى لمصر
فى الفترة السابقة وكاتبه ينتمى الى مدرسة الاجناد الذين مارسوا كتابة
التاريخ كهواية لهم .

٣ - محمد بن حامد المالكي :

مخطوط تعظيم النواحي والارحاء بذكر من اشتهر من علماء وأعيان
مدينة الصعيد « جرجا » .

دار الكتب بالقاهرة رقم ١٢٤٨٧ تاريخ المخطوط دراسة تاريخية
٣ أجزاء لجرجا تتناول وضعها فى العصر العثمانى وسلطات حاكمها ونزول
الهوة بها وحياتهم فيها ثم تناول المؤلف الحياة السياسية والاقتصادية
لجرجا الحديثة أى « مدينة جرجا » وفيه دراسة وترجمة لعدد كبير من
أعيان ولاية جرجا وطوائها من العصر العثمانى الى وقت المؤلف الذى كان
من أبناء قرية المرغة بجرجا ولد سنة ١٢٨٢ هـ وتوفى سنة ١٣٢٩ هـ وتلقى
علومه بالأزهر ثم عين اماما لأحد المساجد بمدينة « جرجا » .

مراجع عربية

- ١ - الاسحاقى (محمد عبد المعطى) :
أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول القاهرة سنة
١٣١٠ هـ .
- ٢ - الجبرتى (عبد الرحمن) :
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ٠٠ بولاق ١٢٣٦ هـ .
- ٣ - البديرى (أحمد الحلاق) :
حوادث دمشق اليومية - ١١٥٤ هـ : ١١٧٥ هـ / ١٧٤١ م :
١٧٦٢ م - تحقيق ونشر الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم -
القاهرة ١٩٥٩ .
- ٤ - القلقشندى (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد) :
صبح الأعشى فى صناعة الانشا (فى ١٤ مجلد ١ - طبع وزارة
الثقافة والارشاد - القاهرة ١٩٦٣ م ٢ .
- ٥ - السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) :
١ - الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ٠٠ القاهرة ١٢٥٣ هـ
ج ٢ .
٢ - الثبر المسهوك فى ذيل السلوك بولاق ١٨٩٦ .
- ٦ - القرىزى (تقى الدين أحمد بن علي) :
١ - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (نشر وتحقيق الدكتور
زيادة) ٠٠ القاهرة ١٩٣٤ بمطبعة دار الكتب ج ١ .

- ٢ - الخطط المقرزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - لبنان ١٩٥٩ ج ١ .
- ٣ - البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب القاهرة ١٩١٦ .
- ٧ - ابن اياس (أبو البركات محمد بن أحمد) :
بدائع الزهور فى وقائع الدهور بولاق سنة ١٣١١ هـ ٣ أجزاء .
- ٨ - ابن خلدون (عبد الرحمن) :
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر بيروت ١٩٦١ المجلد الأول الطبعة الثانية .
- ٩ - ابن حجر (شهاب الدين) :
الدور الكامنة فى أعيان المائة الثامنة الهند ١٣٤٨ هـ ج ١ .
- ١٠ - ابن حزم الاندلسى (أبو محمد على بن أحمد) :
جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٩٦٢ م .
- ١١ - أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) :
١ - المنهل الصنافى والمستوفى بعد الوافى تحقيق (أحمد يوسف بخاتى) القاهرة ١٩٥٦ م ج ١ .
٢ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٠٠ القاهرة ١٩٥٦ ج ١١ ، ١٢ .
- ١٢ - ابن ذئبل (أحمد) :
تاريخ السلطان سليم مع السلطان قنصوة الغورى القاهرة سنة ١٢٧٨ هـ .
- ١٣ - ابن طولون (شمس الدين محمد) :
مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان - تاريخ مصر وأنشام تحقيق محمد مصطفى ٠٠ القاهرة ١٩٦٤ ٠٠ القسم الثانى .
- ١٤ - أحمد حمقى :
مدنية المغرب العربى فى التاريخ ٠٠ تونس ١٩٥٩ م ج ١ .

- ١٥ - أحمد لطفى السيد :
قبائل العرب فى مصر - العقيلات وانجعارفة وقبائل أخرى .
القاهرة ١٩٣٥ .
- ١٦ - ابن قتيبة (محمد عبد الله بن مسلم) :
الامامة والسياسة . القاهرة ١٣٢٨ هـ .
- ١٧ - د . حكيم أمين عبد السيد :
قيام دولة المماليك الثانية . القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٨ - رفاعة الطهطاوى :
تخليص الابريز فى تلخيص باريز . القاهرة ١٩٠٥ م .
- ١٩ - طرخان (الدكتور ابراهيم على) :
١ - النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى .
القاهرة ١٩٦٨ .
- ٢ - مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٢٠ - عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح) :
العصر المماليكى فى مصر والشام . القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢١ - على مبارك :
الخطط الجديدة التوفيقية لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة
والشبهية . بولاق ١٣٠٥ هـ . اجزاء ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .
- ٢٢ - مرتضى الزبيدى (الشيخ) :
تاج العروسى من جواهر القاموسى . القاهرة ١٣٠٦ هـ ج ٣ .
- ٢٣ - محمد رفعت رمضان :
على بك الكبير القاهرة ١٩٥٠ م .
- ٢٤ - د . محمد عوض محمد :
السودان الشمالى سكانه وقبائله . القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢٥ - د . محمد كامل موسى :
الملكية العقارية فى مصر وتطورها التاريخى من عهد الفراعنة حتى
الآن . القاهرة ١٩٣١ م .

- ٢٦ - د. محمد فتّاد شكرى ، عبد المقصود العناني :
بناء دولة محمد على .. القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٢٧ - مصطفى كامل الشريف :
عروبة مصر من قبائلها .. القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢٨ - محمد مختار :
التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الاfrنجية
والقبطية .. بولاق ١٣١١ هـ .
- ٢٩ - ابراهيم زكى :
الحالة المالية والتطور الحكومى والاجتماعى فى عهدى الحملة الفرنسية
ومحمد على القاهرة ١٩٢٨ م .
- ٣٠ - محمد رمزى :
القاموسى الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة
١٩٤٥ .
- ٣١ - د. لويس عوض :
المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث القاهرة ١٩٦٣ م ج ٢ .
- ٣٢ - ليفى بروفنال :
الاسلام فى المغرب والأندلسى .. ترجمة د. السيد محمد
عبد العزيز .. القاهرة ١٩٥٦ .
- ٣٣ - فولنى :
ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام .. ترجمة ادوارد البستاني ..
بيروت ١٩٤٩ ج ١ .
- ٣٤ - د. يوسف نحاس :
١ - الأحوال الزراعية فى القطر المصرى أثناء حملة نابليون ..
بونا برت .. القاهرة ١٩٦٢ م .
٢ - الفلاح حالته الاقتصادية والاجتماعية .. القاهرة ١٩٢٦ .
- ٣٥ - يوسف الشربيني :
هز القعوف فى شرح قصيد أبى شادوف .. اعداد ونشر محمد
قنديل البقلى بعنوان قريتنا المصرية قبل الثورة . القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٣٦ - جرجس حستين :
الأطيان والضرائب فى القطر المصرى ١٩٠٤ م .

الدوريات والصحف

المجلة التاريخية المصرية :

١ - مخطوط بعنوان :

ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة بالقاهرة سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١ م
تأليف الشيخ على بن محمد الشاذلى الفرا ٠٠ تحقيق ونشر دكتور
عبد القادر طليمات ٠٠ مجلد ١٤ لسنة ١٩٦٨ ٠

٢ - صحيفة الاهرام :

ديسمبر سنة ١٩٣٣ ، يناير سنة ١٩٣٤ ٠٠ مقالات عن تاريخ
الهوةرة وامارة الصعيد فى عهد همام ٠

٣ - صحيفة البلاغ لسنة ١٩٣٤ :

الشهور من يناير الى مارس ٠٠

مقالات تناولت نفس الموضوعات السابقة المنشورة فى الاهرام ٠



المراجع الأجنبية

(١) إنجليزية

BRUCE (James) : Travels to discover the source of the Nile in the years 1768, 1769, 1770, 1771, 1772.

The second Edition, London, 1804, Vol, 2.

GIBB (H.), (BOWEN)

ISLAMIC Society and the west Two parts, London 1957.

HOLT (P. M.) :

EGYPT and the fertile CRESENT 1516-1922. London, 1966.

BAER (G) :

A History of land ownership in Modern Egypt 1800-1050.

Oxford U.P. 1962.

BROWNE (W. C.) :

Travels in Africa, Egypt and Suria from the year, 1772 to 1798.

London, 1799.

VANSLEB :

The present state of Egypt London, 1678.

LUSIGNAN (S. L.) :

A History of the Revolt of ALI BEY London, 1788.

SHAW (S. G.)

The financial and administrative organization and development of ottoman Egypt, 1517-1798 P.U.P., 1862.

Ottoman Egypt in the Eighteenth Century H.U.P. 1962.

POCKE (RICHARD) :

A Description of the east and some other countries Vol. 1. London, 1743

NORDEN (F. L.) :

Travels in Egypt and Nubia, London, 1757.

POLITICAL AND SOCIAL CHANGE IN MODERN EGYPT :

Historical studies from the ottoman conquest to the United/Arab Republic Edited by P. M. Holt.

P.U.P. : London, 1968.

(٢) فرنسية

LANCRET (M.A.) :

Memoire Sur le Système d'imposition territoriale et sur L'administration des provinces de L'Egypte dans les dernière années du gouvernement des Mamlouks dans : Description de L'Egypte. 2nd, ed, Vol XI, p. 480

GIRARD (P. S.) :

Mémoire sur L'agriculture L'industrie et le commerce de L'Egypte dans.

Description de L'Egypte, 2nd, ed. Vol. XVII 1-436.

Estève (M.R.) :

Mémoire sur les finances de L'Egypte de puis la conquête de ce pays par Le Sultan Selim 1^{er} Jusqu'à celle du Général on chef Bonaparte dans.

Description de L'Egypte 2nd ed. Vol. XII, 41-248.

الفهرس

- مقدمة ٢٤ -
- الفصل الأول : الهوارة فى الصعيد ٢٥ - ٥٥
- أصل الهوارة - كيف نزلوا الصعيد
حياتهم فيه - تحولهم الى قبيلة مستقرة -
علاقتهم بالماليك - علاقتهم بالعثمانيين
- علاقتهم بالقبائل العربية الأخرى فى
الصعيد - علاقتهم بالفلاحين فيه .
- الفصل الثانى : ولاية جرجا أو الصعيد ٥٧ - ٧٤
- التقسيم الإدارى لمصر فى العصر العثمانى
مركز جرجا فى هذا التقسيم - المفهوم
العثمانى لمعنى ولاية فى مصر - تطور
جرجا الى ولاية كبيرة سنة ١١٠٩ هـ -
١٦٩٧ م - حدودها - الهدف من
تكوينها - سلطات حاكمها - ممثلو
الإدارة العثمانية فيها .

— **الفصل الثالث : الأرض والالتزام فى الصعيد** . . ٧٥ — ١٠٠

نظام الأرض فى الصعيد — نظام الالتزام —
ادخاله فى مصر العثمانية — دوره كأساس
لنظام الادارى والمالى فيها — سيطرة
الشيخ همام على أراضى الصعيد بالالتزام
من المنيا الى أسوان .

— **الفصل الرابع : شيخ العرب همام** ١٠١ — ١١٨

نشأته — أسرته — علاقتها بالمنطقة
وبالحكام — العوامل التى ساعدت على
ظهور همام — دوره كملتزم — ثراؤه —
نفوذه . . حكومته . أثر سيطرته فى
جرجا على الحياة الاقتصادية والسياسية
فيها .

— **الفصل الخامس : علاقة الشيخ همام بالأمراء**

المماليك ١١٩ — ١٣١

علاقة الهوارة بالأمراء المماليك — نمو قوة
همام — تحديه لبعض الأمراء المماليك مثل
الأمير ابراهيم جاويش — أسباب النزاع
بينهما — توسع همام فى أراضى الصعيد
— تنازل الأمراء المماليك عن أراضيهـم
لهمام — علاقة همام الودية بصالح بك
القاسمى .

— **الفصل السادس : الصراع بين الشيخ همام وعلى بك**

الكبير ١٣٣ — ١٥٢

شخصية على بك — أسباب الصراع بينه
وبين همام — المواجهة بينهما — نهاية

• حياة الصعيد

١٥٦ - ١٥٣	• • • • •	خاتمة
١٨٢ - ١٥٧	• • • • •	الملاحق
٢٠١ - ١٨٣	• • • • •	المراجع

فهرس الملاحق

نوع الملحق	الصفحة
١ - نماذج لخط القرمة	١٥٩
٢ - حجة تنازل على بك عن معظم ناحية بنى نصر للشيخ همام	١٦٢ - ١٦٠
٣ - بعض أوامر الشيخ همام	١٦٤ - ١٦٣
٤ - فئات المتزمين فى ولاية جرجا	١٦٩ - ١٦٥
٥ - صورة لزحف الشيخ همام على أراضى الصعيد بالالتزام من سنة ١١٣٤ هـ ١٧٢٩م - ١١٨٣هـ - ١٧٦٩ م	١٧٣ - ١٧٠
٦ - نموذج لنقسيط التزام خاص بالشيخ همام	١٧٤
٧ - حجة تنازل الأمير ابراهيم جاويش عن جزء من أراضيه للشيخ همام	١٧٥



رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٥٤٤٠

ISBN ٦ - ١٤٩٣ - ٠١ - ٩٧٧ -